أحمد عبد الغفور عطار

الزحف على لغة القرآن

بيروت
١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥ م

الطبعة الأولى
بيروت ، كانون الأول (ديسمبر) ١٩٦٥

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء

إلى أنصار الفصحى الذين يجاهدون في الله حق الجهاد بنصر لغة القرآن وآدابها وعلومها ، والذود عنها ، ومحاربة دعاة مذاهب الهدم والتخريب الذين يريدون هدم القرآن وتخريب الحديث ومحو الإسلام وتقويض العربية وقواعدها وآدابها وعلومها وفنونها بنصر العامية وتمكينها وتغليبها على الفصحى .

غرة رمضان ١٣٨٥ هـ
٢٣ - ١٢ - ١٩٦٥ م

أحمد عبد الغفور عطار
مكة المكرمة

مقدمة

كان الاستعمار الغربي يواجه الإسلام بقواه المختلفة وأساليبه الكثيرة لمسخه وإبعاد أهله عنه ، وإقصائه هو نفسه عن الحكم في كل أقطار الإسلام ، وتشويه سمعته ، واختلاق الأكاذيب عليه ، وإخفاء محاسنه ومزاياه ، وإلصاق التهم به وترديدها ، ومن أبشعها : أنه دين غير صالح لأهل هذا العصر ، وأنه دين يدعو إلى ما لا يتفق مع الحضارة والمدنية .

وأنكر أعداؤه عليه الوحشية التي وصفوه بها وادعوها عليه لأنه دين يقطع السارق ، ويجلد غير المحصن ، ويرجم المحصن ، ويقتل القاتل .

واستطاع الاستعمار الغربي أن يعزل الإسلام عزلاً عن الحكم في جميع الأقطار الإسلامية فلا يحكم به في ربوعها ، واستبدل به قوانينه وجعلها شريعتها ، فلما انحسر عنها ظله بقيت آثاره ، وبدأ الاستقلال من حيث انتهى الاستعمار يؤيده في هذا العزل بل يسرف فيه أكثر منه .

وقنع حكام البلاد الإسلامية بما ادعى الاستعمار على الإسلام فتركوه معتقلاً في المسجد ، بل أسرفوا وضيقوا الخناق على السجين ، وحاصروه في المدارس حصاراً ، فلم يعد لدروسه وعلومه وآدابه مجال إلا في الحدود التي يفقد فيها كل أثر له في المجتمع .

فالفقه الإسلامي يدرس بجميع أقسامه من عبادة وعقيدة وشريعة ، ويُدْرس في مدارس العالم العربي باب الحدود ، ولكن لا أثر للدرس والتحصيل ، وما يتلقونه فاقد الأثر في مجتمعاتهم .

ولم يقنع الاستعمار بهذا النصر المبين يحرزه ، بل أفزعه انتشار الإسلام وثباته وتمسك الشعوب بـه ودخول الملايين فيه دون أن تفرد الدول الإسلامية « بنداً » في ميزانياتها للصرف على نشره ، مع بعد حكوماتها عنه ، ومع عزلها إياه عن الحكم .

ووجد الاستعمار أن الحصار الذي ضربه على الإسلام لم يحجزه وراء قضبانه وأسواره ، بـل رآه ينتشر كالفجر في أعقاب الليل ، فصمم العزم على مقابلته في كل ميدان حتى يقضي عليه .

وليس الاستعمار الغربي – بما فيه الاستعمار الأمريكي – وحده الذي يقوم بحصار الإسلام وضربه وضرب المسلمين أنى كانوا بل انضمت إليه قوى جديدة هي الصهيونية والشيوعية ، ووحدت هـذه القوى – برغم الخلاف بل الحرب التي بينها – صفوفها لضرب الإسلام في جميع مقاتله، وطرده من كل أقطاره ، وبذلت الملايين لتنفيـذ ما وضعت من خطط محكمة لتدميره ومحوه .

تناولت هذه القوى القرآن الكريم بالنقد والتجريح والتخطئة، واتخذوا أساليب كثيرة لضربه في الصميم بوساطة ما زعموه انه « البحث العلمي » و « حرية الفكر » ومقتضيات الحضارة والمدنية في البحث والدراسة .

وتحت شعار البحث العلمي وحرية الفكر تناول المستعمرون المبشرون الصليبيون الصهيونيون الشيوعيون القرآن شر تناول .

باسم الحضارة والمدنية قضوا على ما فيه من تشريع وعبادة ، وباسم حرية الفكر وإطلاقه من أغلال العقيدة زعزعوا قواعد عقيدة الإسلام .

وباسم البحث العلمي نزعوا عن القـرآن قداسته ومزقوا عنه ثوبهـا وجعلوه كتاباً كأي كتاب لا يفضله في شيء وإن كان غيره يفضله ،

وأخضعوه لمناهجهم في البحث وقواعدهم في النقد .

فانبعث منهم جهلة زعموا أن في القرآن عديداً من الخطأ النحوي ، ومن هؤلاء القسيس الدكتور « فندر » ومن يدعى « هاشماً العربي » وبعض السفلة من بلادنا .

وزعم بعضهم أن قصصه غير مقصود بها الواقع التاريخي ، بل مجرد العظة والعبرة ، مثل قصص القصاصين ، وما فيه من قصص إن هو إلا أساطير .

ووجدوا ممن يحملون أسماء إسلامية عربية أتباعاً لهم مخلصين فسخروهم للتأليف في هذا الباب مثل كتاب « القصص الفني في القرآن الكريم » لمحمد أحمد خلف الله ، المقدَّم منه لنيل إجازة الدكتوراه بإشراف الشيخ أمين الخولي المصري .

ولم تقبل الجامعة رسالة خلف الله وردته في وجهه لأن ما فيه من تكذيب للقرآن ليس مما تتقبله جامعة أقامها بلد مسلم .

وحشد أعداء الإسلام صحفاً وكتّاباً يدافعون عن هذا الكتاب ويحتجون على الجامعة باسم حرية البحث وحرية الجامعة وحرية العلم ، وأول المحتجين أمين الخولي بكون وصفه المشرف على الرسالة، ولأن من رفضوا الرسالة خصوم مثل الدكتور أحمد أمين غفر الله له ورحمه .

ونهضت الصحف المصرية الكبيرة وصحف العالم العربي تدافع وتعلن سخطها لأن الحرية : حرية البحث والقول والفكر « تصادرها » الجامعة التي يجب أن تجد فيها هذه الحرية ملاذها وأمنها . واشتغل الرأي العام مدة بهذه القضية ثم نسيها لأن الكتاب وصاحبه والشيخ أمين الخولي ووراءهم قوى الشر كلها سقطوا صرعى .

ومن قواد هذه المعركة الأستاذ توفيق الحكيم ، اختدع بمن رجوه أن يدافع عن حرية البحث وحرية الفكر وحرية الجامعة وحرم الجامعة فأخذ يدافع ويندد بالجامعة المصرية التي « تصادر » الحرية .

وناقشت الحكيم في مجلس وأفحمته حينما قلت له: أتقبل جامعة السربون رسالة تجيز عليها الدكتوراه يؤلفها صاحبها في نقد الإنجيل ؟ أو تقبل كل جامعات روسيا رسالة في نقد الشيوعية ؟.

لماذا – إذن – يراد من جامعة يُنْفَق عليها من عرق شعب مسلم أن تقبل رسالة تطعن دين هذا الشعب وقرآنه وربه ؟.

لأن المقصود هدم الإسلام لا الشيوعية ولا المسيحية بمذاهبها المختلفة ولا اليهودية ولا أي دين أو مذهب ، الإسلام وحده .

وبلاغة القرآن العليا ، لماذا يتركها أعداؤه ؟ لماذا لا يهبطون بها إلى العامية والسوقية المرذولة العفنة ؟.

والبركة في الشيخ أمين الخولي ، فقد ثار على علوم البلاغة وزعم أنه سيجدد فيها ، وكان هذا منذ أربعين سنة ، كل ما صنعه الخولي تجنيه عليها دون أن يأتي بجديد إلا بعد زمن طويل ، وكان تجديده أضحوكة الأضاحيك .

أطلق الشيخ الخولي على البلاغة العربية فتجنى عليها علماً ، وأنكر من قعدوا قواعد علومها وهاجمهم بعنف ، وانتهى به الهجوم والهدم إلى العبث المشين بكتاب الله وبيلاغته العالية .

وما نريد أن نرد على الشيخ أمين الخولي مقلد المستشرقين الحاقدين فاقدي الذوق ، على سقم فهمه ، وقلة علمه ، وكثرة لؤمه ، وأفن رأيه ، وعظم غروره ، بل يكفي أن نذكر أمثلة مما جاء بمذكرات له تحت عنوان « مذكرات في علم المعاني » أملاها الخولي على طلبته في كلية الآداب بالجامعة المصرية ، تدل على هذه الحرب التي يعلنها على القرآن الكريم بسخفه وتجديده .

تناول الخولي هذه الآية الكريمة : (وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم) وأراد أن يتحدث عما فهمه من بيانها فقال ما نصه :

« يريد الله أن يقول : هوّ محمد ده يطلع إيه ؟ محمد هذا والرسل من قبله مجرد « سعاة بوسته » هو مرسال زي المراسيل اللي قبله . يجي ويروح ويموت وينقتل . القصد هنا واضح في أن المقصود به التوهين من أثر الرسول في الدين ، وكذلك جاءت تسميته برسول الله ، ولو قال : نذير . هاد . سراج . لقطع الطريق على هذا الغرض ... وكأن أبو بكر يريد أن يقول : يا سي عمر ، الدنيا بخير . والأمانة لا تزال في أعناق الموجودين ، ومحمد يموت زيه زي غيره » .

أصحيح أن الله يريد التوهين من أثر الرسول في الدين ؟ هذا هو فساد الشيخ الخولي وتجديده ، فالله لا يريد التوهين بل يريد نفي الخلود في الحياة عن رسوله العظيم ، وأما « بوسته » و « سي عمر » فنتركها للحارات والغرز .

وفي شرح الخولي البياني لقول الله تعالى : (وما أنت بمسمع من في القبور إن أنت إلا نذير) يقول :

« إنت مش حتسمّع اللي في القبور . والحقيقة إنه مش قدام أموات ، وانما قدام ناس ألواح وبهايم . والقرآن بيقول له : إنك حريص قوي على هدايتهم . الأحسن أنك ما تحرصش كتير على هذه الهداية . قال له ذلك لأنه شاف انه لفرط عنايته بأن يهتدي هؤلاء القوم أن يخرج عن حده فينسى ان مهمته هي مجرد التبليغ . هو عمّال يحرق في دمّه مع الناس دول ، ووفاؤه لمهمته هو الذي يحمله على الإسراف في الإلحاح ويهز في هذه الألواح ، ويحاول أن يبعث فيهم نفحة من الهداية بأي ثمن ، فقال له الله : يا أخي ، انت حارق نفسك ليه ؟ انت مانتش حاجة أبداً إلا نذير . تنذر من يُنذَر ، وتخوف من يخاف ، وتعلم من يتعلم ، وتنبه من يتنبه . ودول أموات . فالأحسن لك تريح نفسك » .

وعرض الخولي لقول الله تعالى : (واذ قال الله يا عيسى بن مريم

أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلٓهين من دون الله) في دروس البلاغة فقال :

« الحوار في هذه الآيات بين عيسى وبين الله حوار خيالي محض صور وقوعه بعد أن انتقل عيسى من هذا العالم الذي نحن فيه بدليل « فلما توفيتني » وكأن الله يقول لهم : « أنتم بتقولوا عيسى ده إلٓه ، وإنه هو الذي أمركم انكم تعبدوه ... نجيبه ؟ نسحبه ونسأله ؟ ثم صور بعد ذلك انه لو قام وبعث إلى الحياة لدار بينه وبين الله هذا الحوار : الناس الباردين دول ... هل أنت قلت لهم يا عيسى إنك إلٓه ؟ قول لهم . قل لهم يا أخي » .

ويقول الشيخ أمين الخولي لا نفعنا الله بعلوم بلاغته الجديدة آمين :

« هذه الآية وما قبلها وما بعدها على شكل حوار خيالي بين عيسى وبين الله سبحانه وتعالى . المقصود بهذا الكلام من يعتقدون بألوهية المسيح ، وكأن المسألة هكذا : أنتم تعتقدون أن المسيح إلٓه وتعبدونه فمن أمركم بذلك ؟ هذا هو عيسى . أأنت قلت للناس إنك إلٓه ؟ أبداً . أنا لم أقل لهم ذلك . طيب قولهم يا سيدي إياك ينكسفوا [1] » .

هذا نموذج مما يقول الشيخ امين الخولي في تدريسه « البلاغة » وما نقلناه يجب ان يُقرأ اكثره بالعامية المصرية وبلهجة الشيخ الخولي نفسه حتى نتذوق البيان الرفيع .

قبح الله الشيخ ، فقد أراد ان يجدد فجدّف ، واراد ان يتفلسف

---

١ هذه الشواهد منقولة من مجلة « الرسالة » السنة الرابعة عشرة من العدد ٩٨٧ و ٦٩١ و ٧٠١ الصادرة في يوم الاثنين ٦ شوال ١٣١٥ هـ (٢ سبتمبر ١٩٤٦ م) و ٥ ذي القعدة ١٣٦٥ (٣٠ سبتمبر ١٩٤٦ م) و ١٥ محرم ١٢٦٦ (٩ ديسمبر ١٩٤٦ م) من مقالات الاستاذ علي العماري التي كتبها في نقد دروس بلاغة الخولي بالجامعة واظهر فسادها وما فيها من خطأ وخلل وخطل ، والشيخ جاهل كل الجهل عندما يدعي ان الحوار خيالي بحجة انه بعد الوفاة ، وآية جهله المطبق : جهله بحقيقة الزمن بالنسبة لله عز وجل فزعم ان الحوار خيالي .

فخرّف ، وإلا فما قول الله لعيسى ومحمد : يا أخي . وقوله لعيسى : يا سيدي (بالعامية) .

أهذه بلاغة القرآن ؟.

هكذا اراد خصوم الإسلام بالقرآن، فشوهوا جماله العظيم بمثل تخريف الشيخ الخولي وسموه له تجديداً وثورة في علوم البلاغة العربية ، وانتهت بهم قوتهم وسيطرتهم إلى ان انتدبوه ليدرس الناشئة الإسلامية في الجامعة بلاغة قرآنهم الكريم بهذا الأسلوب الذي يهبط به إلى كلام السوقة ، ويفسدوا البلاغة العربية والذوق بمثل قول أمين الخولي في الوصل والفصل من ابواب البلاغة العربية ممهداً لذلك بقوله العامي :

« تقول للخادم مثلاً : خد تعريفه ، وهات بنكله شقة عيش، وبمليم كرات ، وبمليم سلطة قوطة ، وبمليم طعمية . بل أكثر من هذا تعد لهم على أصابعك ليفهم هذه الأشياء، وإن كنت حِدِءْ (يريد « حِدِق» يعني حاذقاً ذكياً) تقول : هات العيش الأول ، لأنه حيقابل بتاع العيش أول ما يخرج ، وبعدين تحوّد على شمالك تلاقي بتاع الطعمية . هات منه بمليم سلطة ، وبمليم طعمية . وهكذا تسرد الحوادث ، وتشير إليها في كلامك ، فمن الجائز أن تراعى القرابات والمناسبات إذا كان حِدِءْ (حدق) فإذا كان بتاع الكرات فِريح (يريد بجانب) بتاع الطعمية ، يقوم بذكره بعده على طول علشان الولد ما ينساش . وهكذا » .

هذه هي البلاغة العربية التي يريدها أعداء القرآن ليفسدوا ذوق الناشئة العربية المسلمة فيسخرون من القرآن ويفسدون بلاغته المعجزة وبيانه الذي لا بيان يشبهه في رفعته وجماله بما يدفعهم اليه الشيخ أمين الخولي .

إنهم يريدون أن يستبدلوا ببلاغة القرآن بلاغة « سلطة الأوطة (القوطة) والطعمية والكرات » وبلاغة « علشان الولد ما ينساش » ليتسنى لهم القضاء على معجزة القرآن ، وإفساد الذوق السليم كل الإفساد بتدريس هذا الهراء في الجامعة على أنه البلاغة العربية الجديدة .

وإذا جـــاء مثلي لرد زحف السخافات انبرى له من أعدهم أعداء الإسلام وخصوم القرآن والعربية قائلين : يا جَدَع انْتَ ! إيه عرّفك بالتجديد . إنت رجعي . إحنا مجددين . دِهِيَّ البلاغة العصرية . والفن . سيبك من الكلام الفارغ بتاعك . من السكاكي والجرجاني والقزويني ؟ دول إنتهوا . خليك في رجعيتك . إحنا مش فاضين لك . والشيخ أمين الخولي كبير الأمناء . واللي فاهم البلاغة تمام . سيبونا من الرجعيين دول، ماحناش فاضين لهم . هاتْ يا شيخ أمين يا خولي إلخ .

وماذا عند الشيخ أمين الخولي ؟ ليس عنده إلا ما ذكرنا نماذجه ، وهو يسمي كل كلام لا يوافق منهجـــه وتجديده كلاماً فارغاً ، ففي تعليق له على كلام للخطيب القزويني يقول : « هذا كلام فارغ » ! .

والشيخ الخولي وراء كثير من الحملات على القرآن الكـــريم ، وقد مرت الإشارة الى رسالة خلف الله (القصص الفني في القرآن) واعلانه انه متضامن معه فيها وشريكه في التبعة ، كما مرت الإشارة الى ثورته على علوم البلاغة ومسخه بلاغة القرآن وكفره بتنزيـــه الله ودعوته الى العامية السوقية المبتذلة .

وفي شهر شعبان ١٣٨٥ هـ (ديسمبر ١٩٦٥ م) جدد حملة على القرآن الكريم ، اذ وقف بجانب الطالبة « تغريدة عنبر » في رسالتها « اصوات المد في تجويد القرآن » التي قدمتها للحصول على الماجستير من كليـــة آداب جامعة الاسكندرية .

وكان الخولي أحـــد الأعضاء الثلاثـة الذين يكوّنون لجنـــة المناقشة – وزميلاه فيها الدكتور ابراهيم انيس والدكتور حسن عون – ووضع الخولي خطة يتفادى بها ما وقع لتلميذه خلف الله الذي ردت لجنة المناقشة رسالته اليه ، فتظاهر بأنه على غير رأي الطالبة في بعض ما ذهبت اليه، لأنه مدرك ان زميليه لن يوافقا على الرسالة .

واستنكر ابراهيم انيس بهتان الطالبة وطعنها القرآن الكـريم وافتراءها

عليه ، وأيده الخولي ليقطع عليه وعلى زميله الآخر طريقهما ، وقد نجح .

نجحت خطة الخولي ، وخدع زميله ، ومنحت الطالبة الماجستير بتقدير جيد جداً .

ولكن من حضروا المناقشة ثاروا واستنكروا ورفعوا الأمر الى عميد كليـــة الآداب الدكتور حسن بغدادي وطلبوا إليه وقف منح الطالبة الماجستر ، واستفظعوا إقرار اللجنة طعناً لئيماً في كتاب الله ، وتأييد أعضائها الطالبة في آرائها .

واستجاب العميد ، وأبى اعتماد نتيجة منـــاقشة اللجنة ووقف منح الطالبة الدرجة الجامعية .

واطلع الدكتور محمد حسين استاذ كرسي الأدب بكلية آداب جامعة الإسكندرية فكتب رسالة شديدة قدمها للعميد ذكر فيها ان قرار اللجنة منح الطالبة الماجستير بتقدير جيد جداً عمل خطير ، واستنكر عمل اللجنة التي أيدت ما ذكرته الطالبة من تجن على القرآن تجنياً كله الباطل ، ولا يبيحه البحث العلمي الجامعي .

وذكر ان عمل الطالبة في رسالتها لا سند له من الحق ، وهو مناقض للمنهج العلمي السليم ، وطلب إلغاء منح الدرجة الجامعية لأنه كان لعمل غير علمي ، وبحث غير منهجي .

واضطرت لجنة المناقشة أن تعيد النظر ، وزعمت أنها قـامت بتهذيب الرسالة وتعديلها ، ثم فوضت إلى الخولي مراجعـــة الرسالة بعد التعديل والتهذيب وإبداء رأيه .

وتناولها الخولي وكتب في أول صفحة منها بخط يـــده وإمضائه ان الرسالة صالحة للنشر بعد استجابته للتعديل .

وظن الشيخ الخولي أن خطته قد نجحت ، وان الرسالة ستظفر بما قدر لها من درجة ، وأن معولاً جديداً لهـــدم القرآن يكون في متناول أعدائه .

إلا أن هناك من يعرفون ألاعيب الشيخ الخولي ولا تجوز عليهم أباطيله فقرأوا الرسالة فإذا هي – كما كانت – مليئة بتجريح القرآن وطعنه ، لأنها بنيت عليها، وما كان من تعديل اللجنة إن هو إلا الخداع والتضليل، لأن الخولي خدع زميله وبخاصة الدكتور إبراهيم أنيس .

وهكذا بقيت الرسالة تنتظر الكلمة الفاصلة .

وأحيا الشيخ الخولي من جديــد ذكرى ما فعل أيام كتاب الطالب محمد أحمد خلف الله الذي أشرف عــلى رسالته للدكتوراه منذ بضع عشرة سنة .

والخولي طامع في مجد أدبي كمجد العقاد وطه وهيكل والمازني ، ولكنه محروم من مواهبهم ، فاتخذ هذا السبيل ليشتهــر ، يضاف الى ذلك انه زعم – دون غيره – انــه صاحب مدرسة أدبيــة ، وسماها « مدرسة الأمناء » والأمناء جمع أمين ، وأمين اسم الشيخ .

وما أسخف من يزعم لنفسه ما زعم الخولي ، وحسبك أن تعلم أن من فن الشيخ إطلاق اسمه المجموع على مدرسة لا وجود لها إلا في وهمه ووهم من تسلط عليهم من المرضى .

إنه رأى مجد العقاد باذخاً مع انه لم يخرج إلا من مدرسة ابتدائيــة ورأى طه واحمد امــين وغيرهما من اساتذة الجامعة ذوي شهرة مدوية حُرِمها هو ، وهو يرى نفسه أعظم منهم جميعاً ، وهداه مرضه النفسي إلى اتخاذ طريقة تجتذب اهتمام الناس .

« بُمْ » تكفي ، وما اخفها .

إن الفرقعة تجتذب الأنظار سواء رضي اصحابها أم كرهوا ، ومـا اسهل الفرقعة !.

بُمْ ، فيها الخير والبركة بالنسبة للشيخ امين الخولي ، وهكذا اتخذ « الفرقعة » لينبه الناس إلى شخصه، ولكن الفرقعات التي فجرها تفجيراً

خلال عمره الطويل من غير عرض لم تحقق له أمله ، بل كانت عليه وبالاً ونكالاً .

وأخيراً ، كانت « فرقعة » رسالة الطالبة تغريدة عنبر التي أخفق فيها مثلما أخفق من قبل .

وكل هذه الحوادث دليل على ان الشيخ الخولي يحقد على القرآن لغة وبلاغة وأسلوباً وآداباً وعلوماً ، ويطبل ويزمر لنكرات يوهمهم أنهم مجددون ما داموا « أمناء » وكل من ليس « أميناً » فهو لا شيء ولو كان العقاد واحمد امين وطه حسين .

وقد كشفه الأستاذ سيد قطب منذ زمن ، فقال عنه ما نصه :

« إن أمين الخولي يعاني أزمة نفسية ، وإنه ينظر فيرى نفسه لا يقل إن لم يكن خيراً من أساتذة جامعيين كبار في هذا البلد ، ثم لا يرى لنفسه مثل مكانهم في العالم الخارجي خارج الجامعة . وأقرب الأمثلة أمامه الدكتور طه حسين وما يتمتع به من مكانة ملحوظة ، والأستاذ أحمد امين وما له – كذلك – من شهرة ، وهذا الوضع يسبب له قلقاً نفسياً يتجلى في مظاهر كثيرة كلها تدور حول لفت النظر بكل وسيلة ، وأبسط مظاهر ذلك أنه لا يكاد يستقر على زي في ملابسه ، ولا تأمن أن تراه في أي يوم بزي غير ما عهدت منه في اليوم السابق ، وأزياؤه في التفكير كأزيائه في الملابس كلها اندفاعات وشطحات »[1] .

لقد مرت على فرقعة كتاب « القصص الفني في القرآن الكريم » ثماني عشرة سنة ، ونسيها الناس ، بل ماتت سريعاً كما تموت كل

---

١ جريدة « السواري » العدد ٦٦ الصادر يوم الاثنين ١٦ صفر ١٣٦٧ هـ (٢٩ ديسمبر ١٩٤٧ م) .

فرقعة ، ولم يكسب منها إلا الخسران المبين .

وواتته الفرصة في كتاب الطالبة (أصوات المد في تجويد القرآن) فأرسل الشيخ الخولي فرقعته اجتذاباً للأنظار ، ولكنها ستنتهي كما انتهت فرقعاته السابقة ، ولم تتح له واحدة منها أن يحتل مركز طه حسين في الجامعة أو وزارة المعارف،ولا مركز العقاد في العالم العربي والإسلامي ، وبقي الحقد يأكل قلبه على كل مشهور عظيم .

ومثل الشيخ امين الخولي غير واحد ندبوا أنفسهم مخلصين لمحاربة القرآن والعربية في كل ميدان ، ويجيء في بلادنا من يمتدح منهج الخولي وينشر مديحه في جريدة تصدر بمكة المكرمة حرسها الله،وتتهافت الصحف السعودية على ما يكتبه هذا المادح ، وتحتضنه الرابطة الإسلامية الغيور على الإسلام والقرآن والعربية والأخلاق .

وأشار غير واحد من الأفاضل إلى « مخططات » الاستعمار والصهيونية والشيوعية وكل المذاهب المعادية للاسلام فيما كتبوا وألفوا .

فألف الدكتور مصطفى خالدي والدكتور عمر فروخ كتاباً رائعاً عظيماً سمياه «التبشير والاستعمار» جمعا فيه مخططات المبشرين لهدم الإسلام،وأشارا — فيما أشارا — في إيجاز بليغ،إلى إفسادهم التعليم الديني والعربي ومحاربة لغة القرآن .

وألف العلامة المجاهد الأستاذ محمد محمود الصواف كتاباً جليل القدر سماه « مخططات الاستعمار في كفاح الإسلام » أوضح فيه نشاط أعداء الإسلام في كل سبيل يفضي إلى هدمه .

وانهما لكتابان عظيمان ينبهان العرب والمسلمين إلى الخطر الذي يهدد وجودهم الانساني فيقابلوه عن عقيدة وايمان ليردوه على أعقابه .

وأنا بكتابي هذا أصنع ما صنعوا ، ولكني وقفته على اللغة والأدب العربي ليقف القارىء على مخططات مذاهب الهدم والتخريب من تبشير وصليبية واستعمار وصهيونية وشيوعية لهدم الإسلام بهدم لغته وأدبه العربي.

وعرضت فيما عرضت لدعاة في بلادنا المقدسة السعودية حملوا رايــة الهدم ونشطوا،وساعدتهم الصحف التي مشت في طريق التخريب بنشر ما تشمئز منه النفس المسلمة المؤمنة .

لقد قصرت كتابي على اللغة – أولاً – لأن اعداء الإسلام مدركون انها هي لغة القرآن والحديث والرسول الكريم والأدب الإسلامي في عصوره الأولى والأدب العربي عامة ، فــإذا وفقوا لهدمها وفقوا لمحو الإسلام بعد أن انتصروا في ميدان عزله عن الحكم وحصاره في المسجد ، ثم أخذوا ينتزعون من يستطيعون انتزاعه من رحابه الطاهرة .

انتصر أعداء الإسلام في إبعاده عن الحكم والتشريع ، فلم تعد البلاد العربية المسلمة والبلدان الإسلامية تتخذ الإسلام شريعتها، بل احلوا حرامه وحرموا حلاله .

أحلوا الخمر والميسر والأنصاب والأزلام والزنـا بشرعهم الوضعي ، وأباحوا باسم البحث العلمي وباسم الفن وحرية الفكر والقول محاربة الرسل وتشويه سمعتهم زوراً وبهتاناً ، وتزيين المنكر والباطل ، ودفع الناشئة الإسلامية إلى الرذيلة والموبقة دفعاً .

وحرموا إقامــة الحدود الإسلامية وأبطلوها ، واستبدلوا بها شرائع ونظماً تنقض الإسلام نقضاً .

ولكنهم أخفقوا في حربهم اللغة العربية وآدابها وعلومها والخط العربي وانهزموا في هذه الحرب هزيمة نكراء ، ولكنهم لم ييأسوا ، فإذا كان

الجري ينتهي بصاحبه إلى الإعياء سريعاً فإن الذي يسير ببطء وأناة ينجو منه ويصل إلى غايته مهما طال الزمن وبعدت الغاية .

فهموا هذا فاتخذوا في الحرب اللغوية أساليب شتى ، فوجود العربية يجعل المسلمين على صلة بالقرآن وميراث الإسلام كله ، وهذه الصلة كفيلة بعودة الإسلام إلى الحكم والتشريع في مستقبل الأيام .

ولا بد من قطع هذه الصلة ، فأوحوا إلى الناطقين بالعربية ان لغتهم شديدة الصعوبة ، شديدة العسر في قواعدها وعلومها ، وأنها لغة البداوة، فإذا صلحت لجماعة متبدية فهي لا تصلح لمجتمع متحضر ، وما دامت البداوة والحضارة نقيضين لا اجتماع بينهما فكذلك لغتاهما ، وما دامت الحضارة غلبت وسادت فلا مفر من زوال البداوة وآثارها من المدن .

واللغة العربية بنت البداوة ، ولا حاجة للمجتمع العصري المتحضر إليها وهي – بعد كل ذلك – عاجزة فقيرة ، ضاقت بمصطلحات العلوم والآداب والفنون العصرية وبكل ما قدمته الحضارة الحديثة للعالم ، فهي غير صالحة .

والأدب العربي أدب ملوكي – كما يزعم سلامه موسى – وأدب إقطاعي كما يقول لويس عوض وعبد الحميد يونس وآخرون بينهم أناس من بلادنا العربية المسلمة .

إنه أدب أنشيء للملوك ولذوي الإقطاع ، وأدب شخصي وليس انسانياً ، فيجب ان يزول ليحل محله أدب الشعب ولغة الشعب .

إن الأدب العربي قديمه وحديثه ليس أدب الشعب ، لأن اصحابه ارستقراطيون واشبه بالإقطاعيين ، والشعب لا يفهمه ولا ينتجه ، فحري به ان يزول ويأخذ موضعه ادبه الحقيقي بلغته الحية لا لغة الفصاحة .

والحرف العربي غير صالح ، فبعضه يشبه بعضاً ، ولا يحسن غير النادر قراءته قراءة صحيحة سليمة من اللحن والخطأ ، فيجب أن نستبدل به الحرف اللاتيني لأنه أصح وأسلم .

والإعراب – هذا الكابوس المخيف – يجب ان يزول أيضاً ، فإذا أجزنا وجود العربية فلا بد من قراءته بغير إعراب حتى لا يتورط القارىء في لحن يعيبه ، ولم يعد للامتياز ضرورة بعد ان استرد الشعب حقوقه من يد الغاصبين أصحاب الامتياز ، والشعب لا يعرف الإعراب ، وهو الأغلب الأعم ، ويتكلم لغة لا إعراب فيها، ووجود أفراد ارستقراطيين ممتازين يعرفون الإعراب تأكيد لوجود فوارق الطبقات التي يجب ان تمحى ، ووجودهم خطر على الشعب مثل الإقطاعيين والملوك .

أما وان الإقطاعيين والملوك قد زالوا، أزالهم الشعب لأن العصر عصر الشعوب، فلا بد ان يزول اولئك الممتازون الذين يمثلون الملكية والإقطاع .

وأنصار الفصحى جميعاً أتباع امتياز الملكية والإقطاع ، فهم رجعيون مثل كل الملوك والإقطاعيين ، فإما ان يستجيبوا للشعب ويكونوا منه وإما ان يفارقوه بأي وسيلة من الوسائل .

إن هؤلاء الأنصار «ديكة» وما حميتهم للفصحى وشدتهم في الانتصار لها إلا « صراع » ديكة [1] .

هذه دعوات أعداء الإسلام وحججهم نسمعها في كل مكان بالعالم العربي ، وكانت بلادنا المقدسة بعيدة عن دعوات الهدم والتخريب ،

---

١ يصف كاتب سعودي في جريدة سعودية أنصار الفصحى وجهادهم هذا الوصف المنبثق من حقده على لغة القرآن .

بل ما كانت جراثيمها تجد فيها مجالاً للحياة، بل تموت بمجرد ملامستها ارض وطننا الإسلامي المقدس .

ولكن زحف مذاهب الهدم والتخريب وصلت طلائعه إلى أرضنا ، وصارت لها أوكار، ففي صحفنا منابر تهتف بأسماء رؤوس الكفر والباطل والضلال الذين هم شر ما عرف الإسلام في كل تاريخه من اعداء ، وفي صحفنا قلاع تقذف لغة القرآن والأدب العربي شر قذف ، وتنشر ما فيه إفساد الخلق وزعزعة العقيدة .

والحرية التي تتمتع بها بلادنا في كل شيء دون سائر البلاد العربية، في التجارة ، والاقتصاد ، والصحافة والنشر ، وفي السفر والانتقال ، وفي الخروج بالنقد ودخوله ؛ أوجدت الفرصة لدخول تلك المذاهب ، ورحب بها افراد منا شذوا عن الجماعة وتبعوا الضالين وحملوا عنهم دعواتهم وجاءوا بها ينشرونها آمنين مطمئنين .

دعوا إلى مذاهب الهدم ، وكتبوا في الصحف ما يخفف من عداء الأمة لها ، وما يقربها إليها بوساطة المديح المضفى عليها حتى قال شاعر من هؤلاء في جريدة من جرائدنا :

نحن لا نبغض في الأرض الشيوعي ولا غير الشيوعي .

وهاجموا رسول الله وخاتم النبيين محمداً عليه صلوات الله وسلامه علانية وجهاراً في صحيفة يومية سيارة وبقحة عجيبة ، وهزأوا به هزواً لأنه قال : « رفقاً بالقوارير » فاستنكروا ان تكون النساء قوارير .

ومدحوا كتباً تذم صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بل تشتم أكثرهم رواية للحديث حتى يشككوا في الحديث كله ثم ينتهي بهم التشكيك إلى رفضه .

وشغلت صحف نفسها في كل عدد من أعدادها اليومية بأخبار الفن والطرب والمغنين والمغنيات والمطربين والمطربات والممثلين والممثلات حتى بلغ الاهتمام بهم نشر أخبار زواجهم وطلاقهم البغيضين ، ورواية شعرهم الماجن الفاسق الخليع وأقوالهم الساقطة العفنة المرذولة .

ومجدوا في صحفنا آلهة عبدها وثنيون ، وبلغ التمجيــد حد العبادة لأنهم دعوها من دون الله عز وجل ، والدعاء عبادة ، أو مخ العبادة كما قال علماء السلف رضوان الله عليهم .

وغير هذا كثير مما لا احصيه .

ولقد أفزعني ما رأيت وما سمعت ، وما – والله – كتبت كتابي هذا إلا بعد ان نفـد الصبر ، واستكـبر الدعاة والصحف على نصح الناصحين .

لقد أجهد المصلحون في بلادنا أنفسهم وما زالوا يجهدونهـا بالنصح والارشاد والتوجيه من الملك الصالح ، إلى ان يصل الى مثـلي ، وكلما ازدادوا نصحاً ازداد اولئك غياً وعناداً وإصراراً .

نصح الأمين العام للرابطة الإسلامية صحف بلادنا في أدب ولطف ورفق ورجاء فما كان منها إلا التكبر والاستعلاء والعتو ، والتظاهر على دعوته الخيرة بما يقضي عليها .

ونصح أكابر فضلاء علماء في بيان نشرته صحيفة واحدة ، نصحوا للقائمين على الصحف فما كان منهم إلا الإسراف في « ممارسة » ما طلب اليهم الإقلاع عنه .

ونصح مساعد الأمين العام صحيفة من الصحف نصحاً رقيقاً بأسلوب يفيض رقة وعذوبة ورجاء ، فما كان منها إلا الإصرار والإساءة بتكرار نشر ما نصح بالإقلاع عنه .

وأنا نفسي نصحت هؤلاء الرعاة ، ونصحت هذه الصحف ، فما لقيت غير التجني علي .

ويعلم الله ان الحرج يلاحقني أينما كنت في حضري وسفري ، في وطني أو غير وطني من مؤمنين يغارون على بلادنا لأنها قبلتهم وقبلة الإسلام كله ، ومأزر الإيمان ، ومحج المسلمين ، وصاحبة القيادة للعالم الإسلامي .

ولقد أشار بيان العلماء الأكابر الفضلاء إلى هذا الحرج يصيبهم مما ينشر في صحفنا ، وشكوا منه ، ورجوا ان يهتدي المسرفون الضالون .

رأيت كل هذا فأفزعني ، فألفت هذا الكتاب ليعلم الناس ان للخير دعاته ، وللدين حماته ، وللعربية حراسها ، وان أمة محمد صلى الله عليه وسلم بخير ، لأنها لا تعدم المجاهدين إلى قيام الساعة لا يبالون إلا إعلاء كلمة الله .

وأنا أرجو ان تتضافر قوى الخير في بلدي — أولاً — وتقف في وجه مذاهب الهدم والتخريب ، وتصونه منها ومن دعاتها ورعاتها ، وتحزم حزماً ، فالشرر الذي تطفئه غرفة من ماء إذا ترك اهلك وأباد ، وعز على المصلحين حينئذ تدارك الخطر وصرع الفساد .

وإن بلادنا هي الوحيدة في العالم التي تفخر باعتصامها بالله، وتمسكها بالقرآن ، وان الاسلام دينها ، ومحمداً عليه صلوات الله وسلامه نبيها ، وكتاب الله إمامها ، ولغته لغتها .

فإذا لم تصح لنفسها فـ (إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم) .

رأيت هذا كله فوقفت نفسي لمجاهدة دعوات الهدم ومذاهبه ومبادئه

بكل نعمة انعم الله بها علي،وخاصمت اناساً أثنوا عليّ ثناءً جماً مستطاباً، فما باليته ، وما زادني ثناؤهم إلا إخلاصاً للحق .

فسلامة موسى قال عني وأنا طالب ادرس بكلية دار العلوم بالقاهرة، وقال عن مؤلفي المسمى « كتابي » المطبوع بمكة المكرمة حرسها الله سنة ١٣٥٥ هـ (١٩٣٦)م كلاماً حسناً ، قال سلامة موسى في مجلته « المجلة الجديدة » بالعدد ١٢٣ الصادر في ٢٦ اكتوبر ١٩٣٦ م ما أنقل فقرات منه بنصوصها .

قال : « والأستاذ أحمد عبد الغفور عطار في طليعة هؤلاء الأدباء الشباب ، فهو في الحقيقة شعلة ملتهبة من الذكاء والجرأة ، لا يعرف غير الاطلاع ، ولا يفهم الحياة إلا قراءة كتاب ، ولا يقدر الوطنية الشريفة إلا في هدى المواطنين إلى ما فيه الايقاظ لهم بما يتلاءم والعصر الذي يعيشون فيه ، لذا كان في مؤلفه « كتابي » الذي نحن بصدده كالطبيب الماهر الذي يصف الدواء في مهارة وذكاء أيضاً ، وإنه جريء في إبداء فكرته » .

وقال : « والقارىء لهذا الكتاب سيدهش كيف لهذا الشاب بهذه الأفكار التي تبلغ حد النضج وهو لم يعدُ في ثقافته مدارس الحجاز ، ولكن سيذهب الدهش حين ينتهي من ذلك لأنه سيعلم بأنه لا يفتأ يقرأ عن طاغور وغاندي ونيتشه في الكتب المعربة إلى العربية أو اللغات الشرقية التي يجيدها » .

وقال : « والكتاب جدير بأن يقرأه كل حجازي ليهتدي به، وكل مثقف ليرى الإخلاص للوطن كيف يستولي على الشباب ، وإنا لا نبالغ إذا تنبأنا للأستاذ عطار بمستقبل عظيم بين مواطنيه حين يبلغ مبلغ الشيوخ ممن حنكتهم الأيام وملأت أدمغتهم المعارف والعلوم » .

هذا بعض ما قاله سلامة موسى عني ، وقال أكثر منه منذ تسع وعشرين سنة ومع هذا لم يصرفني الثناء عن الحق ولم يقفني عن نقده ومخاصمته في وجهه .

وفي نوفمبر ١٩٣٦ م ألقى سلامة موسى محاضرة بجمعية الشبان المسيحيين بالقاهرة حضرها كثير ، بينهم أدباء وكتاب وأساتيذ في الجامعة وطلاب، وهاجم اللغة العربية والإسلام كعادته ، ولم يذكر في محاضرته أحد بالثناء غيري ، وكال لي المديح كيلاً بلاحساب .

ومع هذا انبريت له ، وفندت أباطيله ، ورددت زعماته ، وما زلت – والحمد لله – لا يصرفني مدح مادح ولا عداء حقود عن الحق وعن الجهاد في سبيل ديني ولغتي .

وأخافني – اليوم – أن أجد دعوات الهدم تتسلل إلى وطني المقدس، ثم ترسخ ويقوم لها كيان ، وتقوى منها الجذور ، وتكثر لها الفروع والأغصان لتحمل أزهار الشر والإثم ، وينهض الدعاة آمنين مطمئنين يحملون رايات الدعوة ، ويستخدمون صحفنا لترويجها ومحاربة لغة القرآن والأدب العربي ، والتمكين لمبادئهم دون خوف ، ومهاجمة خصومهم من أنصار الفصحى وحزب الله لا يخشون أحداً ، كأن الوطن لهم وحدهم يمزقونه ويهدمون مثله ، ويقوضون ماضيه ليبنوا حاضراً جديداً أساسه الوثنية والكفر والإلحاد والتحلل من الأخلاق .

قام هؤلاء الدعاة من أبناء وطني العاقين يدعون لما دعا إليه أعداء الإسلام والعروبة مثل سبينا وفولرس الألمانيين ، ودفرين وولكوكس وولمر الإنكليز ، ولندبرج الاسوجي ، وسلامة موسى القبطي الفرعوني الماركسي ، ولويس عوض الصليبي الشيوعي وغيرهم .

بل تجاوز بعض الدعاة السعوديين أولئك الأعداء المجاهرين بخصومة القرآن واللغة العربية والأدب العربي ، وساندتهم الصحف السعودية كل المساندة فخاصمت خصومهم ، وتجهمت لمبغضيهم .

ولعلي بكتابي (الزحف على لغة القرآن) أكون مؤدياً بعض ما لله ولرسوله ثم لوطني وأمتي وحكومتي وللإنسانية الخيرة من حق علي .

وإني سامع ومطيع لأمر الله عز وجل إذ يقول في محكم كتابه : (يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة واعلموا أن الله مع المتقين) .

ولقد هددني بعض الدعاة وأرعدوا وأبرقوا وتوعدوا إذا ظهر الكتاب، وغفلوا انني لست من أولئك الذين يخافون ويجبنون ، ويعلمون شجاعتي وقوتي وصرامتي ، فما باليت قوى الهدم وأنا أعيش في بلادها، هاجمتها في المقدمة التي كتبتها لكتاب «الشيوعية والإنسانية» تأليف كاتب العربية الأكبر ومفخرة الاسلام عباس محمود العقاد ، وهاجمتها في كتابي (الشيوعية والإسلام) وفي رسالتي (حرب الأكاذيب) .

أتراني اباليهم بعد أن وجدت الله معي يدفع عني كيد الكائدين وقذائف الكفرة والمرتدين ؟ كلا ، فنحن على عهد الله باقون ، ولحزب الله منتسبون ، وفي طريق الجهاد سائرون ، وفي ميدان الحرب ثابتون .

(الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح للذين أحسنوا منهم واتقوا أجر عظيم * الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل * فانقلبوا

بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم * إنمـــا ذلـكم الشيطان يخوف أولياءه فلا تخـــافوهم وخافون إن كنتم مؤمنين * ولا يحزنك الــذين يسارعون في الكفر إنهم لن يضروا الله شيئاً يريـــد الله ألا يجعل لهم حظاً في الآخرة ولهم عذاب عظيم * إن الذين اشتروا الكفر بالإيمان لن يضروا الله شيئاً ولهم عذاب ألـــيم * ولا يحسبن الذين كفـــروا أن ما نملي لهـــم خير لأنفسهم إنما نملي لهم ليزدادوا إثماً ولهم عذاب مهين) .

صدق الله العظيم ، وصدق رسوله النبي الكريم ، والحمـد لله رب العالمين .

مكة المكرمة — أحمد عبد الغفور عطار

قوى الشر تحاصر القرآن

أنا لا أخلط بين الأدب والأخـــلاق والدين ، فلكل من ذلك مجاله ونطاقه ، وأدرك ان للأدب،الذي نفهمه على أنه التعبير بوساطـة الكلمة عن الشعور على أن يكون التعبير جميلاً،رسالة هي مثل رسالة كل فن جميل .

ومن المعطيات أن نبحث في التعريفات والحدود والمعالم ، ولذلك نتركه إلى الأدب في بلادنا واتجاهاتـــه المختلفة ، وما أصاب هذا الأدب من توجيه دفع به إلى خدمة غير الحق ، وتسخيره لقلب المجتمع الذي نعيش فيه ، وحطم الإسلام وهدم العربية .

إن الأدب من أكبر القوى في الوجود ، فبوساطته يتم تغيـــير حياة الفرد والجماعة والمجتمع ، وعرف الدين قوة الكلمة كما عرفتهـا السياسة والحرب والتجارة والاقتصاد والفنون المختلفة والعلوم فاتخذ الأدب وسيلة لخدمة ما تراد خدمته .

حتى الدول المادية التي تجحد القيم الإنسانية والدين والفضائل والمعاني تؤمن بقوة الكلمة وسحرها ، فجعلت في كل مصنع منبراً يتخذ الكلمة وسيلة في الإغراء والتنشيط والدفع ، الــدفع للإنتاج ، وطرد الملل ،

وسوق الجماهير إلى تحقيق الأهداف المطلوب منها تحقيقها .

ومن المعطيـــات التي لا تحتاج إلى برهان أن قوى الشر المتمثلة في الاستعمار والصهيونية والشيوعية تدرك أن أخطر ما يواجههـا هو الإسلام لأنه نقيضها ، وان الاسلام يحوي من القوى العظيمة المتجددة ما يجعله طوداً راسخــاً تموت تحت أقدامه الحشرات السامة المؤذية ، وان أمم الإسلام تملك قارات مزدحمة بثروات لا تنفد ، والإسلام يحفظ على أهله حقوقهم ، فمن الحتم أن يقضى عليه حتى تسهل قيادة الأمة الإسلامية .

وقد استعانت قوى الشر بكل وسيلة في طليعتها القوة الطاغية،فكانت الحروب الصليبية التي ناوأت الاسلام ودكت صروحه في بعض الأقطـار والمدن ، وطردته ، وأبادت المسلمين .

والحروب الصليبية شنتها أمم وشعوب وقبائل في الغرب وفي الشرق، واتحدت كلمتها لحرب الإسلام ، مع انها كانت متفرقة الكلمة ، بعضها يحارب بعضاً ، ولكنها تناست أحقادها فيما بينها ووحدت كلمتها وقوتها وكل ما لديها في سبيل القضاء على الاسلام .

بل بلغ الأمر حداً تجاوز نطاق العقل والمنطق ، فقد اتخذ البابا إربان الثاني الذي تولى منصب البابوية سنة ١٠٨٨ حتى سنـــة ١٠٩٩ م قراراً بمنح كل من يشترك في الحرب الصليبية ضـد المسلمين صك الغفران ، ومنح أول صك سنة ١٠٩٥ م في ابتداء الحملة الصليبية على ديار المسلمين في الشام وفلسطين .

ويمنح هــذا الصك لمن يشترك في الحملة الصليبية ويحارب المسلمين الغفران الكلي التام ، غفران ما تقدم من الذنب وما تأخر .

وما من وسيلة إلا اتخذوها في حرب الإسلام وإبادة المسلمين، ولكن الإسلام بقي على قوته حتى اندحرت قوى الصليبيين الحربيـة والعسكرية أمام قلة من المسلمين بعد أن بقيت الحروب الصليبية قروناً عـديدة من سنة ١٠٩٥ م إلى سنة ١٢٩١ م حيث كانت الحملة الثامنـــة سنة ١٢٧٠

الى سنة ١٢٩١ م .

ولكن اخفاق الصليبيين في المجال الحربي لم يمنع أن يجعلوا الحرب مشتعلة حتى قال الجنرال اللنبي حينما دخل القدس سنة ١٩١٨ م : الآن تنتهي الحروب الصليبية .

وأدرك المسيحيون أن الحرب لا تجدي نفعاً إلى الحد الذي يبتغون ، فعندما استيقظت أوروبا وبسطت سلطانها على العالم ، واستعمرت قارات بكاملها كما استعمرت من آسيا أكثر بلدانها بدأت « التبشير » بجميع الوسائل والقوى ، وواجهت في العالم الإسلامي قوة الإسلام الغلابة التي لا تقهر ، قوة العقيدة التي تقهر كل خصومها[1] .

وسبقت الاستعمار قواه الأدبية والعلمية بوساطة « الاستشراق » الذي يمهد السبيل للغزو المسلح والاستعمار الماحق ، وقد وفق لوضع مخطط شامل بعد ان درس الإسلام في مختلف أقطاره وعرف مواضع قوتها ومواطن ضعفها .

وأدرك الصليبيون واليهود معهم أن قوة الإسلام تكمن في القرآن وفي مكة المكرمة حرسها الله ، فلخص وليم جيفور بلجراف بكلمته المشهورة حلم أعداء الإسلام طراً وفي كل مكان : « عندما يختفي القرآن ومكة من بلاد العرب يسهل علينا أن ندفع المسلم في سبيل الحضارة » .

والحضارة التي يريدها الأعداء هؤلاء هي المسيحية ديناً ، وليس غير المسيحية .

وكل أعداء الإسلام منذ القديم حتى اليوم مدركون أن القرآن ومكة هما قوة الإسلام المتجددة التي لا تغلب مهما اختلف عليها من مظاهر

---

١ إقرأ كتاب « التبشير والاستعمار » للدكتور مصطفى الخالدي والدكتور عمر فروخ، وكتاب « المخططات الاستعمارية لمحاكمة الإسلام » للأستاذ الشيخ محمد محمود الصواف ، ففيهما إزاحة الستار عن مخططات الاستعمار لهدم الاسلام .

الضعف والخمول فآذنوهما بحرب مشنونة حتى اليوم .

وعندما ولدت الشيوعية وسيطرت في روسيا واجهت قوى الإسلام في البلدان التي سيطرت عليها وضربتها في الصميم وأبادت ملايين من المسلمين في تركستان وبخاري وطاشكند والقرم وغيرها .

ومع أنها اتخذت أبشع ما يتخذ من التوحش والتعذيب والتقتيل والتذبيح والإبادة الماحقة جابهها الإسلام نفسه — بعد ذلك — بما يتبطن من جوهر خالد وروح لا يضعف وقوة لا تغلب .

وقف دين الإسلام أعزل من سلاح المادة في وجه الشيوعية اللئيمة ما زاده حقداً وغيظاً وحنقاً فقال مولوتوف في خطبة له : « لن تثبت الشيوعية في جمهوريات الاتحاد ولن تنتشر في الشرق إلا إذا أبعدنا أهله عن تلك الحجارة التي يعبدونها في الحجاز ، وإلا إذا محونا القرآن من الوجود ، وإلا إذا قضينا على الإسلام » .

وقوى الشر المتمثلة في الاستعمار والصهيونية والشيوعية متفقة ان القرآن ومكة هما القوة التي تقف في وجه كل دين أو مذهب غير الإسلام ، ووجودهما يحول دون سيطرة أي مذهب أو دين ، فلا بد من انتهاج سياسة ظاهرها المحبة والاخلاص والانسانية والغيرة على الشعب وتراثه القديم والجديد ، وباطنها هدم قيم الاسلام وأركانه وتشويه مزاياه ومسخ جماله ومزاحمة شريعته .

وأدركوا من معاشرة الاسلام والمسلمين أن دين الاسلام سمح متسامح، حسن الجوار ، رحيم بالعجزة والشيوخ والنساء والأطفال ، وان المؤمن غر كريم ، وان الكريم يخدع ، وتثمر في قلبه « حبة » الجميل مهما صغرت فتخرج من الحبة شجرة باسقة .

وعرفوا بوساطة علماء الاستشراق الفرق الاسلامية وما بينها من صراع ، وكذلك مذاهب الفقه وما بينها من خلاف .

وخبروا علم النفس وعلم الاجتماع وأثر الفنون والآداب في النفس

الإنسانية ، وأثر الجو في الإنسان ، وكذلك آثار الاقتصاد والتجـارة والسياسة .

وعرفوا كل ما يجب ان يعرفوه فاستعدوا للغزو بمختلف أنواع الأسلحة وواجهوا الإسلام نفسه وتركوا المسلمين، لأن القضاء على الإسلام يقضي على أتباعه .

واستخدموا المسلمين من كل جنس ولون ولغة ليكونوا جنودهم في هذا الغزو ، بعضهم عن علم ، وأكثرهم عن غفلة وخداع وتضليل ، وأعلن كل فريق الحرب على الإسلام باسم إلـهه الذي يعبد .

والإسلام كله قائم على « القرآن » فيه العقيدة والشريعة وكل قواعد الحياة وآداب السلوك للفرد والمجتمع ، فلا بد من تنظيم حملات واسعة عليه باسم الحرية والتحرر والانطلاق والتقدم ومشاركة الركب الحضاري ومساوقته وعدم التخلف عن هذا الركب والتخلص من عبودية الفكر ، والتحرر من الأوهام ، والاكتفاء بالعقيدة عن الشريعة لأن جوهر الدين هو العقيدة ، أما الشريعة فزمنية بمعنى انها تخضع للزمن وتغيره وتغير الأحوال والبيئات والتطور .

ووضعوا أمام كل أمر من أموره ألف جندي بـل أكثر يحاصرونه فيحصرونه فيلقون عليه القبض ثم يسلمونه للموت .

ورأوا أثر القرآن بالـغ العظم في العالم الإسلامي كله ، التكروني الجاهل في غابات إفريقيا يتلو آيات منه ، وكذلك الملايين في القارات كلها من شيلي إلى اليابان ، ومن الصين إلى المغرب، ومن المحيط المتجمد الشمالي إلى المحيط المتجمد الجنوبـي .

كلهم يقرأون القرآن باللغة العربية ، ويقدسون هذه اللغة ، لأنها لغة القرآن ، ولغة نبيهم عليه الصلاة والسلام ، ولغة دين الإسلام ، وإن الكلمة العربيـة التي يجهلون معناها تذكرهم بالله وبكتبه وبرسله وباليوم الآخر .

فلا بد من محاصرة القرآن حصاراً شديداً ، وتطويقه بحيث لا يكون له منفذ ولا متنفس ، وأقاموا عليه الرقباء والحراس اليقظين ، وجردوا عليه الحملات التي لا تحصى .

حملة تتناول أسلوب القرآن بالنقد والتقبيح .

وحملة تتناول القرآن معجزة فلاجة فتنكرها .

وحملة تتناول لغته من ناحية قواعد العربية نفسهـا ، وتزعم أن في القرآن غلطات نحوية .

وحملة تتناول قصصه ، وتزعم أنها أساطير .

وحملة تتناول جمعه وتفسيره .

وحملة تتناول معانيه .

وحملة تتناول ما فيه من تشريع .

وحملة تتناول ما فيه من حدود ونظم .

وحملة تتناول القرآن على أنه نسخة من كتب العهد القديم والجديد .

وحملة تتناول قراءته وتدريسه .

إلى حملات أخرى كثيرة لا تحصى .

حملوا على القرآن من ناحية أسلوبه فقبحوا ما فيـه من تكرار بعض الآيات ومن تكرار القصص وتكرار الأحكام والأوامر والزواجر والنواهي.

ويشهد الله أن بعض الناس من بلـدي ممن يحملون القلم نقد القرآن الكريم من ناحية هذا التكرار جاهلاً مقاصد كتاب الله من هذا التكرار الذي يثبت أنه من الله عز وجل .

وحملوا على القرآن من ناحيـة إعجازه فأنكروه ، ولدينا من أبناء أمتنا من أنكره ثم ازدرى القرآن نفسه ، مع ان آية إعجازه في غـير حاجة إلى برهان .

فمنذ كانت العربية ونحن نرى جحـافل البلغاء شعراً ونثراً . يكتبون

ويخطبون دون ان نجد منهم من استطاع أن يأتي بقصيدة أو خطبة أو مقالة تضاهي سورة من القرآن .

بل هذا أبلغ العرب وأفصحهم دون منازع محمد عليه صلوات الله وسلامه تحدث بما يملأ مجلدات ، ومع هذا لا نجد فيه شبهاً لسورة من سور القرآن .

ومع هذا ينكرون معجزته ، ولو جاء الإنكار من اولئك الذين لا يكتبون العربية لعذرناهم بجهلهم ، ولكن ما القول في الذين يتكلمون العربية ويكتبون بها .

وحملة تتناول القرآن من الناحية اللغوية فيزعمون أن بها غلطات في النحو ، وان منا من زعم لي ذلك وقدم لي بضع غلطات كما زعم قبحه الله .

ولما رأيت ثلاث الغلطات التي قدمها أدركت المصدر وكشفته له .

قال لي هذا الذي منا وزعم ان في القرآن غلطاً : إنني اكتشفت في القرآن أغلاطاً لا تتفق مع قواعد العربية التي نعرفها ، وها هي ذي :

١ – (تلك عشرة كاملة) وحقها « تلك عشر كاملة » لأن المعدود مؤنث ودليل التأنيث كلمة « كاملة » و « تلك » .

٢ – (وقطعناهم اثنتي عشرة اسباطاً) وفي هذه الآية خطآن : الأول ، أنه أنث العدد مع أن القاعدة في احد عشر واثني عشر مطابقة العدد للمعدود ، فالمعدود « أسباطاً » والسبط مذكر قطعاً ، فالقاعدة توجب أن يكون « اثني عشر سبطاً » والثاني ، ان تمييز أحد عشر واثني عشر يجب أن يكون مفرداً لا جمعاً ، وفي القرآن نفسه (إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً) فالعدد والمعدود مذكران ، والتمييز مفرد .

٣ – (رب لولا أخرتني إلى أجل قريب فأصدق وأكن من الصالحين)

و « أكن » معطوفة على « أصدّق » المنصوب فحقها أن تكون « فأصدق وأكون » .

عندما سرد لي ما زعمه خطأ وذكر الأمثلة أدركت أنه مقلد لا مبتكر، يريد أن يعظم نفسه بين يديّ بنقد أعظم ما لدينا ، ولكنه ما زاد نفسه إلا حقارة وبرهن على الجهل والكفر وعمى البصيرة ، وكشفت له انه ليس مبتكراً ، بل يقلد كفرة ملاعين، يقلد القسيس « فندر » مؤلف كتاب « ميزان الحق » ومن سمى نفسه « هاشماً العربي » في رسالته التي سماها « تذييل مقالة في الاسلام » إذ زعما ان في القرآن من الغلطات ما لا تجيزه قواعد العربية ، وذكرا ما حسباه خطأ وفيه ثلاث الآيات الشواهد .

وأبنت له الحق الذي لا يؤمن به ككل كفور أغلق الله قلبه على الكفر ، وقلت له : إن الآية الكريمة الشريفة العظيمة هي : « وأتموا الحج والعمرة لله فإن أحصرتم فما استيسر من الهدي ولا تحلقوا رؤوسكم حتى يبلغ الهدي محله ، فمن كان منكم مريضاً أو به أذى من رأسه ففدية من صيام أو صدقة أو نسك فإذا أمنتم فمن تمتع بالعمرة إلى الحج فما استيسر من الهدي فمن لم يجد فصيام ثلاثة ايام في الحج وسبعة إذا رجعتم تلك عشرة كاملة) الآية .

فكلمة « عشرة » يجب ان تؤنث لأن معدودها مذكر وهو « ايام » جمع « يوم » ويوم مذكر قطعاً ولا وجه للتأنيث ، وحذف المعدود لأنه معلوم ، وجاءت بعد العدد «كاملة» وصفاً للعدد المؤنث، والتقدير : « تلك عشرة ايام كاملة » وحذفت في هذا المقام لأن البلاغة تقتضيه ، فالمحذوف معروف ، ثم إن الوصل يقتضيه بلاغة حتى لا يفصل بين الصفة والموصوف في هذا المقام فاصل يفقد العبارة جمالها الفني، وجرسها الموسيقي ، فلا يكون بين الرفعين هبوط « عشرةُ أيامٍ كاملةٌ » الضمة رفع ، والكسرة هبوط ، والضمتان رفع ، ثم إن الضمة الواحدة في

الصفة – هنا – تقابلها في الموصوف ضمتان .

ولهذا اقتضى السياق القرآني البليغ حذف الأيام .

ونحن في عاميتنا وفي لغتنا الكتابية نقول إيجازاً : قدر البيت بثمانين ، ويفهم ان المقصود ثمانون ألف ريال .

ونقول في عاميتنا وفي لغة الكتابة : ثلاثة ايام وسبعـــة : عشرة ، وحذفنا بعد سبعة كلمة « ايام » وكذلك بعد عشرة .

ولا خطأ – بتة – فيما زعمت،ولكن الخطأ في نفسك وفيمن لقنوك .

وأما الآية الثانية : (وقطعناهم اثنتي عشرة اسباطاً أممـاً) فتقديرها اللفظي : وقطناهم اثنتي عشرة قطعـة ، وإن كل قطعـة منها أصبحت أسباطاً .

و « أسْباطاً » ليست تمييزاً ، لأن واقع التاريـخ يثبت ان ليعقوب اثني عشر ابناً ، ولكل منهم أبناءهم أسباط يعقوب،ولو قيل : « اثني عشر سبطاً » لخالفت الجملة واقع التاريخ ، لأنه يفهم ان كل ابن من أبناء يعقوب الاثني عشر كان له ابن واحـد ، ومن ذلك صار مجموع أبناء الأبناء اثني عشر .

وهذا غير واقع بل الذي كان هو ان كـــل ولد من أولاد يعقوب أنجب عديداً من الأبناء ، فصار « أسباطاً » بدلاً من « اثنتي عشرة » و « أمماً » صفة لأسباط .

ومعنى الآية الشريفة الكريمة العظيمة « وقطعناهم اثنتي عشرة قبيلة ، وكل قبيلة أسباط (لاسبط) .

ولو عقل هذا المقلد الإمـّعة ومن دفعوه وسبقوه بهـذا الهذر وقرأوا الآية لظهر لهم سوء فعلهم وسوء قولهم وإنهم الغالطون .

قال الله تعالى : (وقطعنـــاهم اثنتي عشرة اسباطاً أمما وأوحينا إلى موسى إذ استسقاه قومه أن اضرب بعصاك الحجر فانبجست منه اثنتـــا عشرة عيناً) الآية .

فذكرت في جزء من الآية كلمة « اثنتي عشرة » مرتين ، إحداهما – وهي الثانية – لا غبار عليها ، وأما الأخرى – وهي الأولى – هي التي زعم الفاسدون المفسدون ما زعموا ، وكان في الوسع الغبي لو كان كلام جهول فاسد الذوق أن يقال : « اثني عشر سبطاً » لأن « اثنتي عشرة » الثانية صحيحة باعترافهم ، فما الذي يعجز من جاء بالصواب هنا أن يجيء بالصواب هناك ، الصواب الذي يرونه وهو أم الكبائر .

إن هؤلاء الجهلة من فاسدي الذوق والعقل يجهلون ان الآية الكريمة بتركيبها الدقيق المنظوم آية في سمو البلاغة ، لأن حذف التمييز عندما يدل عليه دليل من فنون البلاغة العربية التي لا يفطن لها من زود بذوق حيواني ونفس كفور وروح لئيم .

وأما « أصّدق وأكن » فحق لاخلاف فيه مع قواعد العربية وسنن العرب،وقد ورد في «أكن» قراءات ثلاث ، بالرفع والنصب والجزم ، الرفع على الاستئناف وعداً بالصلاح بتقدير « وانا اكون »كأنه يقول : إن اخرتني إلى أجل قريب أصدق وانا اكون من الصالحين .

والنصب على الظاهر .

والجزم على المحل ، لأن « أصدق » إن كانت منصوبة ظاهراً فإنها مجزومة على المحل بالشرط المفهوم من « لولا » لأن « اصدق » مترتب على قوله « لولا أخرتني » كأنه قيل : إن أخرتني اصدقْ وأكن[1] .

---

[1] من أعظم من انبرى لفندر ورد عليه جهله في تغليط القرآن العلامة الكبير الشيخ عبد الرحمن الجزبري في كتابه العظيم«أدلة اليقين في الرد على كتاب ميزان الحق وغيره من مطاعن المبشرين المسيحيين في الإسلام » المطبوع بمطبعة الإرشاد في مصر سنة ١٩٥٣ هـ (١٩٣٤ م) .
وتصدى العلامة العربي الكبير الاستاذ محمد إسعاف النشاشيبي للقسيس فندر ولمن يدعى«هاشم العربي » ورد عليهم أباطيلهم في مقالات منشورة بمجلة الرسالة في الأعداد ذوات هذه الأرقام ٢٧١ و ٢٧٢ و ٢٧٤ .
وأظهر ان الغلط ليس في القرآن الكريم ولكن في عقولهم ونفوسهم وأبصارهم وبصائرهم.

وحملوا على القرآن من ناحية قصصه فزعموا انها خيـــال واساطير ، وليست واقعية ، بل اريد من ذكرها العظة والنصح ، وممن فعل ذلك من يدعى محمد احمـد خلف الله في كتابـه « القصصي الفني في القـــرآن الكريم » .

وتكلموا في جمع القرآن وترتيب سوره وتفسيره كثيراً ، وزعموا في ذلك المزاعم الباطلة ، وتناولوا ما فيه من حدود وتشريع ونظم بالتقبيح، وقلدهم مقلدون من ابناء وطننا فزعموا ــ هؤلاء ــ ان ما كان في القرآن شريعة ونظاماً فذلك خاص بزمان انقضى،ولم تكن الحياة معقدة متسعة ، اما وقد اتسعت وتشابكت المصالح وارتبطت اقطار الأرض بعضها ببعض وعظمت الصلات التجارية والاقتصادية فإن علينا ان نجدد ونشرع ونضيف.

وهذا كله سواء اتفق مع القرآن ام لم يتفق .

وظهرت حملات منها ان القرآن نسخة من كتب العهد القديم والعهد الجديد التي منها ما يسمى لدى اليهود والنصارى التوراة والانجيل .

وهذا ولا شك باطل ، فما في القرآن من ذكر الأنبيـــاء وقصصهم مخالف لما في تلك الكتب التي تتهم الرسل بالزنا والوثنية وتعتقـد ألوهية غير الله .

ومنع في جميع الدول الشيوعية درس القرآن وتعلمه،واما في الأقطار الاسلامية فقـد حاصروا القـــرآن حصاراً ، وجعلوا حصصه في مدارس المسلمين قليلة إلى حد النَّدْرَة ، فإذا كانت للانجليزية عشر حصص كان للقرآن حصة في الأسبوع في البلاد المقدسة ، بلاد القرآن .

وبهذا أفهموا الناشئة الإسلامية ان القرآن لا خطر له ولا شأن، ولهذا ندرت حصته لهوانه ، أفهموه عملاً ، حتى ان بعض الأقطار الإسلامية لا يحسب رسوب الطالب في القرآن رسوباً .

بل أزيلت في بعض الأقطار الإسلامية الشواهد القرآنية من كتب العربية فضج المؤمنون فبقي القليل منها ، مع أن دراسة العلـوم العربية كالنحو

والصرف والمطالعة تفرض الاستشهاد بالقرآن لأنه كتاب العربيــة معجماً ونحواً وصرفاً ومطالعة وبياناً وبديعاً وبلاغة .

ولما لم يستطيعوا إلى إزالــة الشواهد القرآنية إزالة تامة لم يسكتوا ، ورضوا بتقليل الشواهد وجعلوا القرآن مادة اختيارية .

وفي مصر حتى سنــة ١٣٦٨ هـ (١٩٤٩ م) كان التعليم الديني في المدارس الابتدائية « مادة اختيارية لا يجب تحصيلها لاجتياز الامتحانات[١] » حتى جاء وزير المعــارف المسلم المؤمن الصالح مرسي بدر بك[٢] فجعل دروس الدين مادة أساسية لا بد من الامتحان فيها لبلوغ النجاح .

ووقف الاستعمار والصهيونية في وجهه ، وحاربوه ولكنه أصر وثبت ، فأوعزوا إلى ذيولهم وعــلى رأسهم سلامة موسى الذي رفعوه وأسندوه ووصفوه بالعبقرية والنبوغ والتفرد ومكنوا له ، أوعزوا لهم أن يهاجموا الوزير المؤمن الصالح مرسي بدر بك .

وتصدى سلامة موسى له وقاد حملة التشهير بالدين الإسلامي وحمــل لواءها وكتب في جريدة « النداء » في العدد الصادر في شهر ذي القعدة سنة ١٣٦٨ هـ (سبتمبر ١٩٤٩ م) مقالاً حاقداً جهولاً بعنوان « الرجعية تتحدى الزمن » جاء فيه ما نقتطف منه جملاً بنصها .

---

١ الرسالة ، السنة ١٧ العدد ٨٤٥ تاريخ ١٩ – ١١ – ١٣٦٨ (١٢ سبتمبر ١٩٤٩م) .

٢ من أعظم أعمال مرسي بدر بك أنه منع الرقص في المدارس وأجبر الطالبات والمدرسات أن يرتدين ملابس ساترة ، لا يبين الا الوجه والكفان وليس غير ، ومنع ابتعاث البنات والنساء الى أوروبا للتعليم ، إلا لندن ، لأن فيها بيتاً للطالبات تشرف عليه سيدة جليلة .
وكان لمرسي بدر أعمال أخرى إسلامية صالحة ، منها تشجيع اقامة الصلاة بالمدارس وكليات الجامعة ، وكانت له مشروعات إسلامية عظيمة يريد تنفيذها ، ولكنه لم يبق في الوزارة بعد ذلك إلا شهرين .
الا أن تاريخ الإسلام المعاصر لا ينسى أنه كان من أعظم المصلحين الإسلاميين في هذا العصر . جزاه الله كل خير ورحمه رحمة واسعة .

قال سلامة موسى : « ونحن نقرأ هذه الأيام عن حركات يراد منها تقييد التعليم في الجامعــة ، وبعث التعليم الديني في المدارس على الرغم مما سيحدثه من خلاف وشجار بين المسلمين والأقباط » .

وقال : « وعباس العقاد أيضاً يقول بأننا نكون شيوعيين حين نقول بفصل الدين عن الدولة ، فهل فهم نهرو ذلك أيضاً، وهل كان شيوعياً عندما فصل دولة الهند عن ديانتها الهندوكية ؟ إن لنهرو مذهباً في الوطنية وللرجعيين في مصر مذهباً آخر ، فأيهما أصح ؟ » .

وقال : « وأعود فأطلب المقارنة بين الساسة الهنــود والساسة العرب في أقطار الشرق العربي كلــه ، وأعود فأتساءل : هل نحن المصيبون وهم المخطئون أو العكس ؟ لقد فصلت الهند الدين عن الدولة في حين أننا شرعنا في تعليمه بالمدارس وجعلناه مادة أساسية » .

وهذا القول من سلامة موسى يدل على عداء بشع للإسلام وجهل به وبالهندوكية معاً ، فالهندوكية ليست كالإسلام ديناً يدين ويحكم ، ديناً يمسك بالدنيا والآخرة معاً ، بالحــاضر والمستقبل ، بالواقع والمغيب ، ديناً قيماً ، إنه دين وثني ينكر الدنيا ولا يعترف بالآخرة .

وطبل المستعمرون لسلامة موسى وزمروا ووصفوه بأنـه المفكر الحر فرد عليه زكي مبارك في « البلاغ » رحمـه الله وغفر له وقال : « ان سلامه موسى مفكر حر على طريقة الغرور » .

والقرآن اليوم غريب في مدارس الأقطــار الإسلامية ، وأغلقت في كثير منها مدارس استظهار القرآن ، وفي بلادنا أم الإسلام ومهد القرآن بضع مدارس ، وندر بيننا من يشجع ولده على حفظ القرآن غيباً، وإن أبناء لنا خرجوا من الجامعات لم يختموا القرآن .

وبلغ أعداء الإسلام غايتهم وحققوا مأملهم وزووه في أضيق الحدود، و « عطلوه » فلا يحكم به في أي بلد من بلدان الاسلام .

بل صار من المسلمين من يفخر بأنه لم يقرأ القرآن ، لأنـه لا يملك

وقتاً يشغله بقراءة كتاب كهذا ، في الوقت الذي كان المسيحيون يفخرون بأنهم يحفظونه وأنهم يديمون عشرته مثل مكرم عبيد والدكتور رمسيس جرجس عضو المجمع اللغوي بمصر ، ومئات من الأقطاب في المسيحية .

لقد انتصر اعداء الاسلام في هذا الميدان واستطاعوا ان يحملوا المسلمين على ترك القرآن وإهماله ، وزاد انتصارهم وتأزر عندما قضت حكومات عربية اقطابها مسلمون على جمعيات القرآن والاسلام وقتلوا اصحابها رجالاً ونساء واطفالاً .

ولكن لغة القرآن يجب ان تزول ، لأن في العالم العربي والاسلامي ملايين يقرأون القرآن طواعية واختياراً ، وملايين يقرأون آيات منه في المدارس كشواهد في علوم العربية ، وهذا شيء لا يرضي قوى الشر المتمثلة في الشيوعية والصهيونية والاستعمار .

وقد ادرك الاستعمار ان الشعوب العربية والأمة الاسلاميـــة في كل اقطارها لن يدوم سباتها ولا بد ان تستيقظ وتعرف حقوقها وتأخذ استقلالها وتنال حريتها ، فاتخذ للأمر عدته ، وكانت خطته ان يجعل المسلمين وبخاصة المسلمين العرب في بلدانهم المستقلة كالسجناء في سجن كبير ، يخيل اليهم انهم احرار ، ولكن آلاف الطرق الذي به لن تفضي بهم إلا إلى داخله ، وجعلوهم يحسون بالحرية إحساس المستعمر .

خرج الاستعمار بعد ان جعل الشعوب المستعمرة ينعمون بحرية العبيد ، ولا يحسون بانسلاخهم من عاداتهم وديانتهم وتقاليدهم، بل يبتهجون من تحررهم منها .

انحسر ظل الاستعمار السياسي ، ولكن نفوذه هو الذي يحكم ، فتم فصل الدين عن الدولة ، وصارت دول المسلمـــين تتفاخر بأنها فصلت الدين عن الدولة ، وفي بعضها « ألغي » الاسلام رسمياً كما تم في تركيا على يد مصطفى كمال .

مع ان للدين سلطاناً في اوروبا ، فلا يمكـــن ان يتولى ملك عرش

بريطانيا إلا بعد ان يقوم رئيس اساقفة كنتربري بتتويجه؛ وقانون بريطانيا يحتم ذلك وإلا لا يتم التتويج إذا لم يقم الرئيس الديني الأعلى بوضع التاج على رأسه .

وإن في استطاعة هذا الرئيس خلع الملك إذا اراد .

وليس في الأرض دولة غير الدول الشيوعية تم فيها فصل الدين عن الدولة، فلم يتم في بريطانيا فصل بعضهما عن بعض، فهي دولة بروتستانتية ، وفرنسا وايطاليا كاثوليكيتان ، وامريكا كاثوليكية وبروتستانية ، والهند برهمية ، والصين الوطنية بوذية ، والصين الأم برغم الشيوعية بوذية ، وهكذا كل دول العالم لم تنسلخ من الدين .

والذي تم هو فصل الكنيسة عن الدولة ، والكنيسة غير الدين ، والاسلام لا يعامل معاملة المسيحية ، فلا تتم الحياة السياسية والعلمية والاقتصادية والتجارية والمالية والحربية وغيرها بفصل المسجد عن الحكم او الدولة ، لأن الاسلام خال من الكهنوت ، وفي وسع كل مسلم ان يصبح إماماً في المسجد ، لأنه ليس في الاسلام رجل دين ، بل كل مسلم رجل دين .

ولكن تم للاستعمار ان يعزل الدين عن الدولة وولى الحكم من ليس بأهل ، فقد قابلت كثيراً من الحكام لا يعرفون من الاسلام إلا الشهادة، ويجهلون ما عداها .

وتبع فصل الدين عن الدولة إضعاف القرآن ولغته وادب العرب وانحلال الخلق وفساد الضمائر وانحطاط الأساليب والفنون عامة .

وخرج الاستعمار ولكن بعد ان دمر الدين والخلق ، ووضع الخطط التي تقضي على القرآن والدين واللغة ، وتمحو الشعور الاسلامي العظيم ، فأزال علوم الدين والعربية من المدارس ، وما ابقى منها صبغ بصبغته لأنه هو الذي وضع مناهج التعليم والثقافة ، وجعلها صادرة من مسيحيته وفلسفته وحضارته ، وفرض الشخصية الغربية فرضاً ، وكل الدروس

– حتّى الدينيّة – تفضي إلى التأثر بهذه الشخصيّة .

إن الدروس الدينية تدرس على أنها « مادة » روحيـة لا علاقة لها بالمجتمع ، وتاريخ محمد صلى الله عليه وسلم نفسه يدرس على أنه سيرة من السير ، بعيدة عن نطاق الوحي والرسالة والنبوة ، تاريخه : ولادة وغزوات ثم انتقال إلى الرفيق الأعلى مثلما يدرس تاريخ أي إنسان، مثل تاريخ الإسكندر او نابليون او شكسبير او اي ملك من الملوك أو القادة .

ويدرس تاريخ الإسلام ممسوخاً باسم البحث العلمي والنزاهة والحرية حتى يجردوا الدارس من الحب والإعجاب والاحترام لتاريخه ثم عقـد مقارنات في غاية من اللباقة والمهارة تهبط بتاريخ الإسلام وبتاريخ محمد عليه الصلاة والسلام .

ودروس العلوم المختلفة تنقل الطالب من بيئته إلى بيئـة الغرب حتى ينتهي إلى ايمان بعظمة الغرب وثقافة الغرب وأدب الغرب .

وكل هذا يؤدي إلى حصار القرآن تمهيداً للقضاء عليه ، فالدين الذي ارتضاه معزول عن الحكم مفصول عن الزمن ، وشريعة القرآن لا تصلح فاستبدلوا بها شرائعهم التي يختلف عليها التغيير مع اختلاف الزمن والحال، وآداب القرآن رجعية لا تتفق مع تقـدم العصر وحضارته ، ولغته لغة الارستقراطيين أعداء الشعب ، ودعوته تناقض ما رضي عنـه العالم من رقص وزنا وفجور وخلاعة ومجون وآداب وتمثيل وفنون .

وفي كتابنا هذه نأخذ جانب الفنون والآداب ، فهـي التي من أجلها أقمنا كيانها .

إن أعظم أدباء الغرب وجميعهم مسيحيون ، والمسيحية ملتقى الوثنيات السابقة ، وإنني أستطيع ان أرد كل جزئية من جزئيات المسيحية وكل كلية من كلياتها إلى الوثنية ، بـل استطعت ذلك في كتابي « المسيحية والمسيح » وبرهنت على ذلك بأقوال أئمتهم وفلاسفتهم وبواقع التـاريخ والكشوف العلمية والأثرية .

وهؤلاء الأدباء والشعراء والقصاصون لم ينسلخوا من ديانتهم ، بل بنوها على أسسها المختلفة من شرائع وتعاليم وحوادث ونصوص ودلالات، وصوروا بيئاتهم ومجتمعاتهم القائمة على الديانة ، ووجدوا حرية لا حد لها ومتنفساً واسعاً أوجدتها المسيحية المبنيَّة على التثليث والخطيئة والفداء والصلب والخلاص .

وما من شك ان الديانات القديمة الوثنية استعانت الفنون من أدب وتمثيل ورقص وموسيقى ونحت ونساء لتسيطر على عبادها وتتسلل إلى قلوبهم ، ونظرت الى الفجور على أنه عمل ديني مقدس ، فكان من هذه الديانات ديانات قائمة على العهر المقدس كما يصفون ، وعبدوا آلهة الفسق والفجور مثل « عشتار » أو « عشتروت » التي غذت بفجورها الشرق الأوسط كله ثم انتقلت إلى اليونان الوثنية .

وآلهة اليونان الوثنية آلهة فسق وفجور وعدوان على أعراض الآلهة والبشر مثل «زوس» أشهر آلهة اليونان إطلاقاً ويسمى «جوبيتر» وهو والد الإله « أبولون » جاء به سفاحاً من « لاتون » ابنة عمه .

وأبولون المولود من سفاح استهوى شاعراً من جدة فاتخذ اسمه اسمه، وكان يذيل به قصائده السخيفة القذرة العفنة الوثنية ، فكان أول شاعر وثني في بلادنا ، مجّد الوثنية وسبح بمجدها كثيراً ، ومنذ أربعين سنة حتى اليوم وهو يمجدها في شعره السخيف .

إن أدب المستعمر الوثني أثر في ادب العرب الحديث ، ووصل إلى بلادنا قبل أربعين سنة ، ومن حسن الحظ لم يجد غير شاعر واحد يستقبله وأخذ يحتفي به ويعتنقه ويتأثر به حتى تمتلىء به كتاباته .

إن الاستعمار عارف ان الاسلام دين توحيد ، حارب الوثنية والوثنيين وحطم الأوثان والأصنام ، وأصبح هو الدين الوحيد الذي جاء بالتوحيد بعد أن استحالت المسيحية واليهودية ديانتين وثنيتين ، وبقي كذلك دين توحيد ، ولم يرقه ذلك فحبب إلى الأدباء والشعراء والكتاب معاشرة

الألفاظ الوثنية وإلفها وصداقتها تمهيداً لمزاحمة عقيدة التوحيد .

وبعض شعرائنا أدركوا مقصد الاستعمار فتركوا كلمات الوثنية ولكن منهم من التزمه حتى اليوم ، وسنشير إلى هذا الشاعر الوثـني في فصل خاص من هذا الكتاب .

دعاة العامية يحاربون الفصحى

غَزْوُ الصليبيين والصهيونيين والشيوعيين الاسلامَ ليس في ميدان، بل احكموا خطتهم ووحدوا قواهم وحاصروا القرآن الكريم — كما ذكرنا — من جميع جهاته تمهيداً للقضاء عليه ، ولم تكفهم الحملات التي سيروها، والحروب التي شنوها ، والأجراء الذين حشدوهم، والأعوان الألى بثوهم في كل اقطار العروبة والاسلام ودسّوهم بين العرب والمسلمين يفسدون عليهم حياتهم ومجتمعهم ودينهم كما فسدت الحياة عندهم .

لم يكفهم هذا فواجهوا اللغة العربية وجهاً لوجه ، لأنها لغة القرآن، ومن تمام الحصار وإحكام حلقته مواجهة هذه اللغة الكريمة التي نزل بها القرآن على محمد عليه الصلاة والسلام .

واجهوا لغة القرآن وحاصروها على حدة ليجهزوا عليها بعد إثخانها جراحاً .

زعموا ان العربية لغة غير صالحة ، وان قواعدها معقدة ، وإعرابها صعب ، وانها تراث بدو لم يكن لهم نصيب من العلم والثقافة والحضارة وانها لغة الدين التي جمدت به...إلى عشرات التهم والأباطيل ، فصدق منا ضعفاء في الدين واللغة زَعَماتهم .

والقصد من ذلك تحطيم الفصحى وإحلال العامية محلها ، ومتى تحقق فقد قضوا على القرآن وكل التراث العربي والاسلامي قضاء تاماً ، لأنه متى اصبحت العامية لغة الكتابة فقد قضي على الفصحى ، وعندئذ يوضع القرآن وكل تراث العرب والمسلمين في ظلام الخزائن او الأقبية إلا للآحاد الذين يقومون بما يقوم به الباحثون في الأحافير وتحت طبقات الأرض .

وبدأت دعوة العامية منذ أكثر من قرن ، وأخذ اللاحقون يتسلمونها من السابقين حتى انتهت إلى لويس عوض وذيوله .

أرادوا ان يضربوا القرآن في الصميم بضرب الفصحى في المقتل ، فقاموا بهذه الدعوة التي احكم تدبيرها المستعمرون لتسير مع حروبهم التبشيرية ضد الاسلام وبخاصة القرآن .

ومن « صفاقة » المستعمرين دعواهم الغيْرة على أبناء العربية عندما يقومون بدعوتهم الفاجرة إلى العامية ، فيدعون ان القصد رفع مستوى الشعب ادبياً وعلمياً وثقافياً وحضارياً .

إدّعوا هذا وهم يعلمون حق العلم انهم يكذبون ويخادعون ويضللون ، فرفع مستوى الشعب البريطاني أو السويسري او غيره من الشعوب الراقية لم يحتم اتخاذ العامية ، وما كانت العامية لترفع المستوى وهي هابطة مبتذلة .

وانطلقت دعوة العامية من أناس أقل صفاتهم وأبرزها عدم صداقة الاسلام ، بل عداوة الاسلام دفعتهم إلى هذه الدعوة كما دفعهم ذكاؤهم إلى ادعاء الغيرة على الأمة العربية ليتم لهم الخداع وبلوغ القصد وتحقيق الأمل .

ومن ذا يصدق ان ولهلم سبيتا الألماني وكارل فولرس الألماني والسير وليم ولكوكس الانكليزي غُيُرٌ على لغة القرآن والاسلام ومحمد عليه الصلاة والسلام ؟

من يصدق ان سلامة موسى القبطي ولويس عوض الصليبي يحبان لغة القرآن ويغاران عليها بعد أن ملأت تصريحاتهما بازدراء الفصحى وتمجيد العامية صحفاً كثيرة .

لا غيرة في الأمر ولكن الحقد الأسود الملتهب على الإسلام دفع أولئك الناس وذيولهم أمثال سلامة ولويس إلى هذه الدعوة التي وجدت من أبناء أمتنا من يتحمس لها ويدافع عنها ويدعو إليها في اخلاص لا حدّ له ، وجد من بيننا وفي بلادنا وفي صحفنا من يدعو هذه الدعوة نفسها بأسلوب دعاتها ، وليجعل لمزاعمه قيمتها العلمية والأدبية يحتج بكلام لويس عوض الذي قال في بعض ما كتب أنه « سكت مؤثراً أن يتولى الدفاع عن رأيه مسلم لا مجال للطعن في نزاهته » .

وأظن هذا المسلم هو الذي أشار اليه لويس عوض،ولكن مجال الطعن في نزاهة هذا المسلم كثير ، وسيأتي تفصيل القول في مكانه من هذا الكتاب .

وحملة القضاء على الفصحى فرع من الحرب الصليبية،فكما انالمتحاربين يقتلون الأفراد والمدن والمصانع كذلك أعداء الإسلام يقتلون كل ما له صلة به ، وينقضون كل أساس يقوم عليه ، والقرآن أساس الإسلام وجوهره وكتابه ، وزعموا فيه زَعمات أشرنا إلى بعضها ، وطعنوا في نبي الإسلام صلى الله عليه وسلم ، وعرفوا ان الفصحى لغة هؤلاء .

لغة القرآن ، ولغة الاسلام ، ولغة محمد عليه الصلاة والسلام ، ولغة كل تراث المسلمين .

وجدوا مسلمين من الصين والهند وجاوا وافغانستان وبخارى وطاشكند وتركستان وكل أقاليم ما وراء النهر والقرم وتركيا وبلاد الكرد والهند والسند وبلدان إفريقيا ومن اوروبا يكتبون بلغة واحدة،يؤلفون رسالاتهم وكتبهم ومحاضراتهم بلغة القرآن ، فهي « الجامعة » فيما بينهم مع تفرق الديار الاسلامية وخضوعها لمستعمرين من دول غربية شتى .

وهالهم الأمر فاتجهوا إلى هذه « الجامعة » القائمـة على أساس لغـة القرآن وبدأوا حربهم وهم مستعدون بكل وسائل الهدم والتدمير .

زعموا : ان لغة القرآن صعبة ، وقواعدها معقدة ، وتعليمها شديد الصعوبة ، وخطها عقيم ، وطريقة الكتابة بهذا الخط عقيمة ، بل العربية غريبة على العرب أنفسهم ، وتشبه غرابتها غرابة اللاتينية للغة الايطالية، والتزام الكتابة العربية القديمة يحول دون وجود أدب حقيقـي ويقف في سبيل نموه وتطوره .

بل زعموا ان الأدب العربي كله غير صالح ، والقرآن أيضاً .

وزعموا وزعموا وزعموا ...

ولا أعلم بالدقة تاريخ الحرب التي أعلنتها الصليبية على العربيـــة ولا أول من بدأ بها، ولكن الذي أعلمة هو ان المستشرق الألماني ولهلم سبيتا (١٨١٨ — ١٨٨٣ م) الذي كان موظفاً بدار الكتب المصرية من القادة المجلين في هذا المضمار .

إن سبيتا عاش في مصر وسكن في أحيائها ، وعاشر المصريين عامة وخاصة ، وحضر حفلاتهم ، وسمع خطب الجمعة والعيدين ، فإذا الخطب باللغة العربية الفصحى ، وسمع بعض أغانيهم وفيهـا بالفصحى ، وكان الشعب المصري الذي كان أمياً عامياً يفهم خطب الجمعة والعيدين، ويردد الأغاني الفصيحة ويفهمها ، وعاميته وأميته وجهله وسذاجته لم تمنعه من فهم ما يلقى بالفصحى ، بل كان يفهم كثيراً من آيات القرآن ويفهم بعض حديث رسول الله ، فأدرك سبيتا أن الإسلام بخير لأن لغة القرآن والحديث العالية لم تصده عن فهم بعض ما فيها ، كما أن لغـة الخطباء الفصيحة لم تمنعه عن فهمها ، فلا بد من قذيفة تنقض الفصحى .

وأرسل قذيفة في كتاب ألفه وسماه « قواعد اللغة العامية في مصر » أعلن فيها الحرب في أسلوب الغيور على الشعب، الحريص على إنقاذه من الجهل فقال في المقدمة :

« وأخيراً سأجازف بالتصريح عن الأمل الذي راودني عـلى الدوام طول مدة جمع مواد هـذا الكتاب ، وهو أمل يتعلق بمصر نفسها ، ويمس أمراً بالنسبة لها وإلى شعبها يكاد يكون مسألة حيـاة أو موت ، فكل من عاش فترة طويلة في بلاد تتكلم العربية يعرف إلى أي حد كبير تتأثر كل نواحي النشاط فيهـا بسبب الاختلاف بين لغة الحديث ولغة الكتابة » .

ويقول سبيتا في المقدمة :

« ففي مثل تلك الظروف لا يمكن مطلقاً التفكير في ثقافة شعبية ، إذ كيف يمكن في فترة التعليم الابتدائي القصير أن يحصل المرء حتى على نصف معرفته بلغة صعبة جداً كاللغة العربية الفصحى » .

ويقول : « وطريقة الكتابة العقيمة أي بحروف الهجاء المعقدة يقع عليها بالطبع أكبر قسط من اللوم في كل هذا ، ومع ذلك يكون الأمر سهلاً لو أتيح للطالب أن يكتب بلغة إن لم تكن هي لغة الحديث الشائعة فهي على كل حال ليست العربية الكلاسيكية القديمـة ، بدلاً من أن يجبر على الكتابة بلغة هي من الغرابة بالنسبة إلى الجيل الحالي من المصريين مثل غرابة اللاتينيـة بالنسبة إلى الايطاليين ، وبالتزام الكتابة العربية الكلاسيكية القديمة لا يمكن أن ينمو أدب حقيقي ويتطور » .

فولهلم سبيتا يتهم اللغة العربية بأنها صعبة جداً ، والاختلاف بين لغة الكتابة ولغة الحديث يؤثر في كل نواحي النشاط ، والتزام الفصحى يحول دون نمو الأدب وتطوره .

وسنفند هذه الزعمات بعـد أن نضيف اليها أباطيل أمثاله من دعاة العامية وأذنابهم في بلادنا .

وصدر كتاب سبيتا سنة ١٨٨٠ م وذلك بعد أن بشر بآرائه التي لقيت رواجاً وحفاوة من أمثاله ، وكان كتابه « إنجيلاً » لدى أعداء الاسلام والقرآن ولغتها فتدارسوه ووعبوا ما حواه ، وأخذوا يبشرون به .

ونهضت مجلة « المقتطف » تحمل الراية وسبيتا حي تسنده وتشد أزره وتنصره ، واقترحت اتخاذ لغة الحديث (اللغة العامية) في كتابة العلوم، وصاغت بأسلوبها آراء سبيتا ، ونقلت به حججه ، بل ذكرت تشبيهه نفسه وهو « غرابة اللاتينية بالنسبه إلى الإيطالية » .

ومنذ صدور أول عدد من المقتطف سنة ١٨٧٦ م على يد صاحبها يعقوب صروف لم تكتب بحثاً واحداً بلغة الحديث .

وصلة يعقوب صروف ومقتطفه بالصليبيين غير مجهولة ، بل هما منهم لاتخاذهما دعوتهم ودعاواهم في حطم الفصحى لغة القرآن .

ومنذ صدور كتاب سبيتا بدأ نشاط الدعوة ومحاربة الفصحى يأخذ طابع الجد ، واتسع ميدانه لأن مجلة المقتطف تولت نشر آراء سبيتا دون أن تذكر انها تتبناها ، وانضم إلى المعسكر آخرون ، منهم كارلو لندبرج المستشرق الاسوجي الذي سمى نفسه « عمر السويدي » مؤلف فهرست المخطوطات العربية المحفوظة في مكتبة بريل في ليدن .

قام لندبرج يدعو إلى العامية فقدم في مؤتمر اللغويين المنعقد في ليدن سنة ١٨٨٣ م تقريراً مفصلاً في اتخاذ اللغة العامية لغة الكتابة في العالم العربي .

وإذا كان المبشرون الصليبيون والمستعمرون قد دفعوا لندبرج لحمل راية الدعوة إلى العامية فإنه لم يكن كارهاً أو مكرهاً ، فما دفعوه اليه صادف في نفسه هوى لأنه يحقد على الاسلام حقد من دفعوه، فدعا إلى العامية ، وقدم آراءه ومقترحاته التي تحقق سيادة العامية وغلبتها على الفصحى .

وحضر ذلك المؤتمر مستشرقون أيدوا لندبرج ، ولكن جهودهم لم تثمر ، إلا أن عزائمهم لا تعرف الكلل والملل واليأس ، فنهض « كارل فولرس » Vollers المولود سنة ١٨٥٧ م والهالك سنة ١٩٠٩ م منضماً إلى معسكر الدعاة .

وفولرس مستشرق ألماني كان أحد أساتذة جامعة « يانا » بألمانيا ، ثم جاء إلى مصر وصار أمين المكتبة الخديوية بالقاهرة ، وألف رسائل في اللغة العامية المصرية، وأشهرها كتابه « اللهجة العامية الحديثة في مصر » ونشره سنة ١٨٩٠ م .

وكتاب فولرس لا يخرج عن كتاب «سبيتا» فالغاية واحدة، والأسلوب واحد ، والمثال نفس المثال ، والمطلب هو المطلب ، والتهمة هي التهمة ، ووصم فولرس اللغة العربية بالجمود والعسر والصعوبة وفقدان صلاحها .

وانضم إلى سبيتا والمقتطف وفولرس مهندس انجليزي اسمه وليم ولكوكس، ولد في الهند سنة ١٨٥٢ م وتعلم بها، ووظفته الحكومة البريطانية في مصر، وخطط خزان أسوان وأشرف على بنائه سنة ١٨٩٨ م وتوفي بمصر سنة ١٩٣٢ م .

وولكوكس مثل هؤلاء في ادعاء الغيرة على المصريين جميعاً ، ودفعته غيرته على إصلاح الشعب المصري ورفعته وعلو مقامه في الآداب والعلوم والفنون والحضارة وتمنّي الحياة السعيدة له مثل المستعمرين .

وكان لولكوكس مكانة في مصر ، فهو إنجليزي ومهندس ، ويحسن الخداع والتضليل ، ويعرف العربية فألف محاضرة ألقاها على كثير من المثقفين والمتعلمين من إنجليز وفرنسيين ومصريين وسوريين ، وكرر غير مرة إلقاء المحاضرات التي يعلن فيها الحرب على اللغة العربية .

وأولى محاضراته التي ألقاها سنة ١٨٩٣ م هاجم فيها الفصحى واتهمها بالجمود ، وزعم أنها هي التي تعوق المصريين عن التقدم ، بل زعم أن الفصحى هي التي عاقتهم عن الاختراع وسلبتهم ملكة الابتكار، وادعى أنها ماتت بسبب صعوبتها وجمودها ، ودعا الى هجرها .

وفي سنة ١٩٢٧ م (١٣٤٥ هـ) ألقى ولكوكس محاضرة جمع فيها كل تجاربه واختباراته وانتهى منها إلى أن يطلب الى العرب هجر لغتهم هجراً شديداً .

وكل ما رآه أو ألقاه في اللغة من خطب لا يخرج عما أشرنا إليه ، وها نحن أولاء ننقل بعض نصوص من خطبته التي ألقاها سنة ١٩٢٧ م (١٣٤٥ هـ) من مجلة الهلال في أحد اعدادها الصادرة في تلك السنة ؛ وهي نصوص وردت في مقـال لسلامة موسى بعنوان « اللغة الفصحى واللغة العاميـة ورأي السير ولكوكس » نشر في العـدد الذي سلفت الاشارة إليه .

يقول ولكوكس :

« يسهل علينا أن نرى الأثر المخدر تحدثه الألفاظ الرنانة التي لا تفهم منها لفظة واحدة في نفس السامع ، وسماع مثل هذه الألفـاظ يقتل في الذهن كل ابتكار بين أولئك الذين لا يقرأون كما تقتله أيضاً في نفس الطالب تلك الدروس التي تلقى عليه باللغة الفصحى المصطنعـة التي تبلغ الرأس دون القلب فتمنع من يتسَمَّوْن العلماء في هذه البلاد من التفكير البكر ، فقد عشت في مصر أربعين سنة فلم أجد فيها مصرياً واحـداً يفكر فيها تفكيراً حراً ، فإن قوة المصريين الذهنية يستنفدها على الدوام جهدهم في أن يترجموا ما يقرأونه باللغة الفصحى إلى اللغة المصرية المألوفة، ثم هم عند الكتابة يترجمون ما فهموه بهذه اللغة إلى اللغـة الفصحى ، وهذا العمل ضرب من التسخر الذهني » .

ويقول ولكوكس :

« قضيت عشر سنوات حين كنت في خدمة الحكومـة المصرية وأنا أشرف على مدرسة الهندسة وأمتحن طلبتها وكنت أجد بين الطلبـة من يعدون حقاً من الأذكياء ، ولكنهم كانوا يسيرون في دروسهم ببـلادة لأنهم كانوا يقرأونها باللغة الفصحى المصطنعة وليس باللغة المصرية الحية، وكانوا لا يجدون أدنى مشقـة في فهم الرياضة النظرية ، فإذا طولبوا بالتطبيق عادت اليهم روح التسخر الذهني ، وكان ذوو الذكاء الواعد ينتهون في الآخر إلى لا شيء » .

ويقول سلامة موسى في مقاله الذي نقلنا منه هذه الشواهد : « والهم الكبير الذي يشغل بال السيد ولكوكس بل يقلقـــه هو هذه اللغة التي نكتبها ولا نتكلمها فهو يرغب في أن نهجرها ونعود إلى لغتنـــا العامية فنؤلف فيها وندوّن بها آدابنا وعلومنا » .

ويقول سلامة موسى : « وقد خطب (أي ولكوكس) منـذ أشهر خطبة عن هذه اللغة جمع فيها اختباراته عنها وارتأى فيها ان هذه العامية التي نتكلمها في مصر ليس لها علاقة بالعربية الفصحى ، فكل منها لغة متميزة عن الأخرى ، ونحن لم نكتسبها عن العرب ، وإنما نزلت إلينا من الهكسوس الذين قاموا في مصر نحو ٥٠٠ سنة ، وان طريقة النفي المزدوج حين نقول : « أنا ما عملتش » هي طريقة لا يعرفها العرب ، وإنما جاءتنا من الهكسوس الذين انتشرت لغتهم في أقطار عـديدة حول مصر حتى بلغت مالطة ، وهذه اللغة تعبر الآن عن مزاجنا وتقوم بالمعاني التي تختلج في أذهاننا ، أمـــا اللغة الفصحى فهـي « الهيروغليفية » التي يترجم كتابنا وطلبتنا إليها خواطرهم وأفكارهم كما ينقلونهـا أحياناً إلى الإنجليزية أو الفرنسية ويرطنون بألفاظها المحفوظة من الكتب » .

ويقول سلامة موسى : « والسير ولكوكس ... إنما يدعونا إلى هجرة اللغة الفصحى هجراً تاماً واصطناع العامية ، وقد ترجم هو نفسه الإنجيل إلى اللغة العامية المصرية فوفق فيه إلى ترجمة حية يقرؤها المصري فيلـذ له الاسلوب ويرى فيه جواً مألوفاً يشم منـــه النكهة البلدية ، وهو في اعتقادي أوقع في النفس من الإنجيل المترجم إلى اللغة الفصحى » .

وما دمنا بصدد سلامه موسى فلننقل بعض آرائه التي جاءت بمقالـه في تمجيد ولكوكس والعامية ومحاربة الفصحى .

يقول في عدد الهلال الصادر في سنة ١٩٢٧ :

« والتأفف من اللغة الفصحى التي نكتب بها ليس حديثاً ، إذ هو يرجع إلى ما قبل ثلاثين سنة حـين نعى قاسم أمين عـــلى اللغة الفصحى

صعوبتها وقال كلمته المشهورة : « إن الأوروبي يقرأ لكي يفهم ، أما نحن فنفهم لكي نقرأ » أو ما معناه ذلك ، وقد اقترح أن يلغى الإعراب فتسكن أواخر الكلمات كما يفعل الأتراك ، وقام على أثره منشىء الوطنية المصرية الحديثة أحمد لطفي السيد فأشار باستعمال العامية أي لغة العامة ، ولكن هؤلاء العامة الذين انتصر للغتهم كانوا من سوء القـــدر لأنفسهم بحيث تألبوا عليه وجازوه جزاء لا يأتي إلا من العامـة الذين لا يدرون مصالحهم ، وفي العام الماضي حدثت في سوريا مثل هذه الحركة فألف فاضل رسالتين دعا فيهما إلى اصطنـاع العاميـة السورية بدلاً من اللغـــة الفصحى ، واستند في دعوته إلى ان اللغة العامية أوفى تعبيراً وأدق معاني وأحـلى ألفاظاً من اللغـــة الفصحى ، وانها لذلك يجب إيثارها على اللغة الفصحى ، وقد هبت الصحف السورية والفلسطينية حتى العراقية تقبـح رأيه وتنسبه إلى ضعف الحمية الوطنية مع أن المنطق أحرى بأن ينسبه إلى قوة هذه الحمية التي غلبته حتى أخرجته من شيوعية القومية العربية حتى حصرته في حدود الوطنية السورية » .

ويقول : « ولست أحمل على اللغة الفصحى إلا لسببين : أولهما ، صعوبة تعلمها ، وثانيهما عجزها عن تأدية أغراضنا الأدبية أو العلمية ، أما من حيث الصعوبة فإنه يكفي أن نقول : إننا نتعلمها كما نتعـلم لغة أجنبية » .

ويقول : « إن نكبتنا الحقيقية هي ان اللغة العربيـة لا تخدم الأدب المصري ولا تنهض به ، لأن الأدب هو مجهود الأمة وثمرة ذكائها وابن تربتها ووليد بيئتها » .

ويقول : « ولست أشك في أن اللغة العامية تفضل اللغـــة الفصحى وتؤدي أغراضنا الأدبية أكثر منها » .

ويقول : « إننا نرطن الفصحى رطانة ولم تشربها بعـدُ نفوسنا ، ولا أمل في أن تشربها لأنها لغة غريبة عن مزاجنا » و « إن هذه اللغة هي

لغة بدوية ، والثقافة هي بنت الحضارة ، وليست بنت البداوة ، ولذلك يشق علينا جداً أن نضع معاني الثقافة في هذه اللغة سواء بالترجمة أم بالتأليف » .

وكنت أود أن أوصل بحث الدعاة بالتسلسل التاريخي حسب قيامهم بالدعوة ، غير ان آراء ودعاوى وردت في كلام ولكوكس وسلامة يجب ان نفندها حتى لا تطول المسافة بذكر هذا التسلسل فننسى ما ورد في كلامهما من هذر وباطل ، على أن نرد على أباطيلهما وأباطيل أمثالهما بعد أن نذكرهم .

دعوى ولكوكس ان العامية المصرية لا علاقة لها بالعربية هي دعوى باطلة مردودة ، فهي بنت الفصحى ، شوهها البعد عنها،وكلماتها هي كلمات الفصحى ، وسقوط الاعراب لا يبعدها عن أمها .

أما زعمه ان « أنا ما عملتش » هو على طريقة النفي المزدوج التي لم يعرفها العرب وإنما جاءتهم من الهكسوس فدليل جهل ولكوكس وجهل سلامه موسى نفسه ، فالشين من « عملتش » ليس أداة نفي،بل « ما » هي أداة النفي ، وأصل العبارة باللغة العامية هي : « أنا ما عملت شي » أي أنا ما عملت شيئاً .

وفي العاميات المختلفة بالبلدان العربيـة يقولون : « أنا ما عَمَلْتْ شِي » و « أنا ما عمِلت شَيْ » وفي العامية المصرية « أما ما عملتِش» فالشين مقطوعة من كلمة « شيء » تخفيفاً ، ولذلك نظائر في الفصحى وفي اللغات العامية ببلدان العالم العربي ، ففي نجد يجيبك المنادى بكلمة « سَمْ » وهي مقطوعة من كلمة « سمعاً » أو « سَمْعٌ » فاذا وقفت على الكلمة الأخيرة قلت : سَمْعْ ، ومخرج الميم من انطباق الشفتين ، ومخرج العين من الحلق ، فإذا ضممت الشفتين عند نطق الميم الساكنة لم تكد العين تظهر .

وإذا كانت اللغة الفصحى — كما يدعيان — هي التي منعت المصري

من الاختراع ، فلماذا لم تدفع اللغة الانجليزية أو الألمانية الإفريقيين الذين يتقنونها إلى الاختراع وتمكنهم من الابتكار ؟!

وفي مصر آلاف يجيدون الانجليزية كالإنجليز ومع هـذا لم يدفعهم إتقانهم وإجادتهم إياهـا الى الاختراع ، بل الإنجليز يجيدون لغتهم ، ولكنهم ليسوا جميعاً بمخترعين .

وإن اللغة العربية الفصحى لم تمنع علماء العرب من الهندسة والكيمياء والفلك والجبر والرياضيات والطب من الاختراع .

وعندما اخترع الإنسان « الخبز » الذي يعـد اختراعه بنسبة عصره مثل اختراع القنبلة الذرية في عصرنا لم يكن مخترع الخبز يتكلم أي لغة فصحى .

وأما دعوى صعوبة تعلمها التي جعلاها سبب طلب هجرها فهي أشد بطلاناً من الدعوى السابقـة ، فالعلوم من كيمياء وفيزياء ورياضيات مختلفة وهندسة ليست أسهل من اللغة العربية ، بل هي أشد منها صعوبة :

أفتحملنا هذه الصعوبة التي يعترف بهـا أساطين العلوم على تركها وهجرها ؟

إن هذه الصعوبة حملت أساطين العلم على اقتحام المجهول والمتيّهات فكانت هذه الكشوف العلمية العظيمة .

ووجود لغة عامية لا يقضي بقتل الفصحى ، فالذين يتكلمون الانجليزية في بلادها لا يتكلمون جميعـاً الانجليزية الفصحى ، بل بجانبها لغات إنجليزية عاميـة ، ويختلف سكان كل مقاطعة في عاميتهم عن سكان المقاطعات الأخرى ، بل سكان لندن يختلفون عن سكان منشستر ، وسكان هانوفر المدينة الألمانية يختلفون في لهجتهم العامية عن سكان برلين .

ونعود لصلة ما انقطع فنقول : إن معسكر دعاة العاميـة الذي يضم كثيراً من أبرزهم سبيتا وفولرس وولكوكس الأوروبيين قـد انضم إليه « سلدن ولمور » أحـد قضاة المحاكم وهو إنجليزي ، وألف كتاباً سماه

« العربية المحلية في مصر » وأصدره سنة ١٩٠١ م دعا فيه مثل سابقيه إلى هجر الفصحى واتخاذ العامية ، ودعا الى هجر الخط العربي واتخاذ الحرف اللاتيني بدله ، وينذر العرب بل يتوعدهم ويقول :

« إن لغة الحديث ولغة الأدب ستنقرضان ، وستحل محلها لغة أجنبية ، نتيجة لزيادة الاتصال بالأمم الأوروبية » .

إن سلدن ولمور ينذر بانقراض العامية والفصحى لتأخذ مكانهما لغة أجنبية ، ويحسب أن وعيده سيحمل العرب على اختيار العامية إبقاء على إحدى اللغتين إيثاراً لها على اللغة الأجنبية ، ولكن حبه للعرب يحمله على أن يسمح باللغة العامية ويبقيها لهم ويقول :

« من الحكمة أن ندع جانباً كل حكم خاطىء وجه إلى العامية ، وأن نقبلها على أنها اللغة الوحيدة للبلاد على الأقل في الأغراض المدنية التي ليست لها صبغة دينية » .

ويقول ولمور : « خير الوسائل لتدعيم اللغة القومية هي أن تتخذ الصحف الخطوة الأولى في هذا السبيل ، ولكنها ستكون في حاجة الى عدد قوي من أصحاب النفوذ ، فإذا نجحت هذه الحركة فإن وقتاً قصيراً في التعليم الاجباري وليكن سنتين كافية لنشر القراءة والكتابة في البلاد » .

وأشار ولمور في مقدمة كتابه انه علم بظهور مقال لعالم أمريكي في فقه اللغة يهتم اهتماماً كبيراً بخير الشعب المصري ، وانه وافقه هو وسبيتا وولكوكس على وجوب اتخاذ العامية لغة أدبية ، وكتابتها بحروف لاتينية [1] .

وزعم ولمور ان هذا العالم الأمريكي يناشد الحكومة المصرية لتعترف

---

١ أباطيل واسمار لمحمود محمد شاكر الذي اعتمدنا عليه كثيراً في هذا الموضوع ، وجزاه الله كل خير عن الاسلام ولغة القرآن .

باللغة العامية وتقرها ، ويناشد الانجليز لدعم هذه العامية ليساعدوا على تقدم الشعب الروحي كما ساعدوا من قبل على تقدمه في الحياة المادية .

وأسرعت مجلة المقتطف إلى تأييد ولمور كما أسرعت من قبل إلى تأييد سبيتا دون أن تشير اليه كما أشارت إلى ولمور ، ودعت إلى العامية واعترفت بأنها تحدثت إلى الأمريكيين والأوروبيين الذين ذاكرتهم في مسألة اتخاذ اللغة العامية، واعترفت المقتطف بأن محمد علي جد الأسرة الخديوية لو اهتم بكتابة اللغة المحلية في مصر والشام وجعل الكتابة بها لما وجد مشقة في تنفيذ الأمر .

فالمقتطف وولمور يريدان قوة الحكومة حتى تنزل إلى الميدان وتعارك الشعب والمثقفين وتجبرهم على اتخاذ العامية لغة للكتابة ، وتقرر ذلك بمرسوم .

ومجلة الهلال لم تقم بالدعوة كالمقتطف ولكنها اتخذت اسلوباً تبعد به عن نفسها اللوم والخسارة،لأنها دار نشر تعتمد في التوزيع على قرائها فوق اعتمادها على ما يساعدها به الاستعمار من هبات جزيلة ؛ فهي لا تريد أن تحمل مسؤولية الدعوة طمعاً في القراء حتى لا تخسرهم فيقل دخلها،ومن أجل هذا فسحت صدرها لسلامة موسى وقدمت مقاله الذي نشرته في تمجيد ولكوكس والدعوة إلى العامية وحطم العربية تقدمة رائعة ، فقد قالت :

« لقد تعود القراء من الأستاذ سلامة موسى خروجاً عن المألوف وتعجلاً في طلب الاصلاح يذهب به أحياناً إلى حد الغلو،على انه ليس من شك ان الاخلاص رائده فيما يكتب ، وهو في مقاله هذا قد طرق موضوعاً خطيراً واقترح حلاً لا يوافقه عليه الهلال ولن يرتضيه سواد القراء،إلا أننا نرى فائدة في الاطلاع على الآراء المخالفة لآرائنا ولا سيما إذا كانت مكتوبة بأسلوب علمي كأسلوب الأستاذ سلامة موسى ، ففي ذلك شحذ للذهن وبعث على التفكير » .

فآراء سلامة موسى وولكوكس في هدم الفصحى الذي يتبعه هـدم القرآن والاسلام تسميها الهلال إصلاحاً ، ورائد سلامة موسى الاخلاص.

والحل الذي رآه سلامة هو هذا الهدم الذي لا يوافقه عليه الهلال ، ومع هذا تنشر الرأي بعد أن تصف الكاتب بالاخلاص وتعجل في طلب الاصلاح .

وأعظم بهما من خلتين تخفيان كل خلل وتغفران كل خطأ ، وهي بهذا التمهيد وبهذه الشهادة تريد أن تفتح لقذائف سلامة موسى أهدافاً، وتحملها هي نفسها الى عقول القراء رجاء ان تؤثر فيها .

وما ذكرته المقتطف من مذاكرتها الأوروبيين والأمريكيين يكشف عن النيات الخبيثة ، فهم الذين أوجدوا المقتطف ، وساعدوها ، وأخيراً جعلوا آخر مالك لها موظفاً بالجامعة الأمريكية وممن تفيض عليهم خيراتها من أنصارهم .

وأرادوا أن يحملوا الحكومات على إقرار العامية بقوة السلاح ولكنهم فشلوا ، وأخفقت أموال الأمريكيين والأوروبيين أن تحقق هواهم .

ويشاء الله أن يكون نشاط دعاة العامية سبباً لقوة الفصحى ، فينهض محمود سامي البارودي في عصر انحطاط اللغة العربية بما جدد لها النشاط، وأعاد الى الذوق العربي نشاطه ، ثم جاء شوقي فأعاد الى لغـة القرآن سلطانها وجدد شبابهـا ، وكثر كتاب الفصحى وبلغ عددهم المئات ، وقراؤها عشرات الآلاف .

ومع هـذا وجد شوقي من ينكر عليه عبقريته ، وإذا كان العقاد معذوراً بعض العذر في التجني على شوقي رغبة في التجديد الصحيح فما عذر هلافيت لا قيمة لهم في مهاجمة شوقي ، مثل الهجوم الذي قام به كاتب أرعن في بلادنا نبش قبر شوقي وسبه وشتمـه ، ونشر سخافاتـه وقذاراته في الصحف السعودية .

ان من معجزات لغة القرآن أن الحرب التي أعلنهـا عليها خصوم

الإسلام كانت بمثابة الصقل وباعثاً على قوتها وسيادتها .

وهؤلاء الذين قاموا بالدعوة إلى العامية غرباء عن الفصحى وأعداء لها وأعداء للقرآن والاسلام ومحمد عليه الصلاة والسلام ولغتهم .

انهم أعداء الاسلام بطبيعتهم وبتقاليدهم وفلسفاتهم ونظرتهم إلى الحياة وموبقاتهم .

وكل الدعاة إلى العامية لا يفترقون عن اولئك الأوروبيين الذين قاموا بالدعوة بل لعل الدعاة من العرب أشد إثماً وأشد كفراً .

وقد صرح سلامة موسى الذي حمل الراية منذ عرف الكتابة حتى قبيل وفاته بآرائه وعقيدته التي تتفجر غيظاً وحنقاً على الاسلام والقرآن ، ولم يتخل عن الدعوة إلى العامية طول حياته حتى صار إمامها المشهور .

وقد ناقض نفسه بنفسه ، وهدم دعوته بمعوله ، فهو — أولاً — لم يكتب مقالاً واحداً باللغة العامية ، وقابلته ذات مرة بدار أخبار اليوم بالقاهرة وكان بين يديه آخر مقال نشره بها في ذلك العهد ، وجرى بيني وبينه حديث حضره بعض زواره .

وطلبت اليه أن يناقشني دون أن يذكر القرآن والاسلام ، ويجعل البحث والنقاش في اللغة ، واتهم الفصحى كعادته ، اتهمها بأنها لا تصلح للحياة لأنها لغة بدوية ، والثقافة بنت الحضارة ، فلا لقاء بين البداوة والثقافة والحضارة ، وزعم ان العامية هي لغة الحياة ، ويجب أن تكون لغة المستقبل القريب ، بل يجب أن تكون لغة الحاضر أيضاً .

وقدمت له مقاله الأخير ، وطلبت اليه أن يكتبه باللغة العامية التي يدعو اليها ، وقلت له : تذكر ان ولكوكس حينما نشر محاضرته الأولى سنة ١٨٩٣ م بمجلة الأزهر نشر اعلاناً طلب فيه أن يتسابق الكتاب الى كتابة محاضرته باللغة المصرية ، وجعل الجائزة أربعة جنيهات انجليزية ، وأنا أعطيك اربعمئة جنيه انجليزي اذا كتبت كتابك « التطور وأصل الانسان » باللغة العامية .

وأحرج سلامة موسى واعترف بالعجز لأنه ذكر أن اتخاذ العامية لغة كتابة لكتابه « التطور وأصل الانسان » يجب أن تسبقه مرانة حتى يتعود القلم الكتابة باللغة العامية .

وقلت له : ان البرهان على فساد دعوة العامية أن دعاتها أول هداميها، ودعاتها يقدمون الدليل على فسادها أنهم يكتبون دعوتهم باللغة الفصحى التي يحاربونها .

وثانياً ، يقول سلامة موسى في كتابه « مختارات »[1] .

« ان جامعة الدين التي تربطنا بالفرس ليس لها قيمة كبرى، فليست هي الآن وسيلة اتصال بيننا وبينهم ، فالعبرة بجامعة اللغة ولا شأن لسائر الجامعات بجانبها » .

و « كثيرون يبالغون في الرابطة الدينية ، والحقيقة أنه ليس لها قيمة ما لم تدعمها اللغة والوطن » .

ويقول في كتابه « البلاغة العصرية واللغة العربية » ص ١٣٠ : «هذا المجتمع العربي أيضاً كان مجتمعاً دينياً ، فكان الخليفة في بغداد بمثابة البابا في رومه ، ومن غير المعقول أن نطالب أي دين إلَهي في العالم بالتغير ، فاستقرار الدين أدى إلى استقرار اللغة أي جمودها » .

ويقول في صفحة ١٣٧ : « إن هذه اللغة لا ترضي رجلاً مثقفاً في العصر الحاضر إذ هي لا تخدم الأمة ولا ترقيها » .

ويقول في كتابه « اليوم والغد :

« الرابطة الشرقية سخافة، والرابطة الدينية وقاحة ، والرابطة الحقيقية هي رابطتنا بأوروبا » .

المسألة واضحة ، ليست اللغة العربية هي الهدف ، بل هي الوسيلة إلى غاية وراء محاربة العربية ، كتاب الله هو المقصود لأن هدْم العربية

---

[1] راجع الصفحة ٨٥ و ١٢٩ .

هدمٌ للقرآن ، وما أكثر ما صرح سلامة موسى بعدائه الحقود للاسلام لأنه دين الانسانية والخلق ، وسلامة مجرد منهما ، فهو لذا يحاربه ، وقد سبقت الاشارة إلى حملته على مرسي بدر بك حينما قرر دروس الديانة الاسلامية وغضبه من قرار مرسي بدر .

ونحن نترك سفالة كلماته عندما يزعم ان « رابطة الدين وقاحة » .

نحن نترك سفالة كلمته ونناقشه ونظهر جهل سلامة موسى جهلاً مطبقاً بالتاريخ والواقع وبكلامه نفسه .

انه يدعي أن الرابطة الحقيقية هي رابطتهم بأوروبا ، أفهذه الرابطة قائمة على اللغة المصرية العامية التي يدعو اليها ؟

طبعاً ، لا .

ورابطتنا بالفرس وغيرهم من شعوب الأمة الاسلامية قائمة على الدين، وجوهره القرآن ، والقرآن بلغة العرب الفصحى ، وكلهم يعرف من القرآن آيات ويحفظها ، وعنده العربية دين ، والدين عربي ، بل لم يكد فلاسفة الغرب ومؤرخوه أنفسهم يفرقون بين العربية والاسلام ، ويجعلونهما شيئاً واحداً، فتارة يقولون : الفلسفة الاسلامية والطب الاسلامي وتارة يقولون : الفلسفة العربية والطب العربي ، ومقصودهم واحد من الكلمتين .

واذا تركنا شأن العربية أو شأن اللغة فان الرابطة الاسلامية هي الرابطة التي لا تنفصم ، فليس بيننا وبين المسلمين في الهند والسند والفرس والصين واليابان وكوريا والفلبين وجزر اندونيسيا وبلدان أفريقيا وأمريكا وأوربا رابطة لغوية البتة ، بل الرابطة دينية .

وعندما تنفصم عرى الروابط جميعاً تبقى رابطة الدين ، فالحروب التي شنتها شعوب أوروبا على الاسلام والمسلمين دينية ، ومع أن الحروب بين هذه الشعوب نفسها كانت قائمة فإن رابطة الدين المسيحي جمعتهم ودفعت بهم في وجه الاسلام .

وإذا سلمنا — جدلاً — برأي سلامة موسى ان الرابطة اللغوية هي وحدها الرابطة المثلى بين الشعوب العربية فعلى أي لغة يود أن تكون عليها الرابطة ؟ ألغة مصر ؟ ألغة العراق ؟ ألغة الشام ؟ ألغة الحجاز ؟ ألغات السودان وشمال إفريقيا ؟.

إن كل شعب من هذه الشعوب يود أن تكون لغته هي السائدة ، وإذا أريدت اللغة العامية الأفصح من غيرها من عاميات الشعوب العربية فليست لغة مصر ، لأن بهـا أمراضاً وعيوباً لسانية ، فبعض الحروف تركت مخارجها إلى مخارج أخرى وامحت لتحل محلها حروف غيرهـا ، فالقاف تقلب همزة ، والجيم بين الكاف والقاف أو كاف مفخمة .

وإذا كان لكل بلد أن يكتب بلغته العامية فقد حصرناها فيه، وقطعنا صلات بلدان العرب وشعوبهم بعضهم ببعض ، وقد قام الدليل على أن اللغة العامية ليست أداة وصل بين الشعوب العربية .

وعلى سبيل المثال نذكر أن مجلات باللغة العامية كانت تصدر في بعض البلدان العربية ، ففي العراق كانت تصدر مجلة « حبزبوز » وفي سوريا مجلة « المضحك المبكي » وفي لبنان مجلة «الدبور» وفي مصر «البعكوكة» وكل منها تكتب بعامية البلد الذي تصدر منه .

ولم تعرف هذه المجلات إلا في بلدانها ما عدا «البعكوكة» التي عرفت في غير بلدها بسبب وسائل الإعلام المصرية .

إن العربي — اياً كان قطره — إذا حل ببلد غير بلده يعسر عليه التفاهم إلا إذا اتخذ اللغة الفصحى أو اتخذ لغة يسمو بها على العامية المحلية ويتجنب ألفاظها الخاصة بها .

ونخلص من هذا إلى أن رابطة اللغة الفصحى هي التي تجمع شعوب العربية ، وفي مكة المكرمة — حرسها الله — الدليل .

يأتي الحاج السوداني والتونسي والجزائري والمغربي والسوري واللبناني والفلسطيني والأردني والبحراني والعراقي واليمني وغيرهم من الشعوب التي

تتكلم العربية فيجدون العسر في التفاهم فيما بينهم، ولكنهم جميعاً يحضرون الى المسجد الحرام للجمعة فيسمعون إمامه يخطب بالفصحى فيفهمون منه .

وهذا دليل يكفي لهدم دعوة العامية وما أقاموا عليها من الدعاوي في صلاحها وجمعها الشعوب .

وليس الدعاة إلى العامية من فرنجة وعرب ظهروا في مصر وحدها ، فقد ظهر دعاة في الشام كما أشار سلامه موسى إلى أحدهم ومجده ووصفه بالفاضل ، وظهروا في العراق ، وظهروا في لبنـــان ، وفي غير هذه البلدان ، وظهروا في بلادنا الإسلامية المقدسة وفي صحافتنا .

وإذا كان عذر تلك البلدان أنهـا كانت تحت سيطرة الاستعمار الذي أفسد الحياة والمجتمع وقوض أركان الأخلاق فيها وزعزع العقيـدة بين النساء والرجال والأطفال فما عذر بلادنا التي صانها الله من الاستعمار ونجاها من بغيه ، وحكامها مسلمون يتباهون بإسلامهم في حين أن كثيراً من الحكام ينكرون ويخجلون .

أعداء الفصحى في لبنان

سنخص بلادنا بكلمة لا بد منها رجاء أن نرد الدعوة الهدامة على أعقابها ونقضي على أصحابها أو يرجعوا عن مذهبهم المقيت ، ونرجئها إلى ما بعد القول في لبنان ودعاة العامية فيها .

إن الدعوة إلى العامية — كما ذكرنا — دعوة تبشيرية يراد بها القضاء على القرآن بالقضاء على لغته العربية المبينة .

وقوى التبشير عندما تهيأت لحرب الإسلام في مواطنه الأصيلة جعلت مالطة مستقرها ومنطلق نشاطها وقاعدة قذائفها ، وأسست فيها في أواخر القرن السادس عشر الميلادي مركزاً كبيراً عظيم الأهبة والاستعداد، يرسل المبشرين إلى العالم الإسلامي ، في شمال إفريقيا وأواسطها ، وفي تركيا نفسها ، وفي العالم العربي والإسلامي .

ورأت قوى التبشير أن الوقت قد حان لتأسيس مراكز في عقر بلدان الإسلام والعربية ، فاختارت الشام وأنشأت في دمشق سنة ١٦٢٥ م مركزاً قوياً غنياً ، وبدأ نشاطه بتأسيس مدارس صغيرة أعدت إعداداً محكماً لتكون أوكار التبشير .

إلا أن مسلمي الشام كانوا مدركين لخطر التبشير ، وعلماؤهم كانوا

يقظين مؤمنين حقاً ، فوقفوا في وجه قوى التبشير ، ولقي مركزهم من العنت والمقاومة من الشعب عامة ، كما لقي من الشدة والعنف في الجهاد المقدس ما جعله ضعيفاً ، ولكن المركز أخذ يقاوم في أساليب لم تدخل دور العنف ، وبقي حتى سنة ١٧٧٣ م ثم انتهى أمره بإلغاء كل جمعيات التبشير ، وإغلاق مؤسساته ، وقضى على نشاط المبشرين بفضل الله ثم بفضل علماء الشام المجاهدين وشعب الشام المجاهد .

ولَمْلَمَتْ قوى التبشير نفسها في مالطة وأخذت تعمل منها حتى سنة ١٨٢٠ م ووجدت الفرصة سانحة لها فوثبت إلى بيروت ، ولكنها لقيت من المقاومة ما جعلها تلم شعثها ولكن في بيروت نفسها ، وأخذت تعمل بوساطة المؤسسات التي أقامتها لنشر الدين المسيحي والثقافة المسيحية ، ولم يبلغ نشاطهم في ميدان التعليم مبلغ نشاطهم في النشر .

ولو لقيت قوى التبشير في بيروت ما لقيته في دمشق لقضي عليها ، ولكن مقاومة بيروت كانت ضعيفة فقويت شوكة التبشير ، حتى إذا كانت سنة ١٨٣٤ م التهب نشاط قوى التبشير وأمنت على نفسها في حاضرها ومستقبلها ، وبسطت سلطانها على بلاد الشام التي تدخل فيها لبنان ، فانتشرت بعثاتها ، وفتحت كلية في قرية « عنتوره » بلبنان ، وحشدت لها الأموال والجهود لإنجاح مخططها الهدام .

واطمأنت قوى التبشير وأمنت المقاومة مما دعاها إلى جعل بيروت مركزها الأول بدل مالطة ، فنقلت « الإرسالية » الأمريكية المسيحية مطبعتها من مالطة إلى بيروت سنة ١٨٣٤ م حيث أخذت تطبع الكتب والنشرات وتوزعها على نطاق واسع .

وكان للمبشر الأمريكي « إيلي سميث » نشاط عظيم،فقد كان مدير مطبعة الإرسالية الأمريكية في مالطة ، وجاء إلى بيروت سنة ١٨٢٧ م وقضى بها سنة لم يجد خلالها الراحة فعاد إلى مالطة منتظراً من أعوانه تهيئة الجو الصالح لنشاطه،فلما كانت سنة ١٨٣٤ م كان ذلك الجو المنشود

قد تهيأ ، فانتقل بزوجه إلى بيروت وضاعف نشاطه وبعثر بذوره في لبنان والشام ، وأسس ببيروت مدرسة للبنات حتى يتسنى له أن يدخل إلى البيوت مبشراً مفسداً .

وتأسست على أسس راسخة قوى التبشير فأخذت تعمل في جد، ففي مصر اتُّخِذت برامج التعليم الابتدائي منقولة عن برامج التعليم الابتدائي الفرنسي الذي طبقه إبراهيم باشا في سوريا عندما حكمها،مما جعل ساعد التبشير يزداد قوة ، ونشاطه يزداد انتشاراً وثباتاً .

وخرج إبراهيم من سوريا ، وانفصلت عن حكم مصر،فوجد المبشرون ميداناً رحيباً للعمل،فأحدثوا بين المسلمين والطوائف المختلفة فرقة وانشقاقاً أدّيا إلى فتن وحروب أتاحت الفرصة لدول أوروبا أن تتدخل وتسيطر على الموقف مستغلة ضعف دار الخلافة في تركيا .

وأخذت الفتن تزداد اشتعالاً حتى كانت الفتنة بين المسلمين والنصارى في لبنان في شهر تموز سنة ١٨٦٠ م وتدخلت الدول الصليبية في أمر الشام فجاءت البوارج البريطانية إلى سواحلها ، وفي شهر آب ١٨٦٠ م تدخلت فرنسا عسكرياً في لبنان،وبعثت جيشاً برياً لإخماد الثورة أو الفتنة التي أوجدتها فرنسا والدول الغربية .

ومع ان الحالة في سوريا كانت هادئة ، والشام كله مستقر بما فيه لبنان إلا ان أطماع الغرب دفعته إلى اختلاق فتن ، وانتهى الأمر بالغرب إلى سلخ لبنان من الشام،واستقلت بامتيازات خاصة فرضتها دول الغرب وخضعت لها الدولة العثمانية .

وصارت لبنان فريسة لفرنسا والغرب، ووجد التبشير فرصته فضاعف نشاطه منذ ذلك اليوم حتى اليوم،وعظم نشاطه ففتح المدارس والمستشفيات ودور الطباعة والنشر ، وأسسوا جمعيات تقوم بالتبشير علانية ، وتهاجم الإسلام جهاراً .

وقرر التبشير أن يضرب الإسلام في جميع مقاتله ، ولم يكفهم ميدان

العقيدة لأنهم أخفقوا أن ينصّروا مسلماً، ولكنهم نجحوا في ميدان زعزعة العقيدة ، وشغلوا المسلمين بقضايا جانبية أبعدتهم كثيراً عن الإسلام .

ولم يكفهم هذا فقام المبشرون بنشاط سياسي راموا منه هدم فكرة الإسلام ، فأسسوا جمعية سرية تنادي بفكرة القومية العربية والعروبة ، وتدعو إلى استقلال العرب وبخاصة الشام (سوريا ولبنان) ولم يكن مؤسسو هذه الجمعية إلا خمسة شبان من خريجي الكلية البروتستانتية في بيروت ، وكلهم مسيحيون ؛ وقلوبهم مع فرنسا .

وسبب تأسيس هذه الجمعية وبنائها على أساس فكرة القومية العربية والعروبة واستقلال العرب ان قوى التبشير والاستعمار أرادت هدم الخلافة أو حصرها في نطاق ضيق ، فأسست هذه الجمعية لتفصل البلاد العربية في آسيا وافريقيا عن دولة الخلافة العثمانية المسلمة ، وسمتها « تركيا » .

وهكذا بدأ الصليبيون يعملون حتى قضوا على الخلافة الإسلامية قضاءً ماحقاً ، ويظهر حقدهم في معاملة دولة الخلافة ، فهي وألمانيا حاربتا معاً الحلفاء الغربيين ، فلماذا لم يجزّئوا ألمانيا وجزّأوا دولة الخلافة وحدها وبعثروا أقطارها ؟.

هنا السر المفضوح ، ألمانيا دولة صليبية مثل دول الغرب ، فلا بدّ من احترام الصليب ورعايته ، أما دولة الخلافة فمسلمة ، فإذا بقيت على وحدتها فإن الخطر يكمن فيها ، ومن الثابت أن تقوى ويدخل في وحدتها من أقطار الإسلام ما كان منها خارجاً عنها .

جزّأوا دولة الخلافة وبعثروا أقطارها واستعمروها ، وزادوا نفوذهم في الأقطار الاسلامية التي كانت تعترف بالخلافة وسلطانها الروحي .

أما فكرة القومية العربية التي أوجدوها لهدم الخلافة الإسلامية فما كانت إلا للهدم ، أما وقد حققوا مأملهم فلا بد من ضرب العربية لأنها لغة القرآن الذي يجمع المسلمين مع اختلاف اللون والجنس واللغة وبعد الدار ، وحطموا بأنفسهم القومية العربية بعد استخدامهم إياها في تنفيذ

مخططهم وبلوغ غايتهم ، واتجهوا للغة العربية لغة القرآن والاسلام .

وفي ظل التبشير وحمايته ورعايته وأمواله قامت دعوة الدعاة إلى اتخاذ العامية[1] ، ومن أوائلهم : « الخوري مارون غصن » الذي بـدأ نشاطه الأدبي منذ سنة ١٩٠٨ م بعد سلب الخلافة الاسلامية في بني عثمان قداستها.

وأول قذيفة أطلقهـا مارون غصن مقالة تحت عنوان « حياة اللغة وموتها — اللغة العامية » جاء ضمن مقالات في كتاب له بعنوان « درس ومطالعة » صدر في سنة ١٩٢٤ م .

ووضع مقاله هذا بين المقالات إجراء لتجربة ، وتظاهرت الجرائـد والمجلات في « تركيز » الضوء على المقال وطبّلت له وزمرت لتوجـه إليه الاهتمام .

وهذه الجرائد منها : لسان الحال ، والأحوال ، والاقبال ، وصدى الحال ، ومن المجلات : المعرض ، والأرزة ، والوطن كما ذكر الخوري نفسه في كتابه « حياة اللغات وموتها — اللغة العامية » .

ورضي الاستعمار والتبشير عن هذه المقالـة ومنحته الحكومة الفرنسية وسام المعارف قدراً لجهوده .

ونجحت التجربة وآتى المقال أكُله ، وربح الخوري مالاً ووساماً ، وأوعز اليه أن يضخّم المقال ويصدره في كتاب فكـان ، فقد أصدره في أواسط سنة ١٩٢٥ م بعنوان « حياة اللغات وموتها ، اللغة العامية » .

وجاء في هامش الصفحة ١٢٤ من كتاب « القومية الفصحى » للدكتور عمر فروخ : « دخل هذا الكتاب (أي كتاب مارون غصن) في سجل مكتبة الجامعة الأمريكية في بيروت في الرابع من حزيران عام ١٩٢٥ » .

وقد حمل الخوري على الفصحى ونادى بأن تستبدل بها اللغة العامية ،

---

١ ما نكتبه عن الدعوة العامية في لبنان مصدرنا كتاب الأستاذ الكبير الدكتور عمر فروخ من كتابه « القومية الفصحى » وكتاب « أزمة الفكر العربي » للدكتور إسحاق موسى الحسيني .

لأن الفصحى – كما زعم – « من أصعب لغات الأرض » ويسمح الخوري متفضلاً « ببقاء العربية الفصحى لغة ثانوية تساعد على سهولة العلاقات بين العلماء والأدباء القاطنين في تلك البلاد[1] » .

ويدعي الخوري في ثقة « ان كل لغة سائرة إلى الفناء قياساً على ما عرفه من تاريخ اللغتين اليونانية واللاتينية[2] » ويذكر ان الفصحى من أصعب اللغاب في الأرض ، ويلحقها بتينك اللغتين ، ويوجه إنذاراً إلى المسلمين قائلاً :

« كلا ! كلا ! فليس في يد إخواننا المسلمين أن يغيروا سنن حياة اللغات والشعوب (يقصد : موت اللغات) ويقلبوها ظهراً لبطن ... وهل يمكن أماً ان تعيد ابنها الكهل إلى ربيع الحياة ؟ نعم، إن العربية (الفصحى) يحتمل – بل يرجح – بقاؤها في القرآن وإلى منتهى الأزمان، ولكن لا ينتج من ذلك ضرورة بقائها في البلاد العربية اللهجة كما هي الآن ، أي اللغة العربية الأدبية الوحيدة » .

والخوري مارون غصن يجهل تاريخ اللغة العربية والمراحل التي مرت بها حتى اليوم ، ويجهل ان في القرآن قدرة خارقة على أن تعيد إلى الفصحى شبابها دائماً ، وها نحن أولاً نرى شبابها الحي المتضرم نشاطاً، فنرى أساليب الكتّاب المؤمنين بالقرآن الذين يتلونه بلغت من الروعة والجمال وسلامة البناء وجمال هندسته ما يفوق سائر عهودها الماضية .

وهذا ولا شك بفضل كتاب الله المتخذ نموذجاً لمن يكتبون بالفصحى الشابة الحية القوية ، وهو دليل على فساد رأي الخوري .

إن مئات في لبنان وحدها يكتبون بلغة فصيحة ممتازة ، بل نجد من

---

١ كتاب « حياة اللغات وموتها ، اللغة العامية » ص ١٦ – ١٧ .

٢ القومية الفصحى ص ١٢٥ .

المسلمين في بلدان غير عربية يجيدون الكتابة بها في أسلوب عربي مبين بفضل كتاب الله .

فالفصحى لم تنزو في القرآن وحده وتبقى حبيسة صفحاته وسوره ، بل عاد اليها شبابها وارتدت إلى ربيع الحياة وصارت لغة آلاف بل ملايين في حين أن العامية التي دعا اليها الخوري ومن قبله مبشرون مستعمرون لم تستطع أن تكون لغة الكتابة .

ويجهل الخوري أسباب موت اليونانية واللاتينية وأسباب بقاء العربية وخلودها ، وكل ما يعرفه قياس فاسد ، ودعوة يقبض أجرها وهو يجهل ان العامية لن تكون بحال من الأحوال لغة الكتاب لدى شعوب الأمة العربية .

وإذا كان دعاة العامية الذين جاءوا إلى مصر مثل سبيتا وولكوكس ومن أبنائها كسلامة موسى يريدون أن تكون لغة الكتابة عامية مصر فالخوري مارون غصن يريد أن تكون لغة الكتابة عامية سوريا ، وهناك من يريد أن تكون لغة بلاده .

ومن هنا تجتمع لدينا عشر أو عشرون لغة عامية على الأقل تحتاج في قراءة ما يكتب بها إلى مترجمين كما يترجم — الآن — إلى العربية من اللغات الأخرى .

إن الغيظ والنقمة لا ينصبان على العربية لأنها لغة وحسب ، بل لأنها لغة القرآن ، وإذا كان الجبن يدفع بالدعاة الى جمجمة القول ومضغه وإخفاء الهجوم على القرآن فإن الغاية واضحة ، لأن مبشرين مثل القسيس المبشر « فندر » في كتابه « ميزان الحق » والمبشر الذي اختفى اسمه تحت اسم « هاشم العربي » في رسالة « تذييل مقالة في الاسلام » بلغت بهم القحة إلى اعلان التجني على القرآن فزعموا ان فيها غلطات نحوية ، وما الغلط إلا في أذواقهم وانسانيتهم وعلمهم بالعربية وقواعدها .

إن الغاية : القرآن والإسلام ، واللغة العربية التي يحاربونها وسيلة

للقضاء على القرآن والإسلام ، وكل هذه الحملات والحروب إن هي إلا على القرآن والإسلام .

بل صرحوا بأن القرآن سيبقى كأثر تاريخي وليس غير ، سيبقى في المتحف وليس غير ، ولن يكون له أثر في بقاء العربية الفصحى لأن قانون حياة اللغات وموتها سيطوي الفصحى .

وألف الخوري مارون غصن بعد كتابه ذلك كتاباً سماه « في متلوها الكتاب » دعا إلى العامية ورفع من شأنها وطلب ترك الفصحى .

وهذا الدكتور أنيس فريحة أستاذ اللغات السامية في جامعة بيروت الأمريكية كما وصف نفسه فوق عنوان كتابه « نحو عربية ميسرة » من جملة من حملوا لواء الدعوة إلى العامية وأظهروا حقدهم على القرآن مثل مارون غصن .

والدكتور فريحة استولى على آراء الأستاذ سلامة موسى وتوسع فيها وشرحها دون أن يشير اليه ، وكل آرائه هي آراء سلامة موسى ، فالحملة على العربية مسبوق اليها من سلامة ومن غيره ، واتهام الخط العربي وصعوبته وطلب تغييره واتخاذ الحرف اللاتيني أمور مسبوق اليها من سلامة موسى وغيره .

بل الجزئيات التي جاءت في كتابه « نحو عربية ميسرة » من سلامة موسى ، وأنا لا أريد أن أثبت الاقتباس ، فما أنا بسبيله في بحثي هذا ، ومع ذلك — على سبيل المثال — أكتفي بمثل واحد .

يقول الدكتور أنيس فريحة في صفحة ١٤١ من كتابه « نحو عربية ميسرة » المطبوع سنة ١٩٥٥ :

« هل حاولت ترجمة مقال في المنطق أو الرياضيات العلمية أو الفلسفة أو علم الاجتماع أو علم الأنثروبولوجيا ، أو في علم اللغة ذاتها ؟ أما أنا فقد حاولت ، والذين حاولوا مثلي لا ينكرون مبلغ الصعوبة في إخضاع العربية لصرامة العلم وتشديده ، ولا ينكرون ان في الترجمة « التقريبية »

التي يقومون بها كان عليهم أن يخضعوا الفكر للغة لا اللغة للفكر » .

ويقول سلامة موسى في مقال له منشور بمجلة الهلال سنة ١٩٢٧ م (١٣٤٥ هـ) :

« وقد عانيت الترجمة إلى اللغه الفصحى عدة سنوات فما رضيت مرة عن نفسي وارتضيت الترجمة فإنمـــا نحن نؤلف ونعتقد أو ندعي أننا نترجم ، وذلك لأن هذه اللغة الفصحى هي لغة بدوية ، والثقافـة بنت الحضارة وليست بنت البداوة ، ولذلك فإنه يشق علينـــا جداً أن نضع معاني الثقافة في هذه اللغة سواء بالترجمة أم بالتأليف » .

ويقول الدكتور فريحـــة ص ١٣ : « إن الكثرة الكثيرة من هذه الكلمات تعكس الحياة الصحراوية البدائية وهذا طبيعي ، وكان على هذه اللغـــة الصحراوية الفقيرة بالمفردات التجريدية الفلسفية والعلمية والفنية والصناعية نسبياً أن تلين لتطور الحياة العربية العقلية ... إن هذه الكثرة من المفردات اللصيقة بالحيـــاة البدوية أصبحت على ممر العصور مماتة ، أماتتها الحياة ونبذتها ، لأن الحياة العربية ابتعدت عن الصحراء وما إليها من بداوة » .

وهذه الجملة شرح لبعض ما ورد في كلام سلامة موسى في الفقرة التي سبق الاستشهاد بها .

ويقول فريحة في ص ٢٣ : « أطفالنا يعانون من تعلم الفصحى أكثر مما يعانونه من تعلم لغة أجنبية » .

وسلامة موسى قال قبله : « أما من حيث الصعوبة فـانه يكفي أن نقول إننا نتعلمها كما نتعلم لغة أجنبية » .

وعلى سبيل المثال نذكر الكليات ، فالدكتور فريحة يقول في صفحة ٢٠ من كتابه « نحو عربية ميسرة » :

« تنحصر مشاكل اللغة العربية الأساساة في أربعة أمور :

« (أ) وجود لغتين مختلفتين : عامية وفصحى .

« (ب) تقييد الفصحى بأحكام شديدة .

« (ج) الخط العربي الخالي من الحروف المصوتة « الحركات » .

(د) عجز العربية عن اللحاق بالعلم والفنون » .

وهي المشاكل نفسها التي أشار إليها سلامة موسى قبل فريحة في مقالاته وكتبه فهو يقول :

« يجب ألا يكون للمجتمع لغتان إحداهما كلامية أي عامية والأخرى مكتوبة أي فصحى كما هي حالنـــا في مصر الخ » . (البلاغة العصرية لسلامة ص ٤٧) .

و « لغتنا العربية كثيرة القواعد والشذوذات » . (البلاغة ١٤٨) .

و « نذكر بعض العقبات التي سيلاقيها متعلم العربية ولا يلاقيها متعلم الإنجليزية ، فأول ذلك ... حروف الكتابة الخ » . (البلاغة ١٤١) .

و « هذه اللغة لا ترضي رجلاً مثقفاً في العصر الحاضر إذ هي لا تخدم الأمة ولا ترقيها لأنها تعجز عن نقل نحو مائة علم من العلوم التي تصوغ المستقبل وتكيفه » . (البلاغة ١٣٧) .

وكل ما في كتاب أنيس فريحه من آراء واتهام للعربية وعرض مشاكلها وحلولها موجود لدى سلامة موسى .

وسلامة موسى ليس مبتكراً مجدداً،بل هو سارق أفكار سبيتا وفولرس وولكوكس وولمور وغيرهم من المستشرقين والسياسيين .

والحقد الذي لدى أعداء الاسلام هو نفسه لدى سلامة موسى ، فهو منتقل طبيعة إلى أنيس فريحة الذي يقول في ص ١٢٥ — ١٢٦ من كتابه « نحو عربية ميسرة » :

« نعتقد أن المجتمع الاسلامي الأول ، نسبة لإعجابه بهذه اللغة ونسبة

لمقام القرآن الكريم في نفوسهم ، جهدوا أن يجعلوا من هذه اللغة التي نزل بها القرآن الكريم لغة الناس اليومية ، يدلك على ذلك مبلغ الجهد الذي أنفق في سبيل ضبط أحكام هذه اللغة لغة الدواوين والكتّاب والمنشئين ، ووضع سياج حول اللغة للحفاظ عليها أمر طبيعي ، بل ضروري لكل أمة ناشئة ، الدولة الناشئة بحاجة إلى لغة قومية » .

ثم يقول : « ونحن لا نعترض على الحفاظ على لغة كلاسيكية لما فيها من كنوز ، إنما نعترض على فرض لغة تاريخية على جيل بعدت حياة الناس فيه عن ذلك الجيل » .

ويعلق الدكتور عمر فروخ في كتابه « القومية الفصحى » ص ١٣٧ على الجملة الأولى من كلام فريحة بقوله :

« اننا نعلم أن الذي يزعج الدكتور فريحة ليس اللغة العربية الفصحى وحدها، بل يزعجه فيما يبدو لنا بقاء القرآن وبقاء الاسلام ببقاء القرآن ، وهذه شكوى تبشيرية واستعمارية قديمة ... ويبدو ان القرآن الكريم هو الذي يسدّ على الدكتور فريحة مذاهبه فنراه يصرخ بما كان قد كتمه طويلاً فيقول (ص ١٩٨ — ١٩٩) : ولكن للناس أن يسألوا : ماذا سيحل بالقرآن الكريم ؟ وماذا سيحل بالأدب القديم ، وجوابنا هو أن القرآن الكريم سيخلد (و) سيبقى على ما هو عليه ، كما بقيت كتب دينية عديدة رغم انحراف لغة الناس عن لغة هذه الكتب ... وها هي الكنيسة الكاثوليكية فإنها تعتبر الترجمة اللاتينية للتوراة لغة الكنيسة الرسمية ، ولا يكون القداس إلا باللغة اللاتينية . وقل مثل هذا في الكنيسة الأرثوذكسية التي حافظت على اللغة اليونانية التقليدية ، والكنيسة المارونية التي احتفظت بالسريانية ، والكنيسة المسيحية الحبشية التي احتفظت باللغة السامية القديمة المعروفة بالجعز .

« (على) أن الفارق بين الكنائس التي احتفظت بلغاتها القديمة وبين الإسلام عظيم جداً . وذلك لأن العامية (العربية) المهذبة المحكية لا تختلف

عن لغة القرآن الكريم اختلاف السريانيـــة عن العربية أو الإغريقية عن العربية أو اللاتينية الإفرنسية ، فلن تكون لغة القرآن الكريم غريبـة على افهام الناس ؛ وسيظل الناس يتعلمونه ويحفظونه غيبـــاً ويدرسون صرفه ونحوه وسحر بيانه كما يفعلون اليوم ، وسيظلون يقرأونه ويستظهرونـــه تبركاً ... هذا فيما يتعلق بالمستقبل القريب . ولكن ما سيحدث في المستقبل البعيد بعد مئات السنين ؟ هنا ندخل في نطاق الحدس والتخمين » .

ويقول الدكتور عمر فروخ معلقاً على كلام الدكتور فريحة بقوله : « بمثل هذا الغرور يتكلم الدكتور أنيس فريحة عن اللغة والأدب والإسلام والقرآن ، ولكن الدكتور فريحة يعلم علم اليقين أن كتبه ليست الحجارة الأولى التي تساقطت على العرب والعروبة وعلى القرآن الكريم والإسلام » .

أما أنا فأقول للدكتور فريحة باللغة العاميـــة التي يدعو اليها : كتر خيرك يا دكتور ! طمني ! القرآن باقي ! يا سلام !.

وما أدري كيف يستبيح هؤلاء الناس لأنفسهم أن يقرروا أموراً وكأن مقاليد الكون والتصريف فيه بأيديهم ؟!

إن القرآن لن يصبح مثل الكتب المقدسة عند اليهود والنصارى، ولن تكون لغة كلغاتها التي أشار اليها ، والدكتور وأمثاله يعلمون أن القرآن قابل قوى هدامـــة ذات جبروت مدمر أرادت محوه ، ولكنها انهزمت وبقي القرآن .

ولعل الدكتور فريحة وأمثـــاله يعلمون ان الاستعمار الغشوم والتبشير بجميع أساليبه الظاهرة والخفية حاربا القرآن والإسلام وأهلُها ضعفاء عُزْل منهوكون ، ومع هذا بقيا قويين وأيقظا المسلمين وحرراهم من الاستعمار، ويبقي ذيوله وعملاؤه الذين يكيدون للإسلام والقرآن .

وزعم الدكتور أن مصير القرآن كمصير الكتب المقدسة لدى المسيحيين ومصير لغة القرآن مثل مصير لغات تلك الكتب يدل على جهل بحقيقـة تلك اللغات .

ونحب أن يفهم الدكتور فريحة أن القرآن ليس كتلك الكتب المقدسة، فالقرآن الكتاب الفاذُّ لم يتغير حرف منه منذ نزوله على محمد صلى الله عليه وسلم،ولن يتغير ، لأن التواتر حفظه ، أما الكتب المقدسة فمقطوعة النسب ، فالأناجيل منسوبة إلى أناس مشهورين في المسيحية ، ولكن لم تعرف بالتواتر والأسانيد مما يفقد الثقة بها ، والكتب المقدسة — بعدُ — كتب خاصة ، فموسى عليه الصلاة والسلام رسول خاص وعيسى صلى الله عليه وسلم رسول خاص ، وما كان أحدهما للناس كافة ، وعيسى عليه الصلاة والسلام يعترف ويقرر أنه جاء لخراف بني إسرائيل .

فالكتب المقدسة محدودة ضيقة ، والرسل ذوو رسالة خاصة محدودة ، ولغاتهم ولغات كتبهم محلية ، أما القرآن فكتاب الانسانية جمعاء ، والاسلام دين الانسانية جمعاء ، ومحمد رسول الانسانية جمعاء ، ومحمد هدى ورحمة للعالمين .

وهنا خروج على النطاق المحلي المحدود إلى ما لا حدود له بمكان أو زمان ، ويتبع القرآنَ والاسلامَ ومحمداً لغتُهم .

والانسانية لا عمر لها كعمر من يموتون،انها خالدة كخلود الأرض ، والقرآن خالد خلوداً لا نهاية له لأنه كلام الله، وما دام القرآن للانسانية كلها فاللغة التي نزل بها لغة انسانية عالمية ، وبها من المرونة وصفات البقاء ما يضمن لها الحياة .

ولم تخلد العربية وتصارع الأجيال والأحداث وتصرعها وتبق لأنها لغة كتاب مقدس وحسب ، بل بقيت لأنها لغة كتاب مقدس ولأنها لغة تحتوي على بواعث الحياة والبقاء .

ودليلنا لغة الكتاب المقدس اليهودي ، فالعبرية لغة كتاب مقدس ، ولكنها لم تحي ، بل ماتت مع انها لغة دين وكتاب مقدس ، وسبب موتها انها فاقدة الخصائص والصفات التي تضمن بقاءها .

واللغات التي ضرب الدكتور فريحة بها الأمثال وهن : اللاتينية واليونانية

والسريانية والجعز اللاتي تحتفظ بهـن الكنائس دون أن تكون لهن صلة بالحياة والمجتمعات فأمرهن غير أمر اللغـة العربية ، وأسباب موتهن أو عزلتهن تخالف أسباب بقاء العربية ، ولن يكون مصيرها مصيرهن .

وعلى سبيل المثال اللغة اللاتينية التي ذكرها الدكتور فريحة تغاير حالها حال العربية، ومن تركوها إلى لغات جديدة أو إلى لغاتهم ليسوا كالعرب في أقطارهم ، ولم تكن لغة صالحة لمن اتخــذوا غيرها ، اذ لو كانت صالحة لما استبدلوا بها سواها ، وهناك أسباب صرفتهم عنها لتتفرد كل لهجة بأن تصبح لغة قائمة بنفسها مثل الفرنسية والإيطالية والإسبانية .

وهذه اللهجات ليست كلهجات الحجاز ومصر ولبنان — مثلاً — لأن اللهجات المنبثقة عن اللاتينية صارت لغات أو لهجات مختلفة في قواعدها ومفرداتها وتركيباتها بخلاف اللهجات العربية في الحجاز ومصر ولبنان ، فهي لهجات تتفق في المفردات إلا النادر ، وتتفق في تركيب الجملة وفي معاني المفردات والضمائر وأدوات النفــي والاستفهام والتذكير والتأنيث والمفرد والجمع والصفة والنسبة والاشتقاق والتصغير ، ومع اتفاقها نجد شقة الخلاف واسعة في بعض المخارج وفي الدلالة والصوت .

غير ان هذه الشقة أخــذت تنطوي بسبب نشاط الفصحى ووسائل النشر المختلفة من صحف وكتب وإذاعة وتلفزة ، وكثرة تبادل الزيارات والحج والصلات الادبية والتجارية والاقتصادية والسياسية .

وهناك فوارق بين اللاتينية والعربية الفصحى ، فتصدع اللاتينية وتمزق وحدة الشعوب الناطقة بها أديا إلى استقلال اللهجات المنبثقة عنها ، وقبل ذلك لم يكن شيء من هذا الاستقلال للغات التي تنتسب إليها .

والأمم التي استقلت بلغاتهــا عن اللاتينية مثل الأمة الفرنسية والأمة الإسبانية والأمة الإيطالية وغيرهن لم تكن اللاتينية لغتهــا الأصيلة ، بل كانت لغة مفروضة من قبل السلطة الحاكمة .

لم تكن هذه الأمم لاتينية ولا لغتها لغــة اللاتين ، فهي إذا عادت

إلى التحرر من اللاتينية حكماً ولغة فقد عادت إلى شخصيتها ، وعادت إلى لغتها ، والحال في شعوب الأمة العربية ليست كحال اللاتين ولغتهم ، فالشعب المصري شعب عربي ، والشعب اللبنـــاني عربي ، والعراق عربي ، والسوري عربي ، وتونس والسودان واليمن والحجاز والبحرين وغيرهن عربية ، ولغتها جميعاً عربية ، فإذا استقل بعضهـا عن بعض لم يسلخها الاستقلال السياسي عن العروبـــة جنساً ولغة وشعوراً ، وإن كانت الوحدة الشاملة فهناك تزداد العربية قوة على قوتها .

وليس من ذكرنا من اللبنانيين هما وحدهما في ميدان الدعوة بل معهما غيرهما ، مثل الأستاذ سعيد عقل الذي كتب مقدمة ديوان شعر بعاميـة لبنان ، واسم هذا الديوان « جلنار » للزجال اللبناني ميشال طراد ، وطبع سنة ١٩٥١ م .

قرأت الديوان ومقدمته التي كتبها سعيد عقل ، فلم أفهم المقدمة ، بل لم يفهمها لبنانيون من جميع الطبقـــات ، لأنها مكتوبة بلهجة أهل « زحلة » بلد سعيد عقل .

ولهجة « زحلة » تخالف لهجات المدن والقرى اللبنانية الأخرى ، ومات الديوان لأن مقدمته ولدت ميتة ، وما كان ليموت لولاها .

وليس الديوان الآن بخزانة كتبي لأعرض نموذجاً لهـــذه المقدمة التي كانت تجربة عظيمة مرّ بها دعاة العامية وانتهت بهم إلى حقيقة صدمتهم . لقد أثبتت المقدمة المكتوبة باللغة العامية أنها لا تصلح لأن تكون لغة الكتابة .

ووجدت في كتـاب « أزمة الفكر العربي » للدكتور إسحاق موسى الحسيني نقولاً من مقدمة سعيد عقل ، وأنا أنقلها عنه لأقدم نموذجاً للغة العامية حينما تتخذ لغة الأدب والفن والعلم .

يقول سعيد عقل :

« أول ما بيجابهك الجهال بإنو بيغبرك صوب الزيادي ، وهو عميلزك .

« نشوء كل معرفة فيك بترافقو لزّي ، بل اللزّي البترافق المعرفة البيعملها الجمال بتفرق عن غيرها بإنو فيها شيء من التخدير من الحلم ، من الهز كأنو الكون الانت فيه مرجوحا .

« وان تعمقنا أكثر منشوف روح الجمال حركي صوب التوحد ، أجزاء عمتتكلم بكل ، طيشرا عمتصير نظام ، وهـ النظام مثل كإنو بساط مع إنو مركّب من ألف تنويعا وتداخل ، شعور غريب ، شعور بإنو التعقيد زاتو صار عميرحرح إلخ » .

هذا نموذج من اللغة العامية عندما تكتب بها الآداب والفنون ، وتدل على عصيانها لغير الفصحى،وظاهر فيما كتب الأستاذ سعيد عقل التكلف الشديد ، وأعتقد انه تعب كثيراً في كتابة المقدمة .

ويظهر ان الأستاذ سعيد عقل عنيد ، فزادته هزيمته عناداً وقوة ، فقام بهجوم انتحاري كما يصنع القائد الأرعن المجنون عندما يعلم حق العلم أنه لا مفر له من العدو الأكثر منه عدداً وعدة ، ومع هذا يهاجمه وهو يعرف أن الهزيمة نصيبه ، فيقضي على نفسه وجيشه .

وهكذا صنع سعيد عقل ، فقد أصدر ديوان شعر سماه « يارا شعر » وكتبه باللغة العامية وبالحرف اللاتيني وبما لفّق من رموز . إن الناس لم يفهموا المقدمة التي كتبها لديوان « جلنار » بالعامية وبالحرف العربي ، فإذا هو ينظم ديوان شعر بالعامية ويكتبه بالخط اللاتيني ، بعد أن طبل وزمر لمشروعه الإصلاحي الكبير في اللغة،وهو يقوم على العامية والحرف اللاتيني اللذين يدعو اليهما في عناد وإصرار .

يقول سعيد في مقال منشور له بجريدة « النهار » البيروتية :

« ونواجه معركة اللغة فنخوضها غير هيابين ، إن ناموس الإفصاح يقضي بأن يحل لسان النطق محل لسان الكتاب ، ولسان الكتاب هنا هو هذا الذي حنا عليه لبنان وأبلغه أشده،ولقن العرب كيف إطلاع التحفة فيه،ورصّعه هو بجواهر لا تموت،ومع هذا فلغة الحياة والحرف اللاتيني

– أداة تدوينها العلمية الأحدث – انما هما اللذان يقاتل لهما اللبناني منذ قرن ، قبل أن راحت مصر تنتج مسرحيات وأشرطة بلغة الحياة ، وقبل أن قال السيد (عبد العزيز فهمي) بحرف لاتيني » .

والتجارب التي قام بها سعيد عقل أدت إلى هزيمة منكرة لدعوته ، وإذا كان اللبناني يقاتل منذ قرن من أجل لغة الحياة (العامية) والحرف اللاتيني ، ولا بد للقتال من مال وعتاد وجيش وقوى كثيرة ، ثم نرى هذه النتيجة التي انتهى اليها القتال فإن للفصحى أن تطمئن إلى هزيمة خصومها هزيمة نكراء وبشعة .

لنأخذ ما أنتج لبنان خلال قرن القتال الذي أشار إليه سعيد عقل ونفحصه ، ولنر النتيجة .

إن كل ما صدر من لبنان بأقلام لبنانيين من أدب وشعر إنما هو باللغة العربية وبالحرف العربي ، ولم يصدر في العالم العربي كله كتاب بالحرف اللاتيني غير « يارا » وهو ديوان صغير الحجم .

أما باللغة العامية فنادر ، وإذا أضفنا المضحك المبكي وحبزبوز ومجلة الفكاهة والبعكوكة والدبور وغيرها إلى ما صدر بالعامية وعارضناه بما صدر باللغة العربية الفصحى فصفة الندرة لا تفارقه .

وكلمة « يقاتل » التي وردت في كلام سعيد عقل تفصح عن الضغينة التي يحملها دعاة العامية للفصحى ، وتدل على حقدهم الشاعل وبغضهم للقرآن والإسلام ولغتها .

وإن وراء هذا الجيش الذي « يقاتل » قوى الشر الجبارة في العالم ، وكان « الاستعمار » الغربي تسانده الصهيونية ثم انضمت إليهما الشيوعية وأخذت هذه القوى الشريرة تقاتل الإسلام في كل ميدان وبكل سلاح ، ومع ذلك انهزمت قوى الشر وذيولها ممن ينتمون إلى بلدان عربية .

انهزم سعيد عقل وأنيس فريحة وماورن غصن وغيرهم في لبنان في دعوتهم لاتخاذ العامية لغة ، وفي دعوة فريحة وعقل إلى اتخاذ الحرف

اللاتيني كما انهزم سبيتا وفولرس وولكوكس وسلامة موسى ولويس عوض وغيرهم في مصر ، انهزم هؤلاء جميعاً مع وجود أشد القوى في العالم جبروتاً وشراً وبطشاً وطغياناً في صفهم ومن ورائهم ومن بين أيديهم وأرجلهم .

وكل ما ربحوه مادة تفني ، وشهرة هي في حقيقتها تشهير .

وإن من الثابت أن هؤلاء الدعاة صليبيون مبشرون مسيحيون يهود مستعمرون صهيونيون شيوعيون ، وكل منهم ملتقى هذه الصفات ، ومن يزعمون أنهم مصريون كسلامة موسى ولويس عوض يفخرون بغربيتهم ، ولو عقلوا لوجدوا ان في هذا الفخر ميسم عار لهم وخزي، ولكن فساد أنفسهم وأذواقهم أعمى بصيرتهم فاستعبدوا للغرب وضلوا السبيل .

وهلك هؤلاء الدعاة ما عدا بعض دعاة لبنان ولويس الذي تسلم هو ونفر من عبيد الغرب والشرق الراية ومضوا يدعون ويعملون .

وكان أجهرهم صوتاً في هذه الأيام لويس عوض لأنه ارتقى بوساطة أعداء الإسلام إلى منصب المستشار الثقافي لجريدة الأهرام ، فهو حري منا بأن نري القارىء حقيقته حتى يكون على علم بها ، وهذا ما سيراه في فصل قريب .

وهناك زميل له مسلم وعربي من مصر هو الدكتور عبد الحميد يونس يحمل راية أعداء الفصحى لغة القرآن ، راية الدعوة الى العامية ، وسنفرد له فصلاً خاصاً به .

الحروف اللاتينية

مر بالقارىء في دعوة الدعاة الى العامية الدعوة الى اتخـاذ الحرف اللاتيني محل الحرف العربي، ولعل من أوائل من دعوا الى اتخاذ الحرف اللاتيني بدل الحرف العربي غير من مر ذكرهم مثل عبد العزيز فهمي باشا وسلامة موسى وأنيس فريحة وسعيد عقل ..

لعل سبيتا الألماني من أوائل من دعا الى اتخاذ حرف غـير الحرف العربي فقال في كتابه « قواعد اللغة العامية في مصر » : « طريقـة الكتابة العقيمة أي بحروف الهجاء المعقدة يقع عليها بالطبع أكبر قسط من اللوم في كل هذا » و « بالتزام الكتابة العربية الكلاسيكية القديمة لا يمكن أن ينمو أدب حقيقي ويتطور » .

وأظن ان الدكتور داود الحلبي الموصلي أول من نادى باتخاذ الحرف اللاتيـني بدل العربي ، فقد طبع رسالة باللغـة التركية جعل عنوانها « إصلاح حروفه دائر » وذلك سنة ١٣٢٦ هـ ودعا فيهـا الى استبدال الحروف اللاتينية بالحروف العربية، ذاكراً مزايا الأولى وعيوب الأخرى .

دعا داود الحلبي الى ترك الحروف العربية واستعمال اللاتينية ، وأول دولة نفذت فكرة اتخاذ الحروف اللاتينية بدل العربية هي تركيا المسلمة

على يد مصطفى كمال بعد أن قضى على الخلافة الإسلامية وحارب الإسلام ومحا آثاره الظاهرة ، فلا خط عربي ولا دراسة دين الإسلام ولا ذكر للغة العرب .

وقضى مصطفى كمال على الحروف العربية التي كانت ترسم بها اللغة التركية وأحل محلها الحرف اللاتيني .

وبلغ من عنف الإرهاب الكمالي وعناده في محاربة العربية رسماً ولغة وضعُ شبكة من الجواسيس على الشعب التركي ، تترصد من يتعلقون باللغة العربية .

ومن ذلك ما نشرته جريدة « ديمقراط » التركية التي ذكرت « ان السلطات البوليسية هاجمت سيدة من المعلمات افتتحت في دارها بضعة فصول لتعليم الراغبين حروف اللغة العربية خلسة،وتقع دار السيدة المعلمة في ضاحية بأضنة » .

وقالت الجريدة التركية : « منذ أصبحت الحروف اللاتينية مستعملة في تركيا بدلاً من الحروف العربية أخذت بعض العناصر الرجعية تنشط في إغراء جماهير من الطبقات المتدينة على تعلمها خفية بعيداً عن أعين السلطات التركية .

« وقد ضبطت المعلمة وهي تلقن أكثر من أربعين طالباً كانوا في احدى غرف منزلها الحروف العربية ، فسيقوا جميعاً الى المحاكم ، كما صادرت السلطات البوليسية الكتب وأدوات التدريس التي وجدت في الفصول باعتبار أن هذا العمل يعد خطراً على سلامة الدولة ، ويدخل ضمن النشاط المحظور في البلاد »[1] .

إن تعليم الخط العربي لنفر من الطلاب جريمة لا تغتفر ، بل هي

---

[1] هذه ترجمة مراسل جريدة « النداء » المصرية في استانبول ، وقد نشرت النداء موجز خبر مهاجمة الشرطة التركية منزل المعلمة التركية .

خطر على سلامة الدولة ، في حين أن تركيا الكمالية تشجع تعلم اللغات الأجنبية حتى اليهودية لغة وكتابة ، أما العربية فلا، لأنها تتصل بالإسلام .

بل أمعنت تركيا الكمالية في اضطهاد العربية والقرآن والإسلام وكل من يتمسكون بذلك اضطهاداً شديداً تدل عليه حادثة المعلمة التركية .

وبعد أن استقر الأمر لمصطفى كمال ومحا اللغة العربية والخط العربي وحاصر القرآن حصاراً شديداً وزواه في الصدور وأحال بعض المساجد العظيمة إلى متاحف ، وأخلى جميع المساجد من قاصديها إلا في أضيق الحدود شعر بالأمن والطمأنينة .

ومع هذا الارهاب الباطش العسوف لم يتخل الترك عن الإسلام ، بل اشتد به تمسكهم ، وقام علماؤه يناضلون ويجاهدون ، فلما قرب موعد انعقاد مؤتمر المستشرقين بدهلي قام بعض أعداء الإسلام بنشاط عظيم لعقد المؤتمر في إستانبول ، وانبرت مجلة « صراط مستقيم » التركية الدينية تجاهد جهاد المستميتين في سبيل العقيدة الإسلامية .

وقد نشرت جريدة « النقاد » الدمشقية سنة ١٩٥١ أو ١٩٥٢ — لا أذكر — مقالاً للأستاذ طه المدور بحث فيه ما نشرته جريدة « صراط مستقيم » التركية ، وذكر أنها نشرت مقالاً تحت عنوان (Kirli ve gizli Parmaklar) أي (الأصابع الخفية والقذرة) .

وأشار الأستاذ المدور إلى المصادفة التي جعلت جريدة « النقاد » الدمشقية ومجلة « صراط مستقيم » تتفقان في نقد أعمال هذا المؤتمر لتطاوله وتعرضه للقرآن الكريم والأحرف العربية ، ومما قالته « النقاد » .

« كنا ذكرنا أن مؤتمر المستشرقين الذي سيعقد في إستنبول سيثير قضية كتابة اللغة العربية بحروف لاتينية ، ومعنى هذا القضاء على اللغة العربية وماضيها وتاريخها وقرآنها قضاء مبرماً ، وكنا أبنّا أن المستشرق ماسينيون بعد أن فشل في هذا الأمر بمصر عاد يثيره في إستنبول ، وقد عجب كثير من العلماء كيف يتدخل الأتراك بشؤون اللغة العربية بعد أن

تركوها منذ زمن بعيد » .

والمجلة التركية (صراط مستقيم) برهنت على أن وراء ما سيجري بحثه أصابع اليهود والصهيونية بجانب جماعات « الدنمه » أتباع مصطفى كمال.

وكل هؤلاء يعملون بجد للقضاء على الإسلام ولغته .

وأهم ما يشغل قوى الشر هدم اللغة العربية لغة ورسماً حتى يعزلوا القرآن والحديث وتراث المسلمين العربي في المتاحف التي تعد معتقلاً رهيباً مثل المعتقلات المعدة للخطرين على المجتمع ، وهذا ما دفعهم إلى إعلان فكرة استبدال الحروف اللاتينية بالحروف العربية قبل مؤتمر إستنبول.

ويظهر أن هذه الفكرة راقت بعض علماء عرب مسلمين لأن من اخترعوها استطاعوا أن يقنعوهم بصعوبة العربية كتابة وقراءة ويطلبوا إليهم تبنيّها والدعوة لها .

وما كانت هذه الدعوة لتحيا لولا أن تلقّفها عبد العزيز فهمي باشا عضو المجمع اللغوي بمصر وتبناها وتحمس لها ودعا إليها في قوة وعنف بالغين ، ونقلها من صعيد الصحافة الهازلة إلى أرفع منابر اللغة العربية في هذا العصر ، ألا وهي منابر المجمع اللغوي المصري وأعطاها قوة عظيمة بنقلها إلى رحابه .

واقترح عبد العزيز فهمي إلغاء الحروف العربية وإحلال الحروف اللاتينية محلها بعد إبقاء بضعة حروف عربية .

وكتب اقتراحه وقرأه على أعضاء المجمع اللغوي بالقاهرة في جلستيه المنعقدتين في ٢٤ و ٣١ يناير سنة ١٩٤٤ وفحش تجني فهمي باشا على اللغة العربية ورسمها بدعوته الكريهة .

يقول عبد العزيز فهمي ما نصه : « لقد فكرت في هذا الموضوع من زمن طويل ، فلم يهدني التفكير إلا إلى طريقة واحدة ، هي اتخاذ الحروف اللاتينية وما فيها من حروف الحركات بدل حروفنا العربية كما فعلت تركيا .

« أخطر هذا في بالي عقب أن أمر المرحوم (كذا) مصطفى كمال باستبدال الحروف اللاتينية بالحروف العربية التي كانت مستعملة في كتابة اللغة التركية .

« لاقيت أحد نظار المدارس الابتدائية بالأناضول فسألته عما يكون أحدثه هذا الإنقلاب في التعليم عندهم ، فأخبرني ان اتخاذ الحروف اللاتينية وما فيها من حروف الحركات قد امتعض من الأهالي في بادىء الأمر ، ومنعوا أطفالهم من الذهاب الى المدارس ، فتلاطف الأساتذة بهم مبينين لهم مزية هذا المشروع ، ثم تدخلت الحكومة وابتدأ تعليم الأطفال اللغة مرسومة كلماتها بتلك الحروف،فكانت دهشة الأساتذة ودهشة الأهالي كبيرة ، اذ وصل الطفل في شهرين أو ثلاثة الى قراءة أي متن مكتوب بها قراءة صحيحة ، وإن كان لا يفهم بعض المتون لأنها علمية أو فنية لما ينضج عقله لإدراك معناها ، وذلك من بعد أن كان الطفل عندهم يستغرق سنين في قراءة التركية مكتوبة بالحروف العربية،ويصحفها بكل ضروب التصحيف على مثال ما هو حاصل عند أهل العربية من أطفال ورجال .

« بقيت هذه الفكرة تشغل بالي إلى أن عرض – من نحو شهرين – أمر تيسير الكتابة على لجنة الأصول بالمجمع ، وإذ كنت من أعضائها فقد أحببت أن أعرف ماذا عسى أن تكون تجربة تركيا في الست عشرة سنة الماضية قد أظهرت من مساوىء هذه الطريقة أو من محاسنها ، لأن النظر شيء والتجربة شيء آخر، فعمدت إلى المفوضية التركية وهي آمن مورد يستقى منه الخبر – عمدت اليها على غير سابق معرفة بأحد فيها – فأنست بلقاء سعادة الوزير وحضرة السكرتير الأول واستطلعت طلعهما معاً ، فقال سعادة الوزير بحضور السكرتير ما حاصله : « إن طريقة الرسم الجديد قد أفادت أهل تركيا فائدة عظمى ، إذ أصبح الطفل بعد قليل جداً من الزمن يستطيع قراءة أي كتاب قراءة صحيحة لا تحريف

فيها وإن لم يفهمه ، وانه بفضل هذا الإنقلاب قد زالت الأمية في تركيا تماماً أو كادت ، وغاية الأمر ان الكتابة بالحروف العربية كانت كتابة اختزالية فيها اقتصاد في العمل وفي الوقت،أما الكتابة الجديدة فإنها بسبب حروف الحركات وأشكال الحروف الأخرى تستغرق عملاً أكثر ورقتاً أزيد » .

ثم قال : «إن الضرر الحقيقي الذي شاهدناه هو أن الطريقة الجديدة قد قطعت الصلة بين الجيل الجديد وبين مخلفات السلف في العلوم والآداب والفنون » .

ويقول عبد العزيز فهمي : « إذا كان في الرسم العربي اختزال فإن فيه ذلك الأذى البالغ الذي عمل رجل تركيا المرحوم (هكذا يقول) مصطفى على توقيه ، وقد توقاه فعلاً ، فاستفادت تركيا تحديد طريقة أداء اللفظ وسرعة زوال الأمية » .

ويقول : « ولا يفوتني في هذا الصدد أن أشير إلى عبارة قالها لي أحد زملائنا الأفاضل : هي أن الحروف اللاتينية لم تضبط طريقة أداء كل المخارج في الألفاظ التركية . وهذا اعتراض صحيح،أساسه واضح، وهو أن الأتراك لم يضعوا لكل نغمة الحرف الصحيح الدال عليها ويأخذوه، سواء من العربية أو الفارسية أو غيرهما .

أما الضرر الحقيقي الذي أشار اليه سعادة الوزير فقد قلت له : إنه ضرر حقاً ، ولكنه موقوت ، وعلاجه من أيسر ما يكون ، هو إنفاق مبلغ من المال لطبع أمهات المعاجم اللغوية ، وأمهات كتب العلم والأدب والفنون بالرسم الجديد ، وإن بيد حكومتكم التعجيل بالإنفاق فيقصر عمر هذا الضرر أم التأخر في الإنفاق فيطول عمره » .

وفي كلام عبد العزيز فهمي نفسه غنية لمن أراد نقضه ، فهو قد علم من وزير تركيا بمصر أن الكتابة العربية أو الرسم العربي مختزل ، فيه اختصار في الزمن واقتصاد في الجهد ، وهذه ميزة عظيمة .

وعبد العزيز فهمي مسكين ، فهو لا يجهل مصطفى كمال وحقده على الإسلام ، ومع هذا يقول : « المرحوم مصطفى كمال » .

وندع هذا لننظر إلى كلام متهافت له ، فقد أعلم الوزير التركي أن الرسم اللاتيني قطع الصلة بين الجيل الجديد ومخلفات السلف في العلوم والآداب والفنون ، فيجيبه عبد العزيز : ان هذا ضرر موقوت يزول، وعلاجه أيسر ما يكون ، وهو إنفاق مبلغ من المال .

مسكين عبد العزيز فهمي ، أيظن مخلفات السلف خمسين مجلداً ؟ أيظن الملايين المعدودة « مبلغاً من المال » ؟

إن تركيا لو أنفقت ميزانية دولتها لسنة ماكان في وسعها تحقيق ما يزعم أن علاجه أيسر ما يكون .

منذ أكثر من خمسين سنة وتركيا تتخذ الحرف اللاتيني ولم تستطع حتى اليوم أن تنقل إليه واحداً في الألف من التراث التركي المكتوب بالحرف العربي ، وما يزال هذا التراث مجهولاً كل الجهل من الجيل الجديد .

ويتناسى عبد العزيز فهمي باشا الواقع الصدوق فيزعم أن في الوسع علاج هذا الأمر بمبلغ من المال وبذلك يكون العلاج أيسر ما يكون .

نعم ، يتناسى ، فقد نشرت مجلة « الثقافة » في العدد ٢٨٨ الصادر في ١٣ رجب ١٣٦٣ هـ (٤ يوليه ١٩٤٤ م) مقالاً عظيماً يظهر منه ما يشبه استحالة نقل ما يراد نقله من الكتب إلى الحرف اللاتيني .

نشرت هذا المقال ومعاليه مشترك في « الثقافة » ولا يفوته الاطلاع على أعدادها حين صدورها ، وهذا غير ذي بال ، ولكن الذي نقصد أن يعلم القارىء ما عانى الترك ويعانون .

فقد نشر الكاتب التركي « بيامي صفا » في جريدة « جمهوريت » التركية بأحد أعدادها الصادرة سنة ١٩٤٠ م مقالاً في معاناة الترك من استبدال اللاتينية بالحرف العربي،وذكر أن الجيل الجديد الذي لا يعرف

الخط العربي المستعمل لدى الترك قبل حركة الاستبدال لا يستطيع قراءة الكتب المطبوعة بالحرف العربي ، وقام بينه وبينها سد منيع ، ولا يستطيع قراءة يعقوب قدري ، وفالح رفقي ، وخالدة أديب ، وغيرهم من زملائه الكتاب .

وذكر « بيامي صفا » : أن مؤتمر النشر التركي قرر طبع خمسين ألف كتاب في الحد الأدنى ، ولكن مضت عشرة أشهر على قراره ولم يطبع عشرة كتب .

هذا ما يقوله كاتب من أعظم كتاب تركيا الكمالية ، فإذا تركنا الكتب فإن الجيل الجديد لا يستطيع قراءة النقوش والصكوك والآثار المكتوبة بالحرف العربي ولا سبيل إلى ترجمة النقوش والآثار .

وينسى عبد العزيز فهمي أن الرسم العربي دخيل على تركيا ، فهو رسم ليس رسمها ، فإذا بدلته فقد تركته إلى دخيل آخر ، استبدلت دخيلاً بدخيل .

أما نحن العرب فنترك رسماً أصيلاً لنا وإن كان عبد العزيز فهمي باشا يقول : إن الرسم العربي وثني .

وهو صحيح ، ولكن ، أيرى معاليه ان الرسم اللاتيني غير وثني ؟ .

وقد رد عليه كثير من أعضاء المجمع وأبانوا فساد ما اختار وبطلان ما اقترح وردوه، ولم يؤيده إلا صليبيون مثل الدكتور هـ . ا . ر . جب .

ونحن نعرف ان في الرسم العربي بعض العيوب مثل تشابه بعض الحروف ووقوع التصحيف ولكن هذا لا يقضي بمحوه وإيثار رسم غريب عليه .

وما كاد عبد العزيز فهمي يلقي اقتراحه حتى وجد أعداء العربية الباب مفتوحاً، وظنوا ان اقتراحه نافذ فرقصوا وطربوا وهللوا ورحبوا ، ولما رأوا العالم العربي ينكره ويتجهم له أبدوا أسفهم البالغ لأن العرب أضاعوا فرصة التقدم والتحضر والتمدين .

هذا ما يظهرونه ، والصحيح أن حزنهم عميق وصادق لأن العرب أدركوا ما وراء دعوة اتخاذ الحروف اللاتينية من خطر على القرآن وكل التراث الإسلامي بلغة العرب فردوها رداً شنيعاً .

ومات عبد العزيز فهمي غفر الله له ، واقتراحه قد تسلمه منه أعداء القرآن ، ولغة القرآن فأخذوا يحيونه ويجددون دعوته ويدعون بهما مثل سلامة موسى وأنيس فريحة وسعيد عقل .

وهناك دعوات هدامة يقصد منها القضاء على القرآن ولغته أو مزاحمتهما وصرف النشاط الفكري والأدبي والفني عن وجهته الصحيحة الى وجهة تنتهي الى الوثنية ، وما يزال الأعداء يعملون في جد وبسخاء لضرب القرآن بضرب الفصحى وطلب محو الخط العربي ، واتخاذ الحرف اللاتيني بدله .

قصور العربية عن المعارف الانسانية

يزعم بعض الناس أن العربية قاصرة عندما ينقلون اليها آثار الغرب أو الشرق ، ويقول سلامه موسى في مقال له بعنوان « الفصحى والعامية » منشور بمجلة الهلال في عدد صدر في سنة ١٩٢٧ م (١٣٤٥ هـ) :

« وقد عانيت الترجمة إلى اللغة الفصحى عـدة سنوات فما رضيت مرة عن نفسي وارتضيت الترجمة ، فإنما نحن نؤلف ونعتقد أو ندعي أننا نترجم ، وذلك لأن هذه اللغة الفصحى هي لغة بدوية . والثقافة بنت الحضارة ، وليست بنت البداوة ، ولذلك فانه يشق علينا جداً أن نضع معاني الثقافة في هذه اللغة سواء بالترجمة أم بالتأليف » .

ويقول تابعه ومقلده الاستاذ الدكتور انيس فريحة اللبناني في ص ١٣ من كتابه « نحو عربية ميسرة » :

« إن الكثرة الكثيرة من هذه الكلمات تعكس الحياة الصحراوية البدائية وهذا طبيعي ، وكان على هذه اللغة الصحراوية الفقيرة بالمفردات التجريدية الفلسفية والعلمية والفنية والصناعية ... إن هـذه الكثرة من المفردات اللصيقة بالحياة البدوية اصبحت على ممر العصور ممـاتة ، أماتتها الحياة ونبذتها ، لأن الحياة العربية ابتعدت عن الصحراء وما اليها من بداوة » .

ويقول أنيس فريحة حامل آراء سلامة موسى ومن سبقوه ودفعوه في كتابه « نحو عربية ميسرة » ص ١٤١ : « هل حاولت ترجمة مقال في المنطق أو الرياضيات العالية أو الفلسفة أو علم الاجتماع أو علم الانتروبولوجيا ، أو في علم اللغة ذاتها ؟ أما أنا فقد حاولت ، والذين حاولوا مثلي لا ينكرون مبلغ الصعوبة في إخضاع العربية لصرامة العلم وتشديده ، ولا ينكرون أن في الترجمة « التقريبية » التي يقومون بها كان عليهم أن يخضعوا الفكر للغة لا اللغة للفكر » .

هذا ما يدعيه أعداء العربية الذين يدْعون إلى العامية ويحاربون من أجل سيادتها ، ونسألهم : أهذه العامية التي تدعون اليها صالحة للترجمة أو التأليف في العلوم التي ضربتم بها الأمثلة ؟.

إنها لا تصلح للترجمة ولا للتأليف ، فما كتب أحد من الدعاة الأقطاب مؤلفاً علمياً أو أدبياً من مؤلفاته — لا سلامة موسى ولا أنيس فريحة — بهذه اللغة التي يطلبون إلى العرب أن يجعلوها لغة الكتابة والعلم.

ونبحث مسألة صعوبة الترجمة إلى العربية ، وهل هي صحيحة أم دعوى من دعاوي القوم ؟.

الواقع ، أن هذه الصعوبة التي يشيرون اليها غير موجودة ، فما بها هذا القصور الذي يتهمونها به ، بل القصور في سلامة موسى وأنيس فريحة وكل الدعاة من امثالها ، فهؤلاء التراجمة ضعفاء في اللغة التي ينقلون منها وفي العربية التي يريدون ان ينقلوا اليها ، بل فيهم من يجهل العربية جهلاً مبيناً .

يجهلون قواعدها وآدابها ومفرداتها وفُصَحها ونوادرها ، ويجهلون أسماء الأعلام والمصطلحات والمدن ، حتى ليبلغ الجهل بهم أن ينقلوا من الإنكليزية أو الفرنسية أو الألمانية أو غيرها أسماء مدن وأقطار مشهورة عربية ويترجمونها ترجمة غريبة ، فيترجمون إلى العربية «أابو» ويقصدون « حلب » و«الأحساء» أو« الحسا » الإقليم السعودي المشهور يترجمونها

« الماسا » والقاهرة يترجمونها « كايرو » .

بل في القاهرة نفسها ينقلون من الإنجليزية اسم القاهرة هكذا «كايرو» فيسمون به مسميات كثيرة .

بل يستعمل العرب في كل مكان كلمة « شيك » المأخوذة من لغتنا العربية مثل من أخذوها عنا دون ان يدركوا انها هي « الصك » وإن كان الصك في اساسه معرباً ، ولكنه لفظ عربي صحيح ، ولما نقل إلى بيئات غربية صار « الشيك » ونحن اخذناه بعجمته .

وإذا كان هؤلاء الذين يدّعون قصور العربية هم أنفسهم ضعفاء فيها بدون جدال فحري بهم أن يقصروا ، ثم ينسبون قصورهم إلى اللغة التي ترجم اليها المترجمون علوم اليونان وفلسفتهم منذ مئات السنين فلم تجمد ولم تقتصر .

ومن المعاصرين من لم ينقلوا « مقالاً » في المنطق أو الرياضيات العالية أو الفلسفة أو علم الانتروبولوجيا » بـل نقلوا كتباً بعضها في أجزاء معدودات ، ولم تمنعهم الصعوبة عن الترجمة .

ولا نريد أن نعود مئات السنين إلى الوراء لنذكر حنين بن إسحاق وغيره من المترجمين ، بل يكفينا ان نذكر بعض من ترجموا في القرن التاسع عشر من اللغة الفرنسية واللغة الإنكليزية في علوم مختلفة ، ليفهم أنيس فريحة وأمثاله أن الفصحى قادرة وقوية ومرنة ، وتتسع للآداب والعلوم والفنون في الغرب .

فلأب رفائيل دي موناكيس – واسمه الأصلي أنطون زخورة من طائفة الروم الكاثوليك الملكيين ، وولد سنة ١٧٥٨ وتوفي سنة ١٨٣١ م – ترجم عديداً من الكتب إلى العربية ، منها :

١ – كتاب الدكتور دجينيت في مرض الجدري .

٢ – كتاب « الأمير » لمكيافيلي ، ترجمه بأمر محمد علي باشا ، وهو مخطوط وموجود بدار الكتب المصرية .

٣ — كتاب « قانون الصباغة » تأليف ماكير ، وطبع طبعتين : الأولى سنة ١٢٣٨ هـ والثانية سنة ١٢٥١ .

وجورج فيدال ترجم من الفرنسية كتاب « المنحة في سياسة حفظ الصحة » تأليف برنار ، وطبع سنة ١٢٤٩ هـ .

وترجم رفاعة رافع الطهطاوي كثيرا من الكتب ، منها :

١ — تقويم سنة ١٢٤٤ هـ تأليف المسيو جومار .

٢ — كتاب العالم الفرنسي « فرارد » في المعادن ، وطبع سنة ١٢٤٨ هـ .

٣ — نبذة في علم الهيئة .

٤ — نبذة في الميثولوجيا .

٥ — الجغرافيا العمومية تأليف أدولف ملطبرون الجغرافي الفرنسي ، ويقع في أربعة مجلدات كبيرة .

٦ — كتاب « المنطق » تأليف « دي دومارسي » وطبع سنة ١٢٥٤ هـ .

٧ — كتاب « مبادىء الهندسة » تأليف « ساسير » وطبع ثلاث مرات ، الاولى سنة ١٢٥٩ هـ ، والثانية سنة ١٢٧٠ والثالثة سنة ١٢٩١ .

ويوسف فوعون ترجم كتباً كثيرة في الطب ، منها :

١ — التوضيح لألفاظ التشريح البيطري ، من الفرنسية ، وطبع سنة ١٢٤٩ هـ .

٢ — رسالة في علم الطب البيطري ، طبع سنة ١٢٥٧ هـ .

٣ — عقد الجمان في أدوية الحيوان .

ويوحنا عنحوري المعروف بحنين ، نقل من الإيطالية والفرنسية إلى العربية كتباً في التشريح والطب البشري والجراحة والعلوم الطبيعية والكائنات الجوية ، ومما ترجمه عن الإيطالية :

١ – القول الصريح في علم التشريع ، طبع سنة ١٢٤٨ هـ .
٢ – تبولوجيا ، أي رسالة في الطب البشري ، طبع سنة ١٢٥٠هـ .
٣ – علم النباتات ، طبع سنة ١٢٥٧ هـ .
٤ – الطبيعة على أشكال ، وطبع سنة ١٢٥٤ هـ .

ومن الفرنسية ترجم هذه الكتب :

١ – رسالة في علم الجراحة البشرية ، طبع سنة ١٢٥٠ هـ .
٢ – الأزهار البديعة في عالم الطبيعة تأليف المسيو بيرون استاذ الكيمياء بمدرسة الطب في أيام محمد علي باشا ، وكانت الترجمة بمساعدة المؤلف ، ويقع الكتاب في جزءين : الأول باسم « العلوم الطبيعية » والثاني باسم « في الكائنات الجوية » وطبع الجزآن سنة ١٢٥٤ هـ ثم أعيد طبعها سنة ١٢٦٩ هـ .

ومحمد عصمت ترجم من التركية كتباً نقلت اليها من الفرنسية ، ومما ترجمه :

١ – الأصول الهندسية ، تأليف لوجندر ، وطبع مرتين : الأولى سنة ١٢٥٥ والثانية سنة ١٢٨٢ هـ .
٢ – المقالة الأولية في الهندسة ، طبع سنة ١٢٥٢ هـ .

ومحمد بيومي من تلامذة البعثة المصرية الأولى إلى فرنسا ترجم كتباً كثيرة في الحساب والجبر والهندسة ، ومنها :

١ – ثمرة الاكتساب في علم الحساب ، وطبع سنة ١٢٥٦ هـ .
٢ – كتاب الجبر والمقابلة ، وطبع سنة ١٢٥٦ هـ .
٣ – ثمرة الاكتساب في علم الحساب ، ويقع في جزءين ، وهو غير الأول ، وطبع سنة ١٢٦٣ هـ .
٤ – الهندسة الوصفية ، في مجلدين مطبوعين سنة ١٢٦٣ هـ .
٥ – جامع الثمرات في حساب المثلثات ، وهو يشمل حساب المثلثات المستقيمة والكروية ، وطبع سنة ١٢٦٤ هـ .

٦ – ميكانيقية ، أي علم جر الأثقال ، ترجمه بالاشتراك مع الاستاذ أحمد طاويل أحد المترجمين البارعين في ذلك العصر .

وإبراهيم النبراوي كان من الأعاجيب ، فقد أرسله أبـــوه إلى القاهرة ليبيع لـــه بطيخاً فخسر ، وخاف أن يعود إلى أبيه ودخل الأزهر ثم مدرسة أبـي زعبل ، ثم أرسله محمد علي باشا الى فرنسا لدراسة الطب في البعثة الاولى ، وتزوج فرنسية ، واظهر نبوغاً عظيماً ، فلما عاد جعله محمد علي باشا طبيباً خاصاً له ، وترجم الى العربية وهو في فرنسا كتب كلوت بك ، ومن مترجماته :

١ – كتاب « مختصر يشتمل على نبذة في الفلسفة الطبيعية ونبذة في التشريح العام ونبذة في التشريح المرضي » المطبوع سنة ١٢٥٣ هـ .

٢ – الأربطة الجراحية .

ومن الكتب الكثيرة المترجمة :

١ – كتاب « تحرك السوائل » تأليف المهندس بلانجه وترجمة أحمد فايد باشا المطبوع سنة ١٢٦٤ هـ .

٢ – كتاب « القانون الرياضي في فن تخطيط الأراضي » في أربعة أجزاء ، من ترجمة ابراهيم رمضان ، وطبع سنة ١٢٦٠ هـ .

٣ – كتاب « ايدروليك أي علم حركة وموازنة المياه » ترجمه من الفرنسية أحمد دقلة بك ، وطبعه سنة ١٢٥٩ هـ .

ومئات الكتب ترجمت في القرن التاسع عشر من اللغات الأوربية الى العربية ولم يشكُ المترجمون ما شكا منه سلامة موسى وأنيس فريحة ، لأن هؤلاء المترجمين كانوا أقوياء في اللغة التي ينقلون عنها وفي اللغة التي يترجمون اليها ، أما سلامة موسى وأنيس فريحة وأمثالها فضعفاء في اللغتين ، ومن هنا كانت الصعوبة .

إن الأقوياء لا يشكون شكوى الضعفاء الحاقدين ، فقد نقل مصطفى

مشرفة باشا بعض النظريات العلمية الحديثة وألف فيها باللغة العربية ولم يرفع عقيرته بالشكوى لأنه قوي في اللغتين .

وترجم كثيرون آثـاراً علمية وأدبية عالمية ، من بعض اللغات الى العربية في مختلف العلوم والفنون والآداب ، وكثير منهم كتبوا وألفوا في العلوم الحديثة فما خانتهم العربية .

لم يشك مصطفى مشرفة ومصطفى نظيف وعبد الحليم منتصر وسليمان عزمي والعقاد وطه حسين والمازني وهيكل وعنان والزيات وعلي أدهم وزكي نجيب محمود وأحمد أمين ومحمد بدران ومحمد رفعت والطيار الركن هيثم الكيلاني والدكتور جمال المحاسب والدكتور حافظ الجمالي والدكتور يحيى الخشاب والدكتور بدر الدين الساعي وابراهيم عبود والدكتور هشام متولي ، ومئات غيرهم قصور العربية لأنهم متمكنون من اللغات التي ينقلون عنها ومن اللغة العربية التي ينقلون اليها .

يقول صديقنا العقاد[1] — رحمه الله وأثابه — : « المترجم المستعد — كما هو معلوم — يستوفي النهوض بوظيفته عدة كاملة منوعة تتجمع من العلم باللغتين ومن العلم بموضوع المعرفة الذي ينقله المترجم من احدى اللغتين الى الاخرى ، ولا بد له من حصة وافية مشتركة بين المعلومات العامة في عصره ، وان لم تكن لها علاقة مباشرة بموضوع الكتاب المترجم.

« ويصعب تحقيق هذه الشروط كلها في بداءة الحركة ، لأن هذه الشروط كلها قد تكون — هي ايضاً — في دور البداءة محلاً للمراجعة والإعادة .

« فلم يكن بين المترجمين في اوائل حركة الترجمة من هو أوفى عدة من رفاعة الطهطاوي في مادة اللغة العربية وفي مادة اللغة الفرنسية، وفي محصوله من المعارف العامة ، ولكنه — مع هذا — كان يترجم صفة

---

١ في كتابه العظيم « أشتات مجتمعات » راجع الصفحات ٥ — ٨ .

دولة كبيرة بتعريبها كما تنطق باللغة الفرنسية ، فكان يترجم الولايات المتحدة بالـ (أتازيوني) نقلاً عن اللفظ الفرنسي بحرفه ، ولم يفعل ذلك لأن اللغة العربية قاصرة عن أداء الكلمة بما يقابلها ، ولا لأنه كان يجهل مدلول الولاية وما يرادفها في معجمات اللغة، ولكن الاصطلاحات السياسية والدستورية كلها كانت تبتدىء وجودها في تلك الحقبة ، وكان اتحاد المقاطعات في أساسه عملاً جديداً في قاموس الحكم والسياسة .

« أما المترجمون ممن هم دون رفاعة في اللغة والمعرفة فقد كان منهم من يذكر « ألبو » و « تجري » و « أكرة » ليترجم بها « حلب والدجلة وعكا » ولا ذنب للغة العربية في هذا الخطأ لأنها هي مصدر الكلمات الصحيحة التي تقابل تلك الأسماء .

« وليس أولئك المترجمون من الجهل بأوطانهم القريبة بحيث يجهلون أسماء تلك البلاد – بلغة أمهاتهم وآبائهم – ولكنها بداءة العلم والتاريخ ووقائعه فعلت فعلها هنا وكشفت بذلك عن خطإ من أخطاء القائلين بقصور اللغة في نقل كتب المعرفة والثقافة .

« وإذا انتقلنا بالترجمة من عالم الاسماء والاعلام والمصطلحات إلى عالم المعاني والأفكار والاحاسيس فالبداءة هنا مسئولة عن خطإ كذلك الخطإ أو اظهر منه للقراء على اختلاف حظهم من المعلومات العامة .

« ذلك هو خطأ الضرورة التي خلطت بين ملكة الادب وبين المعرفة « القاموسية » بالكلمات الاجنبية وما يقابلها بلغة الخطاب المتداول ولغة القاموس في العربية الفصحى .

« فالمترجم هنا طفيلي على الكتابة باللغة التي ينقل منها واللغة التي ينقل اليها ، فليس العجز في قصور الالفاظ العربية عن وصف المعاني او الافكار او الاحاسيس باللغات الاجنبية ، وانما العجز من المترجم الذي لا يستطيع ان يعبر عنها بلغة من اللغات ، أجنبية كانت او وطنية ، ولا يستطيع من فهمها فوق ما يستطيعه القارىء الغربي او الشرقي وهو

يتصفح العمل الأدبي من قصة او مسرحية أو قصيدة – منظومة – ولو تولى الأمر أديب يشعر شعور الأديب ويفهم فهمه لما قصرت اللغة العربية بين يديه عن مجاراة اللغة التي ينقل عنها ، ولعل الاستاذ البستاني لم يزعم قط بينه وبين نفسه ولا بينه وبين قرائه أنه يضارع الشاعر هوميروس في ملكته الشعرية ، ولكنه – ولا مراء – قد ترجم الإلياذة من لغتها الأصلية كما ترجمها الاوربيون الى لغاتهم المختلفة ، لاتينية أو جرمانية .

وانقضى هذا الدور – او كاد – ولما نفرغ من ذلك الخطإ الشائع عن قصور اللغة العربية في مقاصد التعبير عن خوالج النفس البشرية ، ولكننا – فيما نحسب – قد فرغنا من إحالة هذا الخطإ من كتف اللغة إلى كتف التطفل على الكتابة الأدبية من غير أهلها » .

ومسألة المصطلحات العلمية مما يعيرون به اللغة العربية لخلوها منها ، ولا شك ان هناك آلافاً من المصطلحات لا وجود لها في العربية ، ولكن ذلك ليس من ضعفها وقصورها ، فكل اللغات الحية كانت خالية من آلاف المصطلحات الجديدة التي ظهرت خلال ربع القرن الاخير .

وعندما دعت حاجة العربية منذ الجاهلية الى اسماء جديدة لم تجمد ، بل احدثتها ووضعتها وإلا عربتها،والتجارب التي مرت بها اثبتت قدرتها ومرونتها وسعتها ، وليس ادل على ذلك من حوادث كثيرة .

ومن اوائل التجارب والبراهين : الإسلام ، ولا شك انه كان ديناً جديداً عظيماً ، وحركة مصحوبة بجديد مبتكر لا عهد للعربية بها ، ولا عهد للدنيا بها ، قلب كل اوضاع العرب وغير العرب ممن دخلوا فيه، وكانت لغته هي العربية ، فاتخذ مصطلحات جديدة تعد بالمئات انتزعها من العربية نفسها انتزاعاً ، ووضع فيها معانيه الجديدة التي يريدها فغلبت على المعاني الأصلية واخفتها وعرفت بالمعاني الجديدة كالصلاة والصيام والحج والعمرة والفقه والقرآن والسنة .

ونجحت العربية ايما نجاح عندما اتسعت لمعاني الإسلام وكل ما صحبه

من تغيير في العقيدة والشريعة والاخلاق والعادات والسلوك .

ثم جاءت التجربة العمرية ، تجربة عمر بن الخطاب رضي الله عنه عندما استحدث في الإسلام الدواوين والإدارات والإحصاء والتدوين مما لا عهد للعربية والعرب بها ، فلم تجمد العربية بل اتسعت لهذه التجربة دون اي قصور ، مع ان عملاً كهذا يعد امتحاناً عسيراً لأى لغة في جميع العصور .

ثم جاءت تجارب العلوم العربية والدينية من عروض ونحو وصرف وبيان وبلاغة وفقه وتوحيد ومصطلح فكانت العربية عظيمة القدرة والصلاح لمصطلحات هذه العلوم .

وجاءت تجارب النقل والترجمة والتأليف في علوم لا عهد للعربية بها كالكيمياء والطبيعة والهندسة والجبر والرياضيات والحساب والجغرافيا والطب والبصريات والميكانيك والمعادن والزراعة والتجارة والاقتصاد والسياسة والحكم فإذا العربية تتسع لها اتساعاً عجيباً .

فإذا ظُن بها اليوم قصور فما هو فيها ، لا في جوهرها ولبابها، ولا في عرضها وقشورها ، بل القصور في اهلها ، لأنهم لم يشاركوا في هذا العصر في الاختراع والحضارة الحديثة ، ولو شاركوا لوضعوا اسماء .

انها لم تتجهم قط للجديد الذي هي في حاجة اليه ، بل اتسعت لكل جديد مهما كان مصدره ، وبرهنت على انها لغة حية صالحة لأنها اللغة السخية الكريمة المعطاء ، ولأنها اللغة السمحة المطواع ، وخصائصها وما فيها من صفات المرونة ، وسعتها وكثرة مفرداتها ، وقوانين نحوها وصرفها ، والاشتقاق والنحت ، والوضع ، والتعريب ، تساعد على نمائها الدائم ، وتبرهن على سماحتها وطاعتها وقبولها كل جديد .

ان تجارب القرون الماضية تثبت قدرة اللغة العربية على السير الحثيث مع التطور ، ووفاءها بحاجة كل عصر مهما بلغ من التقدم .

ان الإنكليزية لم تتهم بالقصور لأنها كانت خالية منذ خمسين سنة من

المصطلحات العلمية والفنية والصناعية التي انبثقت من تطور العلوم والآداب والفنون منذ الحرب الاولى ، بل كانت خالية من آلاف الكلمات التي رفدها به تطور الحياة والعلوم بعد الحرب الثانية .

والعربية لا تتهم ايضاً ، فعندما بدأت وثبة الحضارة وطفرتها كانت امم العربية في تأخر وانحطاط وجمود بسبب الاستعمار الذي اوحى اليها بصعوبة العربية وصعوبة قواعدها ، وبفقدانها الحياة ، ولم تكن بحاجة الى الحركة والظهور لأن اهلها كانوا بعيدين عنها كل البعد .

ومن البديهي ان اللغة تتبع اهلها ، فبهم تتقدم ، وبهم تحيا ،وهي ظلهم ، وليس من الواقــع ان تكون اللغة متقدمة كل التقدم في امة متأخرة ، وعندما تتقدم الامة العربية وتجد لغتها متأخرة فلأولئك الخصوم ان يفعلوا ما يبدو لهم .

اما وان الامة العربية في مختلف اقطارها قد استيقظت فان لغتها اليقظة القوية مستجيبة لها ، لا تضن بما يراد منها ، وتجدد لها عهدها بأنها ما تزال على العهد بها سخية مرنة سهلة مطواعا ، قادرة على استيعاب كل جديد .

وما نجده من جحودها وجحود خصائصها ومواهبها ومحاربتها وتشديد النكير عليها وهدمها والتنديد بها ، وما نسمع من صرخات الصارخين الحاقدين عليها ليسا الا عداء للقرآن بمعاداة لغته ، والا فمن خصومها من يدركون عظمة العربية ، ولكنهم يريدون هدمها لانهم يريدون هــدم القرآن والإسلام .

لويس عوض

انتدبت قوى الشر الدكتور لويس عوض ليحمل الرايـة في مصر ، ويتولى قيادة الدعوة إلى العامية وما يتبعها أو يسبقها أو يماشيها من دعوات، وليست القيادة له وحـــده ، فهناك زملاء له في هذه القيادة ، وكلهم استغلوا الظروف السياسية التي كانت إلى جانبهم في العالم العربـي .

وتولت تلك القوى المتمثلة في الاستعمار والصهيونية والشيوعية تأييـــد هؤلاء الدعاة ، وخلع الألقاب عليهم لتخدع بها القراء ، وتجتذب ثقتهم وإعجابهم بصنائعهم ، فهيأوا الفرصة للويس عوض حتى يدرس في لندن وتعطيه شهادة على عداوته القرآن والإسلام ولغتها .

وكان الدكتور لويس عوض عند حسن ظن من أوجدوه وأقـــاموا كيانه ، فكان من أشد من عرف تاريخ العصر عـداء للإسلام والقرآن والعروبة والمسلمين والعرب ، ويعمل على جعلهم أي شي إلا أن يكونوا مسلمين أو عرباً .

وصرح لويس عوض في كلمة له بما لا مجال للشك أو الاختلاف فيما نسبنا إليه ، فهو معترف بذلك وبأكثر منه ، فقـــد كتب في كتابه « بلوتولند ، وقصائد أخرى،من شعر الخاصة » الذي صدر سنة ١٩٤٧ م

وكتب لويس عوض في مقدمته ترجمة حياة لويس عوض نفسه .

وما ثم ما هو أعظم من هذا دليلاً ، فهو يقول في وصف نفسه :

« وإني لأعلم انه قد عاهد الثلوج الغزيرة علـى حديقـة مدسمر ، في خلوة مشهودة بين أشجار الدردار عند الشلال بكامبريدج ، ألا يخط كلمة واحدة إلا باللغـة المصرية ، وقـد بر بعهده في العام الأول بعد عودته، فكتب شيئاً بالمصرية سماه « مذكرات طالب بعثة » ولكنه استسلم بعد ذلك وخان العهد ، فلتغفر له الثلوج الطاهـرة التي لم تدنسها حتى أقدام البشر » .

إن لويس عوض يعترف بأنه عاهد الاستعمار الـذي رمز له بالثلوج الغزيرة على ألا يكتب حرفاً إلا باللغة العاميـة ، واعترف بأن المعاهدة كانت في خلوة بين أشجار الدردار عند الشلال بكامبريدج .

ووصف الخلوة بأنها « مشهودة » وهي تدل على أن الخلوة جمعت غيره ، وطبيعي أن يكون ذلك حتى يسمعوا عهده .

لقد عاهد المستعمرين الإنجليز أن يحارب لغة القـرآن عندما يعود إلى مصر ، فكتب شيئاً سماه « مذكرات طالب بعثة » ثم يعترف بأنه «خان العهد » لأنه كتب بغير اللغة العامية مما يظنه « فصحى » .

وإذا كانت الكتابة بغير العامية خيانـة للعهد الذي قطعـه على نفسه « للثلوج الغزيرة على حديقة مدسمـر في خلوة مشهودة بـين أشجار الدردار عند الشلال بكامبريدج ألا يخط كلمة واحدة إلا باللغة المصرية» فإن هذه «الخيانة» تبرهن على حقده الأسود على القرآن والإسلام ولغتهما، وتدل على أنه عاد من إنجلترا إلى مصر وهو مزود من الاستعمار بـ«تعليمات» و « مخططات » .

ونشهد لله تعالى ان الدكتور لويس عوض كان أميناً ووفياً لمن انتدبوه وعاهدهم ، وإذا كان قد خان العهد فلم يكتب باللغة العامية إلا في العام الأول من عودته إذ كتب بها كتابه « مذكرات طالب بعثة » فإن انتقاله

إلى الكتابة بغير العامية لم يكن خيانة منه للعهد ، بل اختيار أسلوب آخر أو سلاح جديد .

إن كتابه « مذكرات طالب بغثة » لم يصدر ، وقد بشرت صحف بينها بعض صحفنا السعودية انه سيصدر قريباً ، وبشرت شعوب الأمة العربية في كل مكان ان الكتاب كان ضائعاً وقد عثر عليه .

وإن اصطناع العامية في الكتابة لم ياق رواجاً ، بل كانت مقصورة على صحف الهزل والنكات والحضيض التي لا تقرأ إلا من قبل المنحرفين و « الغرز » وراغبي التسلية ، والكتابة بها غير مقروءة من قبل المثقفين والكاتبين .

والقصد ليس شيوع العامية أو سيادتها بل القضاء على القرآن، فاتخذوا الكتابة بغير العامية حتى تصل إلى بلدان العالم العربي لتشيع فاحشة الانحدار الخلقي والروحي والاستهتار بالقرآن والاستخفاف بالإسلام .

وإذا كان لويس عوض يعاهد على اتخاذ العامية لغة قلم عندما يعود إلى مصر فإن هذه المعاهدة تكشف عن عزم على قتال الفصحى .

ونحب أن يعلم القارىء بعض حقيقة لويس عوض ليعرف منها المادة التي صيغت منها شخصيته ومبادئه .

نشأ في مصر تحت رعاية المبشرين والمستعمرين ، وأدخلوه جامعة القاهرة وتخرج منها سنة ١٩٣٧ م بالليسانس متخصصاً في اللغة الإنجليزية، ثم أوفده الإنجليز على حسابهم إلى جامعة كمبردج ، وأنالوه الماجستير وعاد إلى مصر سنة ١٩٤٠ ثم حصل على الدكتوراه ودخل الجامعة مدرساً حتى سنة ١٩٥٤ م .

وجاء في كتاب « أباطيل وأسمار »[١] ١ : ١٥٧ :

« بقي (لويس عوض) مدرساً بالجامعة إلى سنة ١٩٥٤ لا يعرفه أحد

---

١ تأليف الأستاذ محمود محمد شاكر .

سوى تلامذته الذين يروون عنه شيئاً كثيراً لا أريد ذكره » .

وما لم يُرِدْ ذكره الأستاذ محمود شاكر مؤلف هذا الكتاب العظيم هو أن لويس عوض كان يهاجم الأدب العربي عامة علانية ، كما كان يتجنى على القرآن والإسلام ولغتها ، ويصرح بأن عامية مصر خير من الفصحى ، وكان يتخذ أسلوباً خسيساً في هجومه وتجنيه .

ولم يقلع حتى اليوم عن ذلك ، بل وجد من الفرص والظروف ما هيأ له أن ينفذ عهده الذي قطعه على نفسه في حديقة مدسمر عند الشلال بكامبريدج كما اعترف .

واستطاع لويس عوض بمعونة القوى التي تسنده وبعملاء هذه القوى أمثال سلامة موسى وبالأموال اليهودية أن يكون من كتاب مجلة « الكاتب المصري » التي صدرت بأموال يهودية خُدع بظاهرها أدباء كبار .

واليهود والمستعمرون وأعداء الإسلام لا يعدمون وسائل للخداع والتضليل ، فخدعوا الدكتور طه حسين فتولى رئاسة تحريرها ، ولم يكن رئيس تحريرها فعلاً وعملاً ، بل كانت الرئاسة شرفاً ، وقد استغلت المجلة اسم طه حسين وشهرته ومكانته حتى ماتت المجلة .

ويعترف لويس عوض ان أستاذه الروحي هو سلامة موسى الذي أدخله في مجلة « الكاتب المصري » وكتب فيها موضوعات كلها وقف على بعض أدباء الإنجليز مثل أوسكار وايلد ، وإليوت، وشو ، فنشر في العدد ٤ من المجلد ١ الصادر في يناير ١٩٤٦ مقالاً في ت . س . إليوت، شغل من المجلة الصفحات المبتدئة من رقم ٥٥٧ إلى رقم ٥٦٨ وفي العدد ٢ من المجلد الرابع الصادر في مايو ١٩٤٦ كتب مقالاً في « برناردشو» كما نشر في أعداد أخر من « الكاتب المصري » .

ولا نريد أن نتحدث فيما كتب وننقده لأننا لسنا بسبيلها وإن كان ما كتبه يتخذ أسلوباً غاية في الضعة والركاكة، وهو — بعد — ليس إلا تمرينات إنشائية مدرسية لا ترتفع إلى مستوى البحث العلمي .

ومع أن مجلة « الكاتب المصري » أخذت شهرة في العالم العربي لأن طه حسين يرأس تحريرها فقد بقي لويس عوض مجهولاً .

ثم صدرت جريدة « الجمهورية » فكان لويس عوض من كتابها ، وترجم قصصاً وكتب مقالات ، ولكنه لم يشتهر هذه الشهرة حتى هيأت له ظروف خاصة أن يقتعد منبر الثقافة في أكبر جريدة عربية في العالم وهي جريدة « الأهرام » حيث صار مستشارها الثقافي .

وأعطاه هذا المنصب الخطير فرصاً كثيرة وعظيمة ، فقد تسنى له أن يشتهر ، وأن ينخدع فيه من لا يعرف آصله وفصله ، وأن يجمع الأنصار والمريدين في العالم العربي حتى في البلاد السعودية موطن الفصحى وبلاد القرآن والحديث واللغة ليكونوا جنوده في حمل الدعوة الهدامة ونشرها ، وهي هدم الإسلام بهدم لغة القرآن .

إن من صاغوا شخصية لويس عوض هم أعداء الإسلام ، صاغها الإنجليز الألى تولوا إعداد لويس عوض منذ سنيه الأولى حتى تخرج من جامعة القاهرة بالليسانس في الأدب الإنجليزي ، ثم من جامعة كمبردج بالماجستير .

ثم تسلمه ربائب الغرب والتبشير والماركسية والاستعمار ومنهم سلامة موسى وكريستوفر سكيف وغيرهما .

ويعترف لويس عوض بأن سلامه موسى أستاذه الروحي ، ويدين له بفضل كثير ، ويعترف بسكيف ،حتى أن لويس يهديه كتابه « بلوتولند وقصائد أخرى » الذي أصدره سنة ١٩٤٧ ويقول فيه ما نصه :

« أهدي الكتاب إلى كريستوفر سكيف » .

وكريستوفر سكيف كان أستاذاً في كلية الآداب بجامعة القاهرة ، وجاسوساً محترفاً في وزارة المستعمرات البريطانية ، ومبشراً ثقافياً ، وعدواً مبيناً للإسلام وللقرآن ولمحمد عليه الصلاة والسلام وللعروبة والعرب.

وإذا كان سلامة موسى وسكيف وأمثالهما هم الذين صاغوا شخصية لويس الأدبية والفكرية فإن من المقطوع به أن يكون عدواً للثقافة الإسلامية عامة وللقرآن والحديث ولغتها الفصحى ، وإذا رضي عن أديب أو شاعر عربي مسلم زعم انه غير عربي الدراسة والتحصيل والثقافة كما زعم في المقالات التي كتبها في « المعري » بجريدة الأهرام ان المعري تلقى من راهب بدير الفاروس علومه وفلسفته،وزعم أن ثقافة المعري غير عربية .

بل زعم لويس عوض أشدّ من ذلك ، يقول الأستاذ محمود محمد شاكر في كتابه « أباطيل وأسمار » ١ : ١٦٥ — ١٦٦ ما نصه :

« منذ دخل (لويس عوض) صحيفة الأهرام يجمع حول نفسه ، وتجمع له بعض المراكز الثقافية القائمة في مصر والتابعة مباشرة لمراكز التبشير العالمي من يصلح لأن يكون معبراً عن رأي لويس عوض،ويكون متسماً بالنزاهة ولا مطعن في نزاهته من المصريين المسلمين الذين خدعوا بشكل ما بما يسمى كسر عمود الشعر العربي ، وباستعمال الألفاظ العامية والدعوة إلى إحلالها محل الفصحى ، ثم يجتمع حوله ممن يحقر شأن العرب وتاريخهم وثقافتهم ودينهم ، ويزدري كل ذلك ازدراء ظاهراً ، ويعد الثقافات الأوربية كلها هي المصدر الذي ينبغي أن نستقي منه قادة تكويننا الحديث بلا تردد أو تمحيص — إذا عرفت هذا عرفت لماذا لبس هذا الممخرق طيلسان أستاذ جامعي ، تاركاً الأدب الإنجليزي ، عامداً إلى التاريخ العربي والأدب العربي ليقرن ابن خلدون بأورسيوس ويجعله منه أخذ ، والمعري براهب دير الفاروس ويجعله على يديه تعلم ، وإلى القرآن ليجعله استمد ما فيه من صفة الجنة والنار من خطرفة اليونان » .

ونشر ما كتبه الأستاذ محمود شاكر في مجلة «الرسالة» بعددها الصادر في يوم الخميس ٢٧ شعبان ١٣٨٤ هـ (٣١ ديسمبر ١٩٦٤) رداً على ما نشره لويس عوض في جريدة الأهرام .

ولسنا في حاجة إلى أن نثبت عداء لويس عوض للاسلام وثقافة

العرب والمسلمين وقواعدهم في الشعر والنثر ، ففي كتابه « بلوتولند » يقول في أوله آمراً العرب والمسلمين ما نصه : « حطموا عمود الشعر » ويقول أيضاً : « لقد مات الشعر العربي، مات عام ١٩٣٣ مات بموت أحمد شوقي ، مات ميتة الأبد ، مات إلخ » .

ويفخر بأنه كسر رقبة البلاغة وبأنه ضعيف في اللغة فيقول في كتابه « بلوتولند » عندما يصف نفسه بقلمه :

« إذا أضفنا إلى ذلك أن إحساسه باللغة ضعيف بالفطرة علمنا كيف تأتي له أن كسر رقبة البلاغـة[1] ، وقد اعترف لي بأنه لم يقرأ حرفاً واحداً بالعربية بين سن العشرين والثانية والثلاثين إلا عناوين الأخبار في الصحف السياسية ، وبعض المقالات الشاردة ، ألزمته الضرورة الشعرية بقراءتها ، فإحساسه باللغة أجنبي جداً على كل حال » .

وليس عجيباً في هـذه الأيام أن يتحكم « الرويبضة » فقد انقلبت الموازين وصار العصر عصر الرعاع .

لا غرابة أن يصل لويس عوض إلى حيث يتخذ من قمة « الأهرام » مقعداً لإصدار الأحكام الأدبيـة أو الأحكام على اللغة العربيـة والكتاب العربي والثقافة العربية والبلاغة العربية وهو يعترف علانية بما يأتي :

أولاً — إحساسه باللغة ضعيف .

ثانياً — كسره رقبة البلاغة .

---

[1] إن كسر رقبة البلاغة التي وردت بقول لويس عوض مأخوذة بل مسروقة من الشعر الفرنسي من قصيدة لبول فيرلين Paul Verlaine يقول بها :

Prend L'éloquence et tond lui le cou

(خذ البلاغة واقصف لها رقبتهـا)

وقصف عنق البلاغة الفرنسية يقصد به فيرلين لغة المتحذلقات .

ثالثاً — عدم قراءته حرفاً واحداً بالعربية اثنتي عشرة سنــة ، من
سن العشرين إلى الثانية والثلاثين .

رابعاً — إحساسه باللغة أجنبي جداً .

أمثل هذا يصلح لأن يتولى منصب القضاء والحكم على اللغة العربية ؟.
إنه — ولا شك — لا يصلح ، ولكنه تولى هذا المنصب فأخذ يحكم أحكاماً غاية في الجور والبطلان .

وامتد عبثه واستخفافه إلى القرآن ، بل انطلقت سخرياته العابثة بكتاب الله الذي أنزله بلسان عربي مبين ، فيفسر بعض كلماته وهو جاهل كل الجهل بالعربية ، وحاقد أشد الحقد عليها ، وأضاف إلى جهله وحقده لؤماً لا مثيل له إلا عند من أطلقوه ليعبث بكتاب الله .

جاء فيما كتبه لويس عوض بجريــدة الأهرام في السنة الماضية عن المعري قوله :

« إن بعض التفاصيل الواردة في فردوس دانتي توحي بأنــه اقتبس أيضاً من القرآن الكريم ، ومن رسالة الغفران ، وربما من غير ذلك من المصادر الإسلامية ، فتصويره للوردة السماوية يوحي بأن له صلة بما جاء في سورة الرحمن (فإذا انشقت السماء فكانت وردة كالدهان) وقد اتخذ دانتي من وردة الفردوس رمزاً لمريم العذراء » إلى أن يقول: « والمعري نفسه ينسج على صورة الوردة في سقط الزند ويجعلها في الأرض لا في السماء .

فإذا الأرض وهي غبراء صارت من دم الطعن وردة كالدهان »

وهذا غاية الجهل بمعنى الآية الكريمة وبيت المعري ، ومعنى الآيــة أنها وردت في وصف يوم القيامة من الهول والفزع وتبدل الحال إلى ما يذهل المرضعة عن رضيعها (يوم تبدل الأرض غير الأرض والسماوات)

تتفطر ، ويتحول لونها حمرة قانية من اللهب المستعر .

وتفسير بيت أبي العلاء : استحالت الأرض من كثرة الدماء التي سالت عليها حمراء .

ولا صلة لوردة كالدهان في الآية الكريمة وفي بيت المعري بالوردة السماوية التي هي وردة الفردوس المرموز بها لمريم العذراء لأن الوردة في الآية صورة لمشهد الفزع من استحالة السماء لهباً أحمر ، وفي البيت صورة الأرض التي استحال لونها أحمر من كثرة ما سال عليها من الدماء ، أما « وردة الفردوس » في كوميديا دانتي فما بها شيء من معنى الآية أو بيت المعري ، لأن العذراء عليها السلام بعيدة عن مثل هذا التشبيه ، ولا يجوز عليها أن تصبح من العذاب بحيث تشتعل فيها النار فيصير جسدها من الاشتعال أحمر لأن الله عز وجل أكرمها وفضلها على نساء العالمين وأنعم عليها فجعلها من أهل الجنة .

فإذا كانت وردة الفردوس فذلك لنضرة النعيم التي تحبر فيه آمنة مطمئنة .

وكيف يستبيح رجل يعترف بضعف إحساسه بلغة العرب بل يعترف بأن إحساسه بها « أجنبي جداً » أن يفسر أبلغ كلام في لغة العرب ألا وهو كلام الله عز وجل ، ويتصدى لشاعر كالمعري يعد من أئمة اللغة والبلاغة .

ولكن ، لا غرابة في الأمر ، فالعصر عصر سيادة رعاع سيطروا على وسائل الإعلام فكان ما نشهد من الأباطيل والبهت .

ويؤكد اعتراف لويس عوض بأن إحساسه باللغة أجنبي جداً كثير من مهازله وعبثه ، فهو يتصدى للحكم على العربية مع جهله المطبق بها وعدائه الشديد لها وحقده الأسود عليها ، بل يتصدى للقرآن الكريم نفسه فيقول في كتابه « بلوتولند » ما ننقله بنصه :

« كان لويس عوض عام ١٩٣٧ يتعلم مبادىء اللغة الايطالية بين

الحشائش السحرية التي تملأ الفلاة بين كامبريدج وجرانشستر واسترعى انتباهه أن البعد بين اللغة اللاتينية المقدسة ولهجتها المنحطة الإيطالية أقل من البعد بين اللغة العربية المقدسة ولهجتها المنحطة المصرية من حيث المورفولوجيا والفونوطيقا والنحو والصرف ، فعجب لإصرار المصريين على اللغة المقدسة ! وكان يحدث أصدقاءه بخلاصة تفكيره فوجد منهم إعراضاً دقيقاً مؤدباً فعجب ، فلما عاد إلى مصر عام ١٩٤٠ جاهر برأيه فازداد عجبه ، ولكنه سرعان ما أفهمه بعض أصدقائه أن المسألة حساسة لأنها تتصل بالدين رأساً ، لأن استخدام اللغة المصرية كأداة للكتابة قد ينتهي بعد قرن أو قرنين بترجمة القرآن إلى اللغة المصرية كما حدث للإنجيل أن ترجم من اللغة اللاتينية إلى اللغات الأوروبية الحديثة فزال عجبه » .

هذا ما كتبه لويس عوض بقلمه في وصف لويس عوض نفسه ، وهو واضح لا يخفي نياته نحو القرآن واللغة .

وما دام البعد بين العربية والعامية المصرية أقل من البعد بين اللاتينية والإيطالية فلا بد أن اتخاذ العامية لغة كتابة منته إلى ترجمة القرآن إلى اللغة المصرية (العامية) ولو بعد قرن أو قرنين كما حدث للإنجيل ، ولهذا يحرص لويس عوض على دعوته حتى يترجم القرآن إلى اللغة العامية المصرية ، وحينئذ يقضى عليه ، وبعد ذلك يتم العبث به لأنه مكتوب أو مترجم إلى اللغة العامية المبتذلة .

وكيف يتاح لامرىء يتعلم مبادىء لغة التمييز بينها وبين لغة أخرى؟ أيسع مبتدئاً في لغة أن يحكم بالفوارق بينها وبين غيرها ؟.

ولكن ، لا غرابة في الأمر ، فالعصر عصر رعاع بالنسبة لبعض البلدان حيث يسود رويبضات يجهلون !.

وبلغ من جهل لويس عوض أن يحسب القرآن الكريم مثل الإنجيل ، مع أن تلامذة الابتدائية يعلمون أن القرآن الكريم كلام الله، وأن الإنجيل تأليف بشر ، ويعرف كل إنجيل باسم مؤلفه مثل إنجيل متى وإنجيل

لوقا وإنجيل مرقس وإنجيل يوحنا .

فاذا نقل كلام مؤلف من الفصحى إلى العامية فذلك واقع كثيراً ودائماً ، أما نقل القرآن من لغته التي لا تدانيها لغة أي كتاب في العلو والبيان والأسلوب بالعربية إلى العامية فمستحيل .

يقول لويس عوض بعد كلامه الأول :

« وعقلية لويس عوض عقلية زمنية حقاً، فهو يفهم ان هذا الانقلاب اللغوي لم يقوض أركان الدين في أوروبا ، وإنما قوض أركان الكنيسة التي خشيت أن يقرأ الشعب الساذج كلام السماء بلغة يفهمها فتسقط عن بصره الغشاوة ، ويدرك أن رجال الدين إنما يزيفون عليه من عندهم ديناً ليسلس قياده ويبقى راكعاً أمام الأشراف » .

ولويس عوض يجهل الإسلام كل الجهل وأشده ، فليس في الإسلام سر مغلق ولا كهنوت ولا رجل دين كالمسيحية أو اليهودية ، وليس المسجد الإسلامي كالكنيسة في شيء ولا لقاء بينهما البتة !.

إن المسجد لا يخشى أن يقرأ الشعب الساذج كلام الله ، بل يدفعه دفعاً إلى قراءته ويشجعه عليها وييسر له سبلها ، والمسجد يتولى إزالة الغشاوة عن بصره حتى يشهد نور السماء فيهتدي إلى الحق ، والمسجد يمنع المسلم من اتخاذ وسيط بينه وبين الله ، فإذا اتخذه خالف الإسلام ، والمسجد يحرم على المسلم أشد تحريم أن يركع بين يدي أشرف الأشراف.

ولويس عوض يجهل أن كل مسلم هو رجل دين ، ويجهل مبادىء الإسلام فجاء يقيس أقيسة ينقضها المنطق والواقع ، وجاء مصرحاً بنيته الخبيثة مفصحاً عنها إذ قال : « الانقلاب اللغوي لم يقوض أركان الدين في أوروبا وانما قوض أركان الكنيسة » وهو يريد أن هذا الانقلاب لن يقوض الإسلام وانما يقوض أركان المسجد .

وعندنا تقويض المسجد تقويض للدين ، فاذا ألغي المسجد من أرض الإسلام فقد أصبح الدين ملغياً ، لأن المسجد يضم الإنسانية كلها ،

ورسول الإسلام محمد عليه الصلاة والسلام يقول : « جعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً، فأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل » والأرض كلها مسجد ، فتقويضه تقويض للاسلام .

وليس في الإسلام فصل المسجد عن الحكم ، فإمامه هو إمام المسلمين، والسوق فرع من المسجد لأن الإسلام جمعهما فلا انفصام بينهما في شريعته، السوق المحمدية الصحيحة التي لا شر فيها ولا غش ولا إثم ولا فسوق ولا خروج عن الدين في قول أو عمل ، وسوق كهذه تفضي الى رضا الله كما تفضي عبادته الخالصة في المسجد إلى رضاه .

ويجهل لويس عوض أن من يعرف العربية العامية يستطيع أن يفهم من القرآن ما يهديه الى الرشد ، ويبصره بواجبه وحقه ، فإذا كان في غير الإسلام شعوب لا تفهم كلام السماء بلغات تفهمها فإن شعوب الإسلام العربية تفهم القرآن .

والمسجد يضم من العامة أكثر كثيراً مما يضم من الخاصة ، ويفهم العامة ما يتلى عليهم من القرآن مما فيه غنية له في حياته وعمله إذا اتبع ما يسمع ، ولو شهد العامة بعد صلاة الجمعة وسألهم عن خطبة الإمام التي تحوي آيات وأحاديث لأجابوه أنهم فهموها .

إن خطيب الجمعة يردد في كل خطبة قول الله تعالى : (إن الله يأمر بالعدل والإحسان) والعامة لا تخطىء فهم معناها،وإن كنا لا نغفل من حسابنا أن من يعرف العربية الفصحى وقواعداها وآدابها وعلومها يفهم أعظم من العامة ، ولكن حسبهم ما يفهمون .

وغاية ما يريده لويس عوض هو حبس القرآن وإبعاده عن المسلمين وإعطاؤهم كتاباً عامياً يزعم لهم أنه القرآن مكتوباً أو مترجماً إلى العامية جاهلاً أن ذلك لا يسمى قرآناً ولو كتبه أبلغ البلغاء من بني البشر بلسان عربي مبين ، فكيف بما يكتب بلسان عامي ؟.

ويظن لويس عوض أن المسلمين جميعاً خاصة وعامة بلغوا من الجهل والغفلة بحيث تجوز عليهم ألاعيبه فيقول لويس عوض عن لويس عوض:

« وهو (أي لويس عوض) يفهم كذلك أن الاعتراف باللغة المصرية لا يتبعه بالضرورة موت اللغـــة العربية إذا احتاط الناس لذلك ، فليس هناك ما يمنع من قيام الأدبين جنباً إلى جنب ، اللهم إلا إذا شككنا في جدارة اللغة العربية والأدب العربي وقدرتهـما على الحياة ، ولكن لويس عوض رغم كل ذلك قد سكت مؤثراً أن يتولى الدفاع عن رأيـه مسلم لا مجال للطعن في نزاهته » .

إذن ، لا خطر على اللغة العربية والأدب العربي إذا احتاط الناس، وإذا أيقنا بجدارتهـما وقدرتهـما على الحياة كما يرى لويس عوض ، وهو رأي يدل على أنه هو نفسه يجهل اللغة العربية .

ويشعر المريب بما يبيت من أذى وشر، ويعلم أن ما يدعو اليه يطعن في نزاهته ، فيدعي انه سكت ، والواقع انه لم يسكت ، بل استمر في الدعوة الخبيثة ، وأي نزاهة لمسلم يتبـنى عقيدة جهول كفور ، أيدعى مثل هذا المسلم مسلماً ؟!.

وفي سنة ١٩٥٣ م اشتدت الخصومة بين مصر وانجلترا ، ووجد أن رجال الثورة المصرية يسخطون عـلى من يوالي الإنجليز ، وخشي لويس عوض على نفسه فغادر معسكرهم ظاهراً ، واذا كانوا هم الذين ربوه ونشأوه وعلموه في مصر وانجلترا فإن مبادئه التي صاغوها بل شخصيته التي أنشأوها انما تقوم على خدمة الاستعمار والتبشير،فخراج لويس عوض يذهب الى الإنجليز سواء أكان معهـــم بلسانه وقلمه وقلبه أم كان بقلبه وحده أم كان عليهم ، لأن خدمة مخطط الإستعمار والتبشير هي في صلاح الغرب كله .

فسيان عداء الإنجليز أو مصافاتهم من قبل لويس عوض لأنه يخـدم فكرتهم مهما اشتد عداؤه لهم .

وقيل لي وأنا في مصر سنــة ١٩٥٣ م : ان الإنجليـز استغنوا عن خدمات لويس عوض بعد أن صاغوه صياغة محكمة ، ومهما عاداهم فهو لا يمكن أن يحيا إلا بفتات موائدهم ، فقد جعلوه يتخصص في الأدب الإنجليزي ونال ليسانس كلية الآداب بجامعة القاهرة في أدب الإنجليز ، ويعيش على حساب هذا الأدب .

وأياً كان الأمر فالخوف من رجال الثورة في مصر وألمه من الإنجليز عندما قطعوا عنه ما كانوا يبرونه به والطمع في المادة والرغبة في عمل صحفي يبرز منه اسمه المجهول دفعته الى التنكر للأدب الانجليزي .

لقد استطاع أن يرضي بعض رجال الثورة (أنور السادات) وكان مواظباً على الحضور الى دار جريدة الجمهورية التي يديرها السادات ويشرف عليها باسم الرئيس المصري صاحب امتياز الجمهورية .

استطـــاع لويس عوض أن يرضي أنـور السادات أو يكسب رضاه فأتاح له أن يعمل في جريدة « الجمهورية » التي فتحت صدرها لكثير من الدعوات الهدامة،وقد تحدثت الى أنور السادات مرتين : مرة عندما جاء الى مطار القاهرة يستقبل الأمير عبدالله الفيصل ، ومـــرة في مبنى المؤتمر الإسلامي بالزمالك في أمر قيام « الجمهورية » بخدمـة الاستعـمار والتبشير وعداء الاسلام ، فوعد دون أن ينجز .

المهم ، ان لويس عوض كسب رضا السادات وكسب عملاً بجريدة الجمهورية ، وكان من أوائل عمله إعـلان تنكره لمن « عاهـد ثلوجهم الغزيرة المنشورة على حديقة مدسمر في خلوة مشهودة بين أشجار الدردار عند الشلال بكامبردج » تنكر لهم من أجل المادة ، أما المبدأ فما يستطيع الإفلات منه لأن شخصيته صيغت منه ، وهذا المبـــدأ خدمـة الاستعمار والتبشير ومعـاداة القـرآن والإسلام ومحمد عليـه الصلاة والصلاة ولغتهم العربية .

خاصم الإنجليز وأخـــذ يهتف باسم فرنسا ، ومما نُشر مقال للويس

عوض نشره بجريدة الجمهورية في سنة ١٩٥٣ م تحت عنوان « لاتينيون وسكسونيون » تجنى فيه على مصر وأدبها الحديث وممثليه كالعقاد وطه حسين والمازني وهيكل ، وهزأ بهؤلاء .

وجاء في مقاله هذا ما ننقل فقرات منه للاستشهاد .

يقول : « يخيل إلى البعض أن الأدب قد مات في مصر منذ سنوات قليلة نظراً لأن المشكلة لم تظهر إلا في الأيام الأخيرة ، وواقع الحال أن الأدب قد مات في مصر وفي الشرق العربي كله منذ عشرين عاماً . عشرون عاماً مضت بين موت أحمد شوقي في ١٩٣٣ وعامنا هذا ١٩٥٣» .

و « في ربع قرن لم يكن هناك أدباء لا يكتبون ، ولكن لم يكن هناك أدباء أصلاً ، وحيث لا أدباء لا أدب . فهل عقمت مصر في ربع قرن عن إنجاب عدتها من الأدباء ؟ كلا فمصر تلد كل يوم بدل الأديب أدباء ، ولكن هناك سراً جعل الأم تجهض أجنة ناقصة التكوين . بل هناك غول يأكل أطفال مصر النابهين ساعة أن يخرجوا الى الحياة ، وهذا الغول جاثم في وزارة المعارف . جثم ربع قرن ولا يزال جاثماً .. جثم في ادارة البعثات .

فما السبب ؟ السبب هو أننا منذ ربع قرن قد تحولنا ببعوثنا العلمية والأدبية معاً من فرنسا الى انجلترا » .

و « ليس في انجلترا ما ينفع المصري في الآداب أو في الفنون أو فيما يسميه الغربيون بالإنسانيات بل ان فيها ما يضره ، بل أكثر من ذلك ، ان في انجلترا ما يقتله ، ولقد جربنا . جربنا ربع قرن كامل » .

ثم يتحدث لويس عوض عن هذا الجيل الذي تبعثه ادارة البعثات الى انجلترا ويقول :

« أين هذا الجيل ؟ قتلته ادارة البعثات . قتلته حين أرسلت الشاعر والناثر والنحات والرسام والموسيقي ودارس الرقص والفيلسوف والمشتغل بمذاهب المجتمع والمهتم بأصول الحكم والمؤرخ والجغرافي ومحب المسرح

ومحب السينما ومحب الغناء ومحب الباليه . أرسلتهم جميعاً الى انجلترا ... وقد كان ينبغي أن نرسلهم الى فرنسا وايطاليا وألمانيا بل وروسيا » .

ثم يقول : « أين هم قادة الفكر ؟ أهم طه حسين والعقاد وهيكل ألم يسمع الناس تقول : ولكن هؤلاء من مخلفات الحرب العالمية الأولى . أم هم أهل اليسار ؟ ألم نقل ان هؤلاء من مواليد الحرب العالمية الثانية؟ فلعلهم أن ينضجوا بإذن الله بعد عشرة أعوام[1] » .

أعظم ما نريد من هذه الفقرات اثبات تحوله من الإنجليز الى الفرنسيين، من انجلترا الى فرنسا ، واذا صح ان انجلترا مقبرة المواهب الادبية والملكات الفنية فان لويس عوض درس في انجلترا ، وثمرة من ثمراتها، ومع هذا يقول ما نصه بالحرف « أين ثمار انجلترا ؟ » والجواب : منها ، الدكتور لويس عوض الذي « عاهد ثلوج انجلترا الغزيرة المنشورة على حديقة مدسمر في خلوة مشهودة بين أشجار الدردار عند الشلال بكامبريدج » .

ولكن لويس عوض يقول بعد ذلك العهد : « ليس لانجلترا ثمار » وهذا نص قوله في مقاله « لاتينيون وسكسونيون » .

ولئن كانت الإشارة الى تنكر لويس عوض لانجلترا التي غذته وأرضعته وتولت رعايته وتربيته وتعليمه، وتحوله الى فرنسا هي ما نريد من الشواهد

---

١ روى لي دبلوماسي كان يشغل منصب « مستشار ثقافي » لبلده بالقاهرة : أن توصيات من شيوعيين من بلده وصلته توصي بلويس عوض ، وترجوه أن يتيح له الخروج من مصر إلى بلده ليدرّس اللغة الإنجليزية ، فأهمل الدبلوماسي تلك التوصيات ، ولما راجعه لويس عوض وعده ثم ماطله ، ولم يمكنه من السفر إلى بلده لإفساد ناشئته » .

وقال لي هذا الدبلوماسي : إن لويس عوض قال له : إنه هو ورفاقه الذين وصوا به خيراً يدينون بالماركسية التي يعتقدون أنها هي التي تحرر العالم من الاستعمار والرجعية والتأخر والجمود .

وصديقنا الدبلوماسي من أشد أعداء الشيوعية ، ولهذا أهمل الموصين والموصى به .

الا أننا لا نغفل الاشارة الى إنكاره الأدب العربي في مصر إنكاراً اذ يقول : « في ربع قرن لم يكن هنـــاك أدباء لا يكتبون ، بل لم يكن هناك أدباء أصلاً ، وحيث لا أدباء لا أدب » .

بل يرسل لويس عوض الأحكام الساذجة وكأنه حكم غير مردود ، فلا يكتفي بانكار أدب مصر العربي ، بل يجعل حكمه عاماً على الأدب العربي في مصر وغيرها اذ يقول : « واقع الحال ان الأدب قد مات في مصر وفي الشرق العربي كله منذ عشرين عاماً » وحدد الفترة ما بين سنة ١٩٣٣ و ١٩٥٣ .

وعدّ العقاد وطه وهيكل من مخلفات الحرب الأولى ، وهي عبارة لا تليق .

وإذا كان لويس يكره العقاد وهيكلاً لأن العقاد شديد الوطأة عليه وعلى أمثاله ، ولأن هيكلاً يترفع عنه وعن أضرابه فلا معنى لتنكـــره لطه حسين !.

لماذا ؟ ونأخذ الجواب من لويس عوض نفسه الذي نشر في جريدة الجمهورية نفسها في عدد سبق هذا العدد الذي تجنى فيه عايه اذ قال في مقال له عنوانه « من تلميذ الى أستاذه » :

« أم هو تلميذك الوفي لويس عوض الذي قال والثورة بعد في ضمير الغيب يتلقف كلمة الحرية من فم أستاذه ليذيعها في تلاميذه بصوته الضعيف الذي لا يغني عن صوتك الجهير شيئاً » .

ويقول لويس عوض : « اعلم إذن يا أستـاذي ، اني اليوم أتملق الثورة لا بالقول وحده ولكن بالفعل كذلك ،فاشهد وليشهد عليّ الناس وليقرأ هذا الاعتراف وهذه الشهادة معـــاً رجال الثورة وأحدهم (أي أنور السادات) رابض ليل نهار أمامي في الغرفة المجاورة » .

ويريد لويس عوض بأستاذه هو طه حسين ، ولكنه تنكر له طمعاً في نفع مادي ، لأن طه كتب مقالاً عنيفاً خاصم فيه لويس عوض الذي

أخذ ينفذ خطة الاستعمار والتبشير والشيوعية ، ويكييد لآداب اللغة العربية كيداً كما خاصم آخرين .

ومن الخير ان ننقل قول طه حسين بنصه ليدرك سبب ثورة لويس عوض على استاذه وسخريته به ووصفه إياه بأنه من مخلفات الحرب الثانية .

اتصل لويس عوض ببعض رجال الثورة وكان معه غيره ، اتصل بهم لويس عوض في شهر ديسمبر ١٩٥٣ يغريهم بالأدب القديم ويشي بزعماء الأدب أمثـال طه وهيكل والعقاد ، بل بلغ بـه الحمق ان يطلب منهم ما سيشير اليه طه بأسلوبه الرائع بعد ان علم طه بأمر لويس عوض ومن معه ، وأنا علمت به من العقاد – رحمه الله – وقد ذكر القصة علانية في مجلسه العامر الذي كان يعقده كل يوم جمعة ، وعلمته من عبد الرحمن صدقي .

كتب طه مقالاً عظيماً رائعاً تحت عنوان « الأدب والحياة » نشره في ملحق جريدة الجمهورية الاسبوعي الصادر في يوم الجمعة ١١ ربيع الثاني ١٣٨٣ ﻫ (١٨ ديسبر ١٩٥٣ م) يرد فيـه على الذين ملأوا الصحف بعد ثورة مصر وخروج فاروق منها بهذر القول ، وزعموا ان واجب الناس أن يثوروا على الأدب العربي شعره ونثره لأنـه أدب ملوكي ، شعره في مدح الملوك والإقطاعيين ، ونثره مكتوب لإرضائهم ، أما والثورة قد أطاحت بالملك فاروق فإنه من المحتّم الإطاحة بتلك الآثار الأدبية .

هي فرصة فلينتهزها النهازون ، ولم يكفهم ما نشروا من هذا الهذر والسخف ، بل مضوا يدسون ويشون ويوغرون صدور رجـال الثورة ويزيفون عليهم الأمر ليحملوهم على إنكار الأدب العربي لأنه « أدب ملوكي » كما زعم سيّد لهؤلاء الكاتبين من قبل ومن بعد هو سلامة موسى .

كتب طه ذلك المقال الجريء العنيف وكشف مـا يدور في الظلام ليعلم القراء حقيقة ما يبيت للأدب والأدباء وللعروبة والإسلام وليدون للتاريخ فترة تستحق من قلم طه ان يدون ما يستطيع منها تدوينه وبقدر ما تسمح به حرية الصحافة في مصر .

يقول طه حسين في ذلك المقال : « إن الأديب لا ينشيء أدبـه لفرد من الناس ، ولا لجماعة محدودة منهم ، وإنما ينشئه لبيئته التي يعيش فيها ولهذه البيئة كلها ، وهو واثق بـأن أدبه سيفهم ويذاق ، ولم يكن العرب الجاهليون جميعاً أغنياء ولا أقوياء ، وإنما كانوا كغيرهم من الشعوب ، فيهم من يتاح له الثراء ومن يقضي عليه الضيق .

« وقل مثل ذلك في العرب الإسلاميين ، والخطأ ان يظن ظان ان الشعراء حين كانوا يمدحون السادة وأصحاب الثراء إنما كانوا يقولون الشعر لهم وحدهم ، ولو كان الأمر كذلك مـا احتفل ممدوح بمدح قط ، ولو كان الأمر كذلك ما عني الناس بهذا المدح بعد موت الممدوحين وبعد العهد بهم ، فلم تكن عناية زهير بهرم بن سنان مقصورة عليه دون غيره من عامة العرب ، وإنما مدح زهير صاحبه ذاك ليأخذ عطاءه من جهة ، وليعجب الناس بشعره من جهة أخرى ، وعسى ان يكون حرصه على إعجاب الناس بشعره أشد من حرصه على الظفر بعطاء الممدوح ، ولأمر ما قال بعض ولد زهير : إن مـا نال زهير من ممدوحه ذاك قد فني وأدركه البلى ، ولكن شعر زهير فيه لم يفن ولا سبيل إلى ان يدركه الفناء .

« وقد انقضت الألعاب الأولمبية اليونانية وانقضى المستبقون فيها من السادة والطغاة منذ قرون طويلة جـداً ولكننا ما زلنا نقرأ شعر بندار ونعجب به ونحرص عليه إلى الآن ، وليس كل الناس يستطيعون ان يقرأوا شعر زهير قراءة الفاهم الذائق وإنما يتاح ذلك لمن هيـأ نفسه للقراءة والفهم والذوق .

« فلا تقل إن الأدب القديم لم يكن يصور الحياة ، بل قل إنه لم يصبح مصوراً لحياتنا نحن ، وهنا تأتي المشكلة التي يتورط فيها كثير جداً من دعاة الأدب الجديد عندنا في هذه الأيام ، فهم يعيبون الأدب القديم جملة بأنه كان أدباً بعيداً عن الحياة ، وبأنه أدب ملوك ، وبأنه كان أدب إقطاع ، وينبغي إذن ان نعرض عنه الإعراض كله ، وان نمقته أشد المقت ، وننفر منه أعظم النفور ، وننشىء لأنفسنا أدباً يلائم الحياة ، والحياة هنـــا هي حياتنا نحن هذه التي نحياها في هذه الأيام ، ولو حقق هؤلاء الكتاب في عقولهم هذا الذي يدعون اليه لأنكروه أشد الإنكار ، ولبرأوا أنفسهم منه أقوى التبرئة وأعنفها ، فهم إنما يدعون إلى شيء يسير جداً هـــو ان نلغي القديم كله إلغاء ، ونجتث الإنسانية من أصولها ، وننشىء إنسانية جديدة تقوم على هذه الحياة التي تحياها الشعوب الآن .

« وما أعرف أحداً من هؤلاء السادة يريد ان يلغي الأدب القديم حقاً لأن بعضه أنشىء للملوك ولأصحاب الإقطـــاع ، فهم أعقل عقلاً وأحصف رأياً وأحسن تقديراً للأمور ورعاية لحقوق الثقافة من ان يريدوا مثل هذا او يدعوا اليه ، ولست أعرف أدباً انشىء للملوك ، ولا قصر عليهم ، وإنما أعرف ان الملوك وأصحاب الثراء اتخذوا وسائل لإنتاج الأدب في بعض الظروف .

« واؤكد لك أني حين أقرأ قول الشاعر القديم للرشيد :

وعلى عدوك يا بن عم محمد رَصَدَان : ضوء الصبح والإظلام
فإذا تنبه رعتـــه وإذا غفا سلت عليه سيوفك الأحـــلام

« لا أكاد أقف عند الرشيد ولا عند إخافته للعدو نياماً وأيقاظاً ، وإنما الذي يعنيني قبل كل شيء هو ان هذا الشعر جيد يروع بما فيه من تصوير ما ينبغي ان يكون عليه الملك اليقظ الحازم الذي يحرص

على رعاية الدولة ويحوطها ، لا من غارة العدو فحسب ، بل من طمعه في الغارة عليها .

« وليس يعنيني ان يكون الرشيد قد كان كما وصفه الشاعر او لم يكن ، وانما الذي يعنيني هو هذا المثل الأعلى الذي رسمه الشاعر للذين يقومون على شؤون الأمم وينهضون بأعباء السلطان فيها ، سواءاً كانوا ملوكاً أم خلفاء أم رؤساء جمهوريات .

« وإذا كان هذا لا يعنيني فأجدر ألا أحفل بأن هذا الشاعر قد صدق او كذب ، فقد ذهب الشاعر وذهب ممدوحه وذهب عصره وذهب مع هذا كله صدق الشاعر او كذبه ، وبقي الشعر صادقاً أروع ما يكون الصدق في تصوير المثل الأعلى لرؤساء الدول حين يذودون عن دولهم .

« ومثل هذا يقال في المدح الجيد الذي ساقه الشعراء إلى الملوك وأصحاب الثراء ، ليس المهم ان يصدق الشعراء او يكذبوا بالقياس إلى الذين يمدحونهم ويثنون عليهم ، وانما المهم ان يصدق الشعراء في تصوير المثل العليا فيما ينشئون من مدح وثناء ، لأن المادحين والممدوحين يذهبون وتبلى أشخاصهم ، ولكن المثل العليا التي يصدقون في تصويرها تبقى للناس ما بقي الناس .

« وهذا معنى ما يقال من ان الأدب الصحيح الجدير بهذا الاسم خالد مهما يصب أصحابه وبيئاتهم من الخطوب وأحداث الزمان ، وهذا هو السر في ان التراث الأدبي والفني عزيز على الإنسانية المثقفة لأنه يصور لها الجمال ، والجمال خالد لا يدركه الفناء .

« وما أظن هؤلاء السادة يريدون ان يلغوا من أدب شيكسبير ما مدح فيه الملوك والأشراف ، لأن عصر الملوك والأشراف قد انقضى ، وما أحسبهم يريدون ان يلغوا آثار أصحاب الفن الخالدين من أصحاب

التصوير والنفس والعمارة ، لأن هذه الآثار قد أنشئت لملك او أمير او شريف من اصحاب الإقطاع .

« لقد ذهب هؤلاء جميعاً ، وذهب معهم الذين أنشأوا لهم هذه الآثار ، وبقيت هذه الآثار تراثاً خالداً نحوطه كلنا بما نملك من القوى والجهود ، ويحرص عليه منا الذين يحبون القديم والذين يدعون إلى التجديد .

« والتراث المصري القديم كله على اختلافه فنــاً كان او أدباً قد أنشيء للملوك ، وأنشيء في ظل الملوك ، او أنشيء في حياة شديدة التأثر بالملوك وأصحاب الإقطاع ، وما أعرف ان احداً منا يريد ان يلغي هذا التراث او يعرض عنه او يزهد الناس فيه .

« فالقضية توضع وضعاً خاطئــاً من أساسها ، فهؤلاء السادة لا يكرهون القديم لأنه قديم، وهم لا يكرهونه لأنه أنشيء للملوك واصحاب الإقطاع ، ولكنهم يرون حياتنا قد أخذت تتغير وتسلك سبيلها المستقيمة جادة إلى الخير والصلاح .

« وهم يرون كذلك أن اليقظة قد أخذت تبلغ نفوس الشعب وتتغلغل حتى تصل الى أعماقه ، وهم من أجل هذا كله يريدون ان يكون ما ينشأ من الأدب مصوراً لحياة الشعب وآماله وآلامه وحاجاته وغاياته أيضاً .

« يريدون هذا كله ولا يريدون ان ينقصوا من قيمة الأدب القديم شيئاً ، ولكن ألسنتهم تجمح ، وأقلامهم تجور عن القصد وهم يرون الناس يكرهون الملوك لسوء آثار الملوك فيهم ، ولأن الثورة قد طردت ملكاً ، فلا يجدون بأساً في ان ينتفعوا بهذه الظروف ليروجوا لدعوتهم ، ويزيدوها إلى الناس قرباً ، وإلى قلوبهم حباً ، وكثيراً منهم يخيل إلى نفسه أنه يرضي الثورة بذلك ، ويتقرب الى رجالها ، ولكنهم في حاجة شديدة الى الإنصاف وأخذ النفس بشيء من هذا الإنصاف .

« فالباطل لا يرضي راشدا ، والحق لا يغضب الرجل الرشيد ، وما أحسبهم يستطيعون ان يصارحوا الثورة بأن الأدب القديم شر يجب ان يزول ، وفساد يجب ان يلغى ، وإثم يجب ان تمحى آثاره ، وبأن أول ما يجب من ذلك ان يترك القديم لقدمه ، وان نحرق الكتب التي سجلته ، ونحظر درسه في المدارس والمعاهد ، ونعاقب الناس على التحدث به او التحدث عنه ، لأنه أنشيء للملوك وأصحاب الإقطاع ، او أنشيء في ظلهم ، وقد ألغينا الملكية وألغينا الإقطاع ، فيجب ان نلغي كل شيء أنشيء في ظلها .

« هذا كلام يمكن ان يقال ، وما أكثر الكلام الذي يقال ولكن الشيء المحقق ان احد لن يسمع له ، ولن يحفل به ، ولن يلتفت اليه ، ولن يوجد المعول الذي يعمل في هدم الأهرام او في هدم مسجد من المساجد التي انشأها الملوك وأصحاب الإقطاع ، ولن توجد النار التي تضرم لتحريق ديوان من دواوين الشعر او كتاب من كتب النثر .

ولو قد تحدث احد هؤلاء السادة الى رجل من رجال الثورة في شيء من ذلك او في شيء يشبه ذلك من قريب او بعيد لما رأى منه إلا ازدراء ، ولما سمع منه إلا زجراً وانتهاراً ، وما اعرف شيئاً يسوء الثورة والقائمين عليها مثل هذا الكلام الذي يقال في غير تفكير ولا قصد ولا تدبر من قائليه » .

أكثرت من نقل كلام الدكتور طه حسين ، لأن في ما نقلته برهاناً على ما يجري في الظلام من دس ومكر بالأدب العربي القديم وبالأدب العربي الجديد باستثناء أدب أمثال لويس عوض ، وإشارة الى ما يرجونه .

وهؤلاء الذين يزعمون أنهم أصحاب الأدب الجديد ، أدب ما بعد الثورة انما يجحدون الأدب القديم ويريدون إلغاءه من الوجود ، ولا يريدون به كل الآداب القديمة ، بل الأدب الذي يريدون إلغاءه هو

أدب اللغة العربية وحده لصلته بالقرآن ، ولأن فيه الأدب الإسلامي .

وفي الوقت الذي يريدون الغاء أدب اللغـــة العربية يتمسكون أشد التمسك بالآداب القديمة الهندية والصينية واليهودية والمسيحية واليونانية لأن الغرب المستعمر والتبشير يتمسكان بهـــا ، فآدابهما لا تخرج عن تلك الآداب إذ تجمعها الوثنية .

أترى لويس عوض يتجهم للأدب اليوناني والأدب اللاتيني ؟ أتراه يطلب في إلحـــاح محو شعر بندار ؟ أيرضى ان نحرق الأدب المصري القديم ؟ لا شك انه لن يرضى بحال من الأحوال ان ينال هذه الآداب سوء ، بل يبذل ما لديه من جهد لإحيائها وبعثها ونشرها ، وكل ما يريده ويعمل له هو وأمثاله محو الأدب العربـي وحده لأن لويس مصنوع على أعين أعداء الإسلام وأعداء اللغة العربية لأنها لغة القرآن والإسلام .

وعداء لويس عوض لطه حسين عداء صغار وخسة ، فبسببه دخل مجلة « الكاتب المصري » كاتباً سنة ١٩٤٦ ودخل « الجمهورية » كاتباً فيها ، ويعترف بأنه استاذه ، وانه تلميذه الوفي ، ومع هذا يتجنى على طه في أسلوب وقح ، ويدس له عند بعض رجال الثورة كما يدس للعقاد وهيكل .

وبلغ بلويس عوض الحقد على لغـــة القرآن وأدب اللغة العربية ان يزين لأحد رجال الثورة كما يقول طه حسين علناً في جريدة «الجمهورية» القاهرية « ان الأدب القديم شر يجب ان يزول ، وفساد يجب ان يلغى ، وإثم يجب ان تمحى آثامه ، وأول ما يجب ان يترك القديم لقدمه وان تحرق الكتب التي سجلته ، ويحظر درسه في المدارس والمعاهد ، ويعاقب الناس على التحدث به او التحدث فيه ، لأنه أنشيء للملوك وأصحاب الإقطاع » .

بل بلغت الرعونة بلويس عوض في الحقد ان يزين لرجل من رجال

الثورة هدم المساجد التي أنشأها الملوك واصحاب الإقطاع لأن الثورة الغت الملكية وقضت على الإقطاع ، ويجب - لذلك - القضاء على كل ما أنشأه هؤلاء او انشيء تحت ظلهم .

وما انبرى طه حسين للرد على هذا الذي يدس ويختل إلا بعد ان علم بما سعى لدى ذلك الرجل من رجال الثورة الذي لم يفصح عنه طه ولا لويس عوض نفسه حينما أشار اليه في كلمته التي مر الاستشهاد بها ، وأنا افصح عنه ، انه أنور السادات .

وعنف طه في الرد عنفاً عنيفاً بالغاً ، وصرح وأشار الى من يتهمه هو ومن معه من أمثاله الحاقدين .

وما كان القراء يعلمون ان المقصود في كلام طه حسين هو لويس عوض ومن معه ، ولكن عندما رد لويس عوض وعبد الحميد يونس عرف الناس أمرهما ، وأنهما هما اللذان طلبا الى أنور السادات ما طلبا ، وهناك ثالث لهما هو سلامة موسى .

ولا عجب من تنكر الناس في هذا العصر لذوي الفضل عليهم ، ولكن رد عبد الحميد يونس ووقوفه بجانب لويس في الرد فضح نفسه .

ولا شك ان مقال طه أظهر بجلاء مـا يجري في الخفاء من لويس عوض الذي يريد ان يلغي الأدب العربي من المدارس ويهدم المساجد التي أنشأها الملوك والاقطاعيون ، ويدعي ان الأدب قد مات ، ويدعو الى هدم اللغة والقرآن والإسلام .

ونخلص من كل هذا ان لويس عوض عدو للإسلام ، وعدو للقرآن، وعدو للثقافة الاسلامية ولكل آثـار الاسلام ، وعدو للأدب العربي ولغة العرب ، ويريد هدم ذلك كله ويعمل له فيما يذيع وينشر ، وأتاح له منصب المستشار الثقـافي لجريدة الأهرام ان يبعد صوته ، ويشتهر اسمه ، وينفذ المخطط المأمور بتنفيذه من قبل الاستعمار والصهيونية والشيوعية .

ان لويس عوض ملتقى هذه الشرور ، وهو يساري متطرف ، لأن « المصلحة » تقضي عليه ان يكون يسارياً ، فنفوذ ماركس يزداد في العالم العربي ، ومذهبه الهدام ألأم عدو عرفه الاسلام ، فحرى بلويس عوض ان يعتنقه .

ونحن لا نرسل القول دون دليل ، فلويس عوض يقول في مقاله « لاتينيون وسكسونيون » :

« اين هم قادة الفكر ؟ اهم طه حسين والعقاد وهيكل ؟ ألم يسمع الناس تقول : ولكن هؤلاء من مخلفات الحرب العالمية الاولى . ام هم اهل اليسار ؟ ألم نقل ان هؤلاء من مواليد الحرب العالمية الثانية فلعهم ان ينضجوا » .

ان قيادة طه والعقاد وهيكل قد انتهت بانتهاء الحرب العالمية الاولى، و « مخلفات » هذه الحرب مكروهة مثل الحرب نفسها لأن ما تركت من آثار سيئة يجب ان يزول .

وما داموا ليسوا بقادة الفكر فلا بد ان نبحث للفكر عن قادة غير هؤلاء « المخلفين » فمن هم ؟.

ان لويس عوض يسأل سؤال تقرير : اهم اهل اليسار ؟ ولكن هؤلاء — كما قال لويس عوض — من مواليد الحرب الثانية ولعلهم ان ينضجوا ، ووجد اليسار بعد هذه الحرب فرصة للظهور الى العالم وبخاصة في البلدان العربية ، وأهل اليسار هؤلاء هم القادة المنتظرون ، ومنهم لويس عوض نفسه !.

والمقابلة ظاهرة بين اليمين واليسار ، فالعقاد وطه وهيكل من أهل اليمين وكلهم عدو لليسار ، واشار لويس عوض وذكر صراحة كلمة « اهل اليسار » الذين هم أمل مصر .

« لعلهم ان ينضجوا » هي كلمة الامل التي تفصح عن اتجاه لويس عوض ، ومن هؤلاء ؟.

يجيب لويس عوض في مقاله « لاتينيون وسكسونيون » :

« هم امل مصر الحزينة ، ويا بؤسنا لو خاب الامل : محمود العالم، ابراهيم عبد الحليم ، علي الراعي ، نعمان عاشور ، احمد بهاء الدين ، فتحي غانم ، بدر الدين الديب ، مصطفى سويف ، يوسف ادريس ، شكري عياد ، عباس صالح » .

وانا اعرف بعض هؤلاء وقليل منهم لا اعرفه ، وكلهم – ملاحدة – ذوو نزعة يسارية ، وبعضهم يساري متطرف ماركسي لينيني ستاليني ، ومما لا شك فيه ان فتحي غانم ومحمود العالم واحمد بهاء الدين ونعمان عاشور من اشد اليساريين في مصر .

فأمل مصر الادبي والفكري في اليسار كما يزعم لويس عوض ، واليسار ليس صديقاً للأدب العربي ولغة العرب ، مثله مثل الاستعمار والصهيونية ، بل اليسار استعمار وشيوعية معاً ، واليسار أشد عداء للاسلام والعروبة .

ولا يضع لويس عوض نفسه مع العقاد وهيكل وطه لانهم من أهل اليمين ومن مخلفات الحرب العالمية الاولى ، والامل في اليسار الذين يمثلون في رأيه « الادب الجديد » وهم قـادة الفكر المرتقبون « ولعلهم ان ينضجوا » كما يقول لويس ، وحدد لهم فترة النضج بعشر سنوات في مقاله « لاتينيون وسكسونيون » ونشر المقال في اكتوبر ١٩٥٣ بجريدة الجمهورية ، ومضت الآن عشر السنوات .

وقد تسلموا القيادة لأن الظروف السياسية والاجتماعية اتاحت لهم البروز بعد ان ابتعد طه وامثاله من الميدان الأدبي [1] ، فالعملة الزائفة

---

١ العقاد مات رحمه الله وقبله هيكل ، وطه حسين سجين منزله او فراشه لمرضه حتى انه لما انتخب رئيساً للمجمع لم يستطع حضور حفل « تنصيبه » رئيساً ، وقد ضعفت ذاكرته مما اصابه من مكروه مقيت ومن الغبن الحاطم ، واشتد سقمه ، ويقال : ان ما ينشر احياناً في الصحف باسمه ليس من انشائه .

تطرد العملة الصحيحة من السوق كما يقول علماء الاقتصاد وهو صحيح، بل نجد الميدان الادبي في العالم العربي كله مشغولاً بهؤلاء اليساريين وبأتباعهم وبمن لا يوثق بخلقه وامانته ، وبكل رقيق الدين .

الصحافة في مشرق العالم العربي بيد اليسار وغير ذوي المثل والقيم الانسانية ، وهم يفتحون صدور صحفهم لمن يشبهونهم ، ويحاربون اهل اليمين وبخاصة من عرفوا بالدين والاخلاق .

ولويس عوض من اهل الادب الجديد ، وهو من قادة الفكر اليوم في مصر بعد ان شغل منصب المستشار الثقافي لجريدة الاهرام ، وقد اشار منذ اثنتي عشرة سنة الى ان القيادة الفكرية ستكون بيد اهل اليسار ، وما دام لويس من القادة فهو يساري .

انه يساري واستعماري وصهيوني ومبشر ، ولا تناقض بين هؤلاء اذا ما واجهوا الإسلام فقواهم المختلفة تتحد لمحاربته .

وينتهز لويس عوض كل فرصة لمحاربة لغة القرآن ويعزو اليها كل تأخر وجمود ، ويهاجم كل من يدعو الى الفصحى او يدافع عنها ويكتب بها ، ولا يتوانى عن ذلك .

وعلى سبيل المثال نذكر ان مجلة الإذاعة المصرية نشرت في عددها الصادر في ٢٩ شعبان ١٣٨٤ هـ (يناير ١٩٦٥ م) استفتاء في الرواية والقصة القصيرة وتسأل : أهما في محنة ؟ وانبرى للاجابة لويس عوض مع غيره ، ولم يتجه احد المجيبين الى اللغة سواه ، فذكر في جوابه اسباباً ، ونحن ننقل نص كلامه فيما يختص ببحثنا .

قال في اسباب جمود الرواية ومحنة القصة القصيرة : « اهمها ذلك القرار الذي اتخذه المجلس الاعلى لرعاية الفنون والآداب منذ سنوات بضرورة استعمال اللغة العربية في حوار القصة ، وقصر الجوائز على القصص الخالية من الحوار العامي » .

والمجلس الاعلى المصري لرعاية الفنون والآداب قرر ما اشار اليه حقاً ، والذين رأوا هذا الرأي وبنوا عليه القرار ونفّذوه اثنان هما : طه والعقاد ، وبلغ من عنف العقاد انه رد دواوين شعرية لان فيها ما لا يتفق مع مذهبه الادبي في الادب والفن ، ولما صدر قرار المجلس الذي كان ثمرة عمل العقاد وطه صارا هدف اليساريين وعلى رأسهم لويس عوض .

واشتد هجوم الصحافة المصرية على العقاد ، ولم ينقطع حتى اليوم ، والسبب انه كان قلعة جبارة للفكر الاسلامي والادب العربي والقرآن واللغة ترسل قذائفها الماحقة على الباغين المهاجمين .

اخذوا يهاجمون العقاد بعنف لا عنف بعده ، فبعد ان كان مجدداً صار رجعياً وسلفياً ، والسبب دفاع العقاد عن الإسلام واللغة والقرآن والادب العربي .

وهذا امام ائمة اليساريين سلامة موسى يقول في كتابه « مختارات سلامة موسى » تحت عنوان « المجددون » :

« بقي الادب وظهر فيه هو الآخر مجددون يرمون الى اقتباس الطرق الاوربية والاقلال من الصنعة وتضمينه الموضوعات الاجتماعية والنزوع الى الابتكار وترك التقليد لكتاب العرب القدماء ، ونذكر في مقدمة هؤلاء طه حسين والعقاد الخ .. » .

ويقول في مقدمة كتابه « البلاغة العصرية واللغة العربية » ص ١١ — ١٢ :

« وقد التفت الى عبارة قالها الاستاذ عباس محمود العقاد بشأن الاشتراكيين في مصر لها مناسبة هنا ، اذ هم يدعون على غير ما يحب، الى اللغة العامية ، وقد حسب عليهم هذه الدعوة في قائمة رذائلهم ، لأنه هو يعتز بفضيلة الفصحى ويؤلف عن خالد بن الوليد او حسان ابن ثابت . ولكنه غفل عن التفسير لهذه الظاهرة الاجتماعية وهي ان

الاشتراكيين شعبيون يمتازون بالروح الشعبي ويعملون لتكوينه ، وهم لهذا السبب ايضاً مستقبليون وليسوا سلفيين ، ولذلك يحملهم احترامهم للشعب على ايثار لغته الحاضرة على لغة السلف ، في حين انه هو سلفي الذهن في لغته واسلوبه وتفكيره وسلوكه . وليس الاستاذ العقاد وحيداً في هذه السلفية ، لاني اعتقد ان ٩٠ بل ربما ٩٩ في المئة من كتابنا سلفيون » .

فالعقاد مجدد ، ولكنه لمجرد دفاعه عن العروبة ولغتها وعن الاسلام والكتابة عن قادة الاسلام صار سلفياً اي رجعياً .

ويستطيع اي انسان ان يكون مجـدداً لدى سلامة موسى ولويس عوض وامثالهما بسهولة ، ولا يكلف جهداً او علماً مالاً ، بل يربح كثيراً ، يستطيع ان يكون مجدداً اذا تمرد على اللغة العربية وتجنى على الاسلام .

والشواهد لا تحصى ، ومنها : ان شيخاً ازهريـاً يسمى « الشيخ بخيت » افتى بعدم الصوم في رمضان ، فتلقفت دار اخبار اليوم فتواه وجعلته امام المجددين ، وقائداً عظيماً من قواد الفكر ، وكذلك صنع سلامة موسى وغيره ؛ فلما وقف الرجل على خطئه تاب واناب ، فاذا المجدد الاكبر وقائد الفكر العظيم يستحيل خلال بضعة ايـام الى رجعي لا مبدأ له .

اشتم العربية والاسلام تصبح مجدداً من اعظم المجددين ، واذا حافظت عليهما فأنت اكبر الرجعيين .

ويدور الامر كله على اللغة وخاتمة المطاف هدم الإسلام ، وهـذا ما يجهد لويس عوض ورفاقه من اجله .

لقد صار لويس عوض من قادة الفكر اللامعين لأن مذهب اليسار اتاح له هذه القيادة ، واستعداده الفطري والكسبي تمكنه منها ، وسواء أكان يسارياً ام استعمارياً ام مبشراً ام صهيونياً ، فالمبدأ واحد وهو حرب

الاسلام في كل ميدان ، وملاقاته فيه ، وحصاره في اضيق مكان للوثوب اليه والاجهاز عليه .

ولكن الإسلام مع هذا ينتشر في كل مكان بالعالم ، في اوربا وفي امريكا وفي افريقيا وآسيا ، ويزداد كل يوم عدد المسلمين ، ويثبت هذا الدين ويرسخ مع ما يلقى من الحرب التي لا هوادة فيها .

والعجيب في الأمر ان يدين لقيادة لويس عوض اناس يعيشون في بلادنا المقدسة الاسلامية العربية ، وصحف تصدر بها ، فتنشر دعوته ، وتحتج بأقواله حينما يطلبون هدم الفصحى .

وهناك من حملوا عن لويس عوض وامثاله من اليساريين دعوة انكار الادب العربي القديم والجديد ، والجديد الذي لا يمثله اليساريون .

هذا في بلادنا العربية المسلمة التي تنتهي اليها القيادة الروحية لمئات الملايين من البشر في هذه الارض .

والدعوة اخذت تنتشر ، والدعاة يقوون لأن الصحافة السعودية تفتح صدرها لهم وترحب بهم وتطبل لهم وتدعو حتى يشتهروا ، وتمكن لهم بين القراء بهذه الطبول التي تقرعها لتجتذب اليهم الانظار .

وكل دعوة من دعوات هدم الإسلام والاخلاق تجد في بلادنا من يحملها ويدعو اليها ويبشر بها ويجعلها آية على التقدم والتحضر والتمدين، وسنقدم البراهين على ذلك .

وخلاصة ما نقول في لويس عوض : انه يعمل لهدم الاسلام من جميع نواحيه ، يهدم لغته الفصحى وكل ما كتب بها من آثار ، ويهدم القرآن بدعوة ترجمته الى اللغة المصرية العامية ، ويهدم الادب العربي القديم لأنه مكتوب بلغة القرآن ، ويدعو الى الاهتمام البالغ بالفولكلور لاتصاله بالوثنية والاساطير ليترجم به ادب القرآن وقصصه وتاريخ الاسلام والمسلمين وبخاصة تاريخ محمد عليه صلوات الله وسلامه .

وما دمنا نعلم كل هذا وغيره عن لويس عوض فان من المقطوع به

ان اعتناق آرائه من قبل اناس في بلادنا وحملهم الدعوة عنه لنشرها في ربوعنا المقدسة بوساطة صحفنا السعودية واصرارهم على الدعوة الى العامية والفولكلور والانحلال والتفسخ والمجون ليس من الامور السهلة اليسيرة ، بل يدل على ان تنفيذ « المخطط » الذي يراد منه هدم الاسلام يجري في دقة ومهارة ، وسنقيم الدليل على ذلك .

عبد الحميد يونس

هؤلاء الذين يخاصمون الفصحى ليسوا ـ بطبيعة الحال ـ أصدقاء، بل هم أعداء يتمنون ما يتمنى العدو لعدوه، ولا ينطفىء حقدهم إلا بزوال العربية أو استسلامها دون قيد أو شرط كالعدو المهزوم المندحر .

وعندئذ يتولون معاقبتها بما يتفق مع حقدهم الذي لا حقد مثله، وذلك بالقضاء عليها .

وكل خصومها سواء ، لا فرق بينهم في الحقد والخصومة ، وإن كانوا يختلفون في أساليب الحرب والقتال حسبما يقتضيه قانونهما الوحشي الأثيم .

كلهم سواء ، لا فرق بين مسلمهم وكافرهم وعربيهم وعجميهم .

ولا ضرورة للبحث والاستنباط والاستنتاج التماساً للأدلة ، فهم من الجرأة بحيث يسروا أسباب الحكم عليهم بالتصريح عما في أنفسهم ، وان دياناتهم ـ إن كانت لهم ديانة ـ وسلوكهم وعقائدهم تفصح عن العداء المتضرم للاسلام لأنه جاء بالعربية ، وللعربية لأنها لغة كتاب الاسلام الخالد .

مَنْ سبيتا وفولرس ولندبرج ودفرين وولكوكس وسلامة موسى

ولويس عوض ومجلة المقتطف ومارون غصن وأنيس فريحة ؟.

الأسماء نفسها تفصح عن أصحابها ، فمنهم صليبيون ومبشرون، وفيهم الشيوعي ، وكلهم عدو للإسلام والعروبة ، وليس لهما في أنفسهم إلا الحقد الذي يزداد ضرامه على مر الأيام .

أما من يتسمون بأسماء إسلامية كعبد الحميد يونس فما يعتقد وما يجهر به وما يردده من تجنٍ سافر على العربية وتقحم لثغورها ومحاولة هدمها يظهر حقيقته .

والابن العاق المسرف في عقوقه لا يستطيع أبوه أن ينكره ، ولكن من حقه أن يتبرأ منه ويخلعه .

فعبد الحميد يحمل اسماً إسلامياً ، وهو عربي من مصر ، ولكنه تجاوز في محاربته الفصحى من ذكرنا أسماءهم من الأوربيين الصليبيين المبشرين المستعمرين وذيولهم من الآخرين الذين فيهم ذوو ميول يسارية كسلامة موسى ولويس عوض .

إن عبد الحميد يونس مثل هذين الأخيرين ، ويساريته دفعته إلى حرب الفصحى – لغة القرآن والإسلام – بعنف شديد ، وجاهر بآراء خطيرة غاية في الخطورة ، ووجه الخطر حمله اسماً إسلامياً ونسباً عربياً ، فهو قادر على التضليل لأنه عربي مسلم يهاجم لغته .

وإذا كان أولئك المسيحيون عاجزين عن حمل الناس على اعتناق آرائهم لأن « صليبيتهم » تنفّر عنهم فإن ما يتصف به عبد الحميد يونس يجعل لكلامه أثراً كما يحسبون فجرده أعداء العروبة والإسلام ليبارزهما أحد من ينتسبون إليهما .

ولكن فاتهم أن يدركوا أن معسكر دعاة هدم الفصحى يحمل أفراده « جنسية » واحدة وإن تعددت أوطانهم واختلفت أنسابهم .

فالشيوعيون والصهيونيون والمستعمرون والصليبيون وغيرهم فيهم من ينتسبون إلى الإسلام والعروبة اسماً ، ولكنهم جميعاً صف واحد في حرب

الإسلام والعربية ، ونسبتهم – هـــذه – لا تقربهم من العرب ولا من المسلمين غير العرب ، بل تزيد النفور منهم ، لأنهم يضيفون إلى لؤمهم في العداء والحقد جريمة « الخيـــانة العظمى » لمن كانوا سبب وجودهم ولدينهم ولغتهم ووطنهم .

وعبد الحميد يونس منهم وإن كان يحمل اسماً إسلامياً ونسباً عربياً، وهو من ألد خصوم الإسلام الذين يعملون لهدمه ، وسبقت الإشارة إليه في صفحة ١٢٢ من هذا الكتاب ، وكانت هكذا :

« اتصل لويس عوض ببعض رجال الثورة وكان معه غيره ، اتصل بهم لويس عوض في شهر ديسمبر سنة ١٩٥٣ م يغريهم بالأدب القديم ويشي بزعماء الأدب أمثال طه وهيكل والعقاد، بل بلغ به الحمق أن يطلب منهم ما سيشير إليه طه حسين بأسلوبه الرائع بعد أن علم طه بأمر لويس عوض ومن معه » .

ونقلت كلام طه[1] وهذا بعضه بنصه :

« ألسنتهم تجمـــح ، وأقلامهم تجور عن القصد وهم يرون النـاس يكرهون الملوك لسوء آثار الملوك فيهم ، ولأن الثورة قد طردت ملكاً، فلا يجدون بأساً في أن ينتفعوا بهذه الظروف ليروجوا دعوتهم ...

« وكثير منهم يخيل إلى نفسه أنه يرضي الثورة بذلك ، ويتقرب إلى رجالها ، ولكنهم في حاجة شديدة الى الانصاف وأخذ النفس بشيء من هذا الإنصاف .

« ... وما أحسبهم يستطيعون أن يصارحوا الثورة بأن الأدب القديم شر يجب أن يزول ، وفساد يجب أن يلغى، وإثم يجب أن تمحى آثاره ، وبأن أول ما يجب من ذلك أن يترك القديم لقدمه ، وأن نحرق الكتب التي سجلته ، ونحظر درسه في المدارس والمعاهد ، ونعاقب النـاس على

---

١ راجع صفحة ١٢٦ و ١٢٧ من هذا الكتاب .

التحدث به والتحدث عنه ، لأنه أنشىء للملوك وأصحاب الإقطاع ، أو أنشىء في ظلهم ، وقد ألغينا الملكية وألغينا الإقطاع ، فيجب أن نلغي كل شيء أنشىء في ظلهما .

« هذا كلام يمكن أن يقال ، وما أكثر الكلام الذي يقال ، ولكن الشيء المحقق أن أحداً لن يسمع لهم ، ولن يحفل به ، ولن يلتفت اليه ، ولن يوجد المعول الذي يعمل في هدم الأهرام أو في هدم أي مسجد من المساجد التي أنشأها الملوك وأصحاب الإقطاع ، ولن توجد النار التي تضرم لتحريق ديوان من دواوين الشعر أو كتاب من كتب النثر .

« ولو قد تحدث أحد هؤلاء السادة الى رجل من رجال الثورة في شيء من ذلك أو في شيء يشبهه ذلك من قريب أو بعيد لما رأى منه إلا ازدراء ، ولما سمع منه إلا زجراً وانتهاراً .

وما أعرف شيئاً يسوء الثورة والقائمين عليها مثل هذا الكلام الذي يقال في غير تفكير ولا قصد ولا تدبر من قائليه » .

وقلت في صفحة ١٢٩ من هذا الكتاب : « ما كان القراء يعلمون أن المقصود في كلام طه حسين هو لويس عوض ومن معه ، ولكن عندما رد لويس عوض وعبد الحميد يونس عرف الناس أمرهما ، وانهما هما اللذان طلبا الى أنور السادات ما طلبا ، وهناك ثالث لهما هو سلامة موسى » .

هؤلاء الثلاثة هم الذين تولوا كِبْر ذلك الطلب ، وسمعت من طه حسين نفسه انهم هم الذين طلبوا ما أشار اليه ، وسمعت من العقاد — رحمه الله — ومن عبد الرحمن صدقي ما أيد طه حسين .

وفي رد لويس عوض على طه حسين ذكر عبد الحميد يونس ذكراً حسناً ، وأشار الى سلامة موسى إشارة كريمة ، وقال المريب : هأنذا أنا ومن معي ، وهذا ما قال لويس ونشره في جريدة « الجمهورية » بعنوان « من تلميذ الى أستاذه » عقيب نشر طه مقاله في ملحق الجمهورية

الصادر في يوم الجمعة ١١ ربيع الثاني ١٣٧٣ هـ (١٨ ديسمبر ١٩٥٣) :

« ما دام أستاذي يطالب الناس بالإفصاح فللناس أن يطالبوه بالإفصاح كذلك .

« من منا قال إن الوقت قد حان لنهدم الأهرام أو لنزيل المساجد التي بناها الملوك وأصحاب الإقطاع ولنحرق دواوين الشعر وكتب النثر التي أنتجها الأولون .

« أهو تلميذك الوفي عبد الحميد يونس الذي تعلم عليك حرية الرأي وحرية القول فرأى شيئاً لا يراه أستاذه وانطلق عقلـه في آفاق جديدة كانت محرمة على جيل أستاذي فذاق أدب الشعب،ودرس أدب الشعب، ودعا لإقامة أدب الشعب في لغة الشعب وفي موضوع الشعب .

« أم هو تلميذك الوفي لويس عوض الذي أخذ عنك كل ما أخذه غيره وأكثر مما أخذه غيره إلخ .

« ومن منا كتب بعد أن خيل إلى نفسه انه يرضي الثورة بما يكتب ويتقرب إلى رجالها بما ينشيء ؟ ومن منا يرى النـاس يكرهون الملوك لسوء آثار الملوك ولأن الثورة قد طردت ملكاً ، فلا يجـد بأساً في أن ينتفع بهذه الظروف ليروج لدعوته ...

أهو تلميذك الوفي عبد الحميد يونس الذي بـدأ دعوته لتذوق أدب الشعب وللعناية به لسنوات خلت قبل أن تكون هنـاك ثورة يتقرب إلى رجالها ، وخصص عشر سنوات من حياته لدراسة أدب الشعب بين زجر الزاجرين وغمز الغامزين كأنه أتى أمراً أو ارتكب فعلاً فاضحاً ؟ » .

والجواب على كل أسئلته : إن لويس عوض وعبـد الحميد يونس وسلامة موسى هم الذين طلبوا إلغاء الأدب العربي لأنه في رأي سلامة موسى — كما أشار لويس عوض في مقاله هذا — : « أدب ملوكي » ولأنه في رأي عبد الحميد يونس — كما ذكر لويس عوض في المقـال نفسه — : « أدب ما قبل الثورة أدب إقطـاع » ولأنه في رأي لويس

عوض كما جاء في كثير مما كتب أدب لا قيمة له ولا وجود .

وهم الذين طلبوا هــدم المساجد لأنها من إنشاء ملوك أو أصحاب إقطاع ، والمساجد كلها من إنشاء ملوك وموسرين هم في رأيهم أصحاب الإقطاع ، فلا بد من هدم المساجد في كل أقطار الأرض .

هم الذين طلبوا كل ما أشار إليه طه ، وتملقوا الثورة كل التملق، ولئن كان لويس عوض ينكر في استفهامه الذي جاء بمقاله وهو قوله : « وأهم من هذا وذاك فليعين لنا من ذا الذي تملق الثــورة ورجالها » فقد نسي أنه اعترف في أول المقال قــائلاً : « فاعلم إذن يا أستاذي أني اليوم أتملق الثورة لا بالقول وحده ولكن بالفعل كذلك ، فاشهـد وليشهد على الناس » .

وتملُّقُ الثورة من قبله رفعــه إلى أن أصبح في هذه الأيام مستشار جريدة الأهرام الثقافي ، ونفقاته على حسابها ، حتى أن رحلته إلى أوروبا كانت على حساب تملقه ، وكذلك الأمر بالنسبة لعبد الحميد يونس .

وأوضح لويس عوض أصالة عن نفسه ونيابة عن عبد الحميد يونس وسلامة موسى وأمثالها قصده الذي شاركه فيه هؤلاء بمثــل إيضاحه إذ قال في مقاله بجرأة وتبجح :

« إن الفرنسيين حين قاموا بثورتهم العظيمة وهي أعظم ثورة قام بها بنو الإنسان قالوا : هنا يبدأ التاريخ ، وكل ما كان قبل الثورة يدخل في حساب ما قبل التاريخ ... وإذا جاز للفرنسيين في ثورتهم أن يؤمنوا كل هذا الإيمان بأنفسهم فلمَ لا يجيز أستاذي للمصريين أن يخطئوا هـذا الخطأ بصورة مخففة مرة كل جيل » .

وهؤلاء لا يجهلون أن فيما قبل الثورة في مصر « الإسلام » بل يعلمون ذلك ، ولهذا يطلبون أن يكون ما قبل ثورتها في حساب ما قبل التاريخ، وبذلك يلغى الإسلام كأنه زي يخلع بأمر أحد .

ان الإسلام روح مصر وعقيدتهـا ودينها ، ومهما أراد الكافرون – ومهما كانت قوتهم – فلن يستطيعوا نزع الاسلام من شعب مصر الا اذا نزعوا أرواح كل أفراده .

ودفاع لويس عوض عن عبد الحميد يونس دفاع عن نفسه ؛ وزعمه أن دعوة عبد الحميد يونس لتذوق أدب الشعب الى آخر أركان الدعوة بدأت قبل الثورة « وخصص عشر سنوات من حياته لدراسة أدب الشعب» لا يثبت أنـه لم يتملق الثورة ، وان كان يثبت أن محاربة عبد الحميد يونس للإسلام قديمة وعريقة .

ان مخاصمته للإسلام عريقة ، فما نفى أحـد أن مصر خلت في عهود ما قبل الثورة من خصوم الإسلام ومحاربي القرآن ، بل هؤلاء حاضرون في كل زمان وبخاصة بعد الثورة التي أعانت خصوم الاسلام فثاروا عليه وعلى القرآن ، ووجدوا فيها وفي ظروفها ما ينتفعون به ، فكان لويس عوض وعبد الحميد يونس وأمثالهما من أبرز المنتفعين .

وتملق عبد الحميد يونس للثورة طمعاً في الانتفاع والثروة مثل غيره من صحابه وسادته وزملائه أمر مشهود لأنه معترف به ، ومن البراهين على هذا التملق الشائن أن يزعم عبد الحميد يونس : « ان أدب ما قبل الثورة أدب اقطاع » وبذلك يريد هدمه كما هدمت الثورة الاقطاع وقضت على أصحابه .

وانه لحقد متأجج في نفسه على الأدب العربي ، ويزيد ضرامه كفره بالاسلام والقرآن ولغة العرب ، واعتناقه لكل مذاهب الهدم التي تمنحه القوة وتعطيه المال والثروة .

وإنكار الأدب العربي والدعوة إلى العامية وإلى إغفال الفصحى وهدمها باتخاذ العامية وإلغاء الإعراب ليست وليد الثورة المصرية ، بل هي موجودة قبلها ، ولكنها لم تكن لتتخذ سلطة الدولة ، بل الدولة كانت تحاربها ، وقد أشار لويس عوض في دفاعه عن صفيه عبد الحميد يونس في مقاله

(من تلميذ إلى أستاذه) في قوله :

« أهو تلميذك الوفي عبد الحميد يونس الذي تعلم عليك حرية الرأي وحرية القول فرأى شيئاً لا يراه أستاذه وانطلق عقله في آفاق جديدة كانت محرمة على جيل أستاذي » .

أشار إلى أن الآفاق الجديدة كانت محرمة ، وهو صحيح ، ولكن كان هناك من يرتكب الحرام كسلامة موسى وعبد الحميد يونس ، غير أن قوة الشعب المسلم كانت بالمرصاد لأولئك البغاة المعتدين فلم يجدوا متنفّساً لدعوتهم إلا بعد الثورة فأخذت دعوات الهدم والتخريب تنتشر وينشط دعاتها ويستعينون قوة السلطة وكل أجهزتها لهدم الإسلام والقرآن ولغتها الفصحى .

لقد جاءت الثورة تصحبها الفرص الصالحة لضعفاء العقيدة والايمان فانتهزها النهازون فزعموا أن أدب ما قبل الثورة أدب إقطاع يجب أن يزول كما زالت آثاره الأخرى ، والذي يبقي أدب اليسار وما يصلح له واليساريون الذين استجابوا للثورة طواعية واختياراً بعد ثبوت أقدامها ، وهم « أمل مصر الحزينة » كما زعم في مقال له بعنوان « لاتينيون وسكسونيون » منشور بجريدة الجمهورية القاهرية .

وعبد الحميد يونس قد انتفع من الثورة كل الانتفاع ، ولولاها لانطوى قلمه وانزوى أدبه ودعوته،والثورة هي التي أتاحت له أن ينشر دعوته وتحشد لها الأنصار،فيردد ما قاله من قبلُ أعداء الاسلام المبشرون الصليبيون ، النغمة هي النغمة ، والدليل هو الدليل ، هم علموه النغمة ولقنوه الحجة ، ثم أطلقوه ليقول :

« اننا مصابون بما يعرفه أصحاب التربية بـ « الازدواج اللغوي » أي اننا مكلفون باصطناع لغتين مختلفتين ، نعيش بلغة ، ونتفنن بلغة أخرى ، نفكر بلغة ، ونعرض أفكارنا بلغة أخرى،ومهما قيل عن اتحاد

الأصل في هاتين اللغتين فإن الواضح انهما لغتان متمايزتان لكل منهما أصول وقواعد ، ولكل منهما أدب وتراث[1] » .

ويقول : « وهذا الازدواج اللغوي يستتبع في أكثر الأحيان ازدواجاً في الشخصية ، كما انه يجعل كل واحد منا أقرب ما يكون إلى الأجنبي النازح من بلد آخر ليقيم معنا » .

هذا ما ردده اولئك الأعداء الذين تدل عليهم أسماؤهم ولقنوه تابعهم عبد الحميد يونس فجاء يردده ويتاجر به .

أما ان للعامية قواعد غير قواعد الفصحى فليس ذلك بصحيح في جوهره واتجاهاته ، فالعامية اختصرت القواعد واعتاضت ببعض الصيغ عن بعض توخياً للسهولة التي تتفق مع العامية .

فقاعـــدة المبني للمجهول لا وجود لها في العامية ، وقنعت بالبديل الذي يتجلى لديها في الفعل المطاوع ، فهي لا تقول : ضُرِبَ ، بل انضرب .

وهذا لا يسمى « مغايرة » في القواعد بينها وبين الفصحى .

وتخلي العامية عن الاعراب حملها على أن تستبـــدل بالفاعـــل المبتدأ الا في بعض الحالات كالاستفهام ، لئلا يقع اشتباه ، فهي لا تستطيع أن تقول : ضربْ محمـدْ زيدْ ، لأن التركيب لا يظهر الضارب من المضروب ، بل يوهم أن محمداً وزيداً واحد ، أحدهما اسمه ، والآخر لقبـه .

وتخلصاً من هذا اللبس قدمت الفاعل على الفعل طرداً للابهام فقالت: محمدْ ضربْ زيد .

وهذا معهود في الفصحى ، ولكنه معروف باسم آخر توخيـــاً للدقة العلمية ، لأن من وضعوا القواعد رأوا الأمثلة لا تحصى يتقدم فيهـــا

---

[1] مجلة « الآداب » العدد ٥ .

الفاعل الفعل ، ووجدوا أسماء يبتدىء بها الكـــلام ، فجعلوا لذلك باباً خاصاً من أبواب النحو سموه «المبتدأ» وهو ما قنعت به العامة في الفاعل تخلصاً من الإبهام .

وما حملهم على هذا إلا فقدان الإعراب من العامية .

ومثل هذا في سائر ما يعرف بقواعد العاميـــة التي اختصرت قواعد الفصحى رغبة في السهولة واليسر اللذين نجدهما في الطفولة فلا تؤاخذ بهما.

وإن من الجهل بقوانين الحياة أن يطلب إلى القوي القادر ممن تجاوزوا الطفولة ان يعودوا اليها ، وما أظن رجلاً سليم العقـل والشعور يرضى بهذه العودة مع ما في الطفولة من سذاجة ويسر وسهولة ومراح ، ومع ما في الرجولة من تكاليف وتبعات .

ومسألة « الازدواج اللغوي » التي يحتج بها كل دعاة العامية مبالغ فيها ، ولنفترض ان هذا الازدواج حق كله ، فلماذا لا يكون الحل إلا في الهبوط والتدني ؟ لماذا لا نقضي على الازدواج بالارتفاع ؟ لماذا العامية وليس الفصحى ؟ لأن في بقاء الفصحى بقاء للقرآن ، وهم لا يريدونه، ولهذا دعوا إلى العامية تخلصاً من الازدواج .

وعبد الحميد يونس لا يجهل خطر العامية إذا اتخذناها لغـة الكتابـــة والعلم والأدب،ولا يغيب عن ذهنه وذاكرته ما ذهب اليه الدوس هكسلي العلامة الانجليزي المشهور من تخطئة من قال بضرورة كتابة العلم بلغة عامة الانجليز ، لأن ذلك يضعف المواهب العلمية ويقضي على ملكـة الانشاء بالفصحى ، وترقية عقول العامة وإعدادهم لفهم لغة العلم العالية أسهـل وافضل من أن ينزل العلماء إلى العامة فيتقهقرون[1] .

لا يغيب عنه هذا وغيره ولكنه يريد هدم القرآن فيتخذ له المعاول، لأن ما يذهب اليه هكسلي تقرير لوجود عامية وفصحى يتبعـه وجود ما

---

١ راجع كتابنا « الفصحى والعامية » .

يسميه « الازدواج اللغوي » ولا تخلو منه كل أمة من الأمم ، لأنه لن تكون وحدة لغة الخطاب والكتاب في يوم من الأيام مهما ارتقى التعليم، فالفوارق ضرورة حتمية لا مفر منها .

واذا عجز الأدنى من الصعود الى الأعلى فلا يُعجز الأعلى النزول، فبرناردشو من أبرع من كتب بالانكليزية في العالم ، وطاغور من أبرع من كتب بالبنغالية ، ولكنهما كانا يتحدثان الى الاطفال كثيراً، ويقضيان معهما أوقاتاً طويلة ، وليس من المعقول أنهما كانا يخاطبانهم بلغتهما العالية، وكذلك في مخاطبتهما العامة من أبناء أمتيهما .

وهذا « ازدواج لغوي » ولكن ذلك لم يكن سبة للانجليزية العالية والبنغالية الفصحى ، ولم يستتبع ازدواج الشخصية على حسب دعوى عبد الحميد يونس .

ومن خطئهم زعمهم أننا نفكر بلغة ونفتنّ بلغة ، بل نحن — حينما نكتب بالفصحى — نفكر تفكيراً عالياً يتفق مع علوها .

فاتهام العربية بما يتهمونه به ليس صحيحاً في جملته وتفصيله ، بل دعوى يدعيها خصومها الحاقدون لتشويه سمعتها طمعاً في احلال العامية محلها حتى يخلصوا من القرآن والحديث وكل ميراث الاسلام .

وعبد الحميد يونس وأمثاله يتهمون العربية بالقصور مع أنهم يعرفون حق المعرفة أنها ليست قاصرة ولن تكون ، وإذا ادعوا — وقد ادعوا — ان الترجمة الى العربية دليل قصورها فليس بدليل عليها ، ولكنه دليل على عجزهم هم ، وقصورهم هم ، وقصورهم وعجزهم يحملانهم على الاتهام الباطل والدعوى المردوده المنقوضة .

والراقصة العرجاء تتهم المسرح بالانحدار ، وذو الفم المريض يجد الماء العذب مراً كريهاً .

ان القوي الغني في اللغة التي يترجم عنها وفي اللغة التي ينقل اليهـا

لا يجد صعوبة ولا عسراً ، لأن بوسعه استخدام اللغة المنقول اليها استخداماً حسناً يمكنه من التوفيق والسداد .

وليس غريباً أن نجد عبد الحميد يونس يدعي دعاوى الذين يحقدون على الاسلام لأن الاسلام عربي القرآن والرسول والميراث .

يقول الله تعالى : (إنا جعلناه قرآناً عربياً) والاسلام كله من القرآن، جوهره ولبـــابه وروحه القرآن ، ولا اسلام بدون قرآن ، ولا عرب بدون عربية .

انهم يريدون العامية تخلصاً من القرآن والاسلام ، وإذا تخلصوا منهما فقد تم القضاء عليهما وعلى شعوب الأمة العربية .

ولنفترض ان العرب استجابوا لعبد الحميد يونس وأمثاله ومن يحذون حذوهم وبدلوا لغتهم العربية باللغة الفرنسيـــة وتركوا العربيـــة تركاً ، وانفضوا عنها أشد الانفضاض ، أيكونون بعد ذلك عرباً ؟.

قبل أن نجيب نقول : لو ان الاسبان تركوا لغتهم الاسبانية واستبدلوا بها اللغة الفرنسية ، أتراهم يخسرون ؟.

كلا، إن لغتهم بمثابة الزي، ولن يفقدوا حقيقتهم التي تبقى كما هي إذا استبدلوا بزيهم سواه .

أما العربية فليست زي العربي لا يضيره تغييره ، لأن العربية في العربي روحه وعقيدته ووجوده ، فإذا تركها كالاسباني لن يكون عربياً ، أما الاسباني فسيكون اسبانياً عندما يستبدل بالاسبانية الفرنسية لأنها بمثابة تغيير زي بزي رآه أصلح له فاختاره وترك ما لا يصلـــح له ، وأمم أمريكا اللاتينية التي تتخذ الاسبانية لغتها لم تفقد جنسياتها .

إن الاسباني لن يخسر شيئاً إذا ترك لغته لأنه يجد في اللغة الجديدة ما يغنيه دون أن يفقد كيانه ، أما العربي الذي يترك لغته فإنه يفقد كيانه كله ، لأن العربية من صميم الدين، ولأن العربية كيان العربي ووجوده ، ففقده اياه فقدُ ذاتيته وشخصيته وقوامه .

وهؤلاء الذين يدعون الى العامية يدركون هذا الأمر ادراكاً عميقاً ، ولهذا قاموا بدعوتهم باذلين كل ما في وسعهم ، لأنهم يريدون أن يميتوا العربي الى الأبد ، ويوجدوا بدله انساناً آخر لا صلة له به .

وعندما يميتون العربية والعربي فقد أماتوا الاسلام كله ، وعندئذ يتحقق أملهم .

ومن المفارقات الغريبة ان أناساً مثل ساطع الحصري يعدون أنفسهم قادة الدعوة الى القومية ثم يتنكرون للغة العربية ، كأن اللغة لا دخل لها في القومية .

ان هذا التناقض العجيب يكشف عن النية التي تدفعهم اليه ، انهم ينادون بالقومية العربية ليجعلوها بديل الاسلام ، فإذا تحققت لهم القومية العربية قضوا عليها بإحلال العامية محل العربية ، وعندئذ لا قومية عربية، ولا لغة عربية ، ولا قرآن ، ولا اسلام .

المطلب الذي لا مطلب سواه من هذه الدعوات الهدامة هو القرآن وحده ، وعندئذ تلتقي دعوات أصحاب « القومية العربية » و « العامية » بأصحابها الأصلاء من صليبيين ومبشرين ويهود وصهيونيين وشيوعيين الألى عبر عن أمنيتهم وليم جيفور بلجراف ومُلُتوف (مولوتوف) اللذين قالا كلمة واحده على بعد الدار واختلاف اللغة والوطن والمذهب والعقيدة .

قال بلجراف المستعمر المبشر : « عندما يختفي القرآن ومكة من بلاد العرب يسهل علينا أن ندفع المسلم الى الحضارة » والحضارة التي يقصدها هي المسيحية .

وأما الشاطر الآخر ملتوف (مولوتوف) أحد رؤوس الشيوعية في العالم فيقول في احدى خطبه : « لن تثبت الشيوعية في جمهوريات الاتحاد ولن ينتشر في الشرق إلا إذا أبعدنا أهله عن تلك الحجارة التي يعبدونها

في الحجاز ، وإلا إذا محونا القرآن من الوجود ، وإلا إذا قضينا على الاسلام » .

القرآن وحده شغلهم الشاغل ، وليس سواه ، ومن هنا كان الهدف لكل قوى الشر في العالم ، وما اللغة العامية ، وإلغاء الإعراب، والتيسير والتسهيل ، والتقريب بين العامية والفصحى ، وجحود الأدب العربي إلا القذائف التي أعدوها لهدم القرآن وحده وليس غيرُ ، لأنهم يدركون ان هدمه هدم الاسلام كله .

فإذا نهض عبد الحميد يونس ذو الاسم الإسلامي والموطن العربي (مصر) بدعوته الهدامة التي هي دعوة أعداء الإسلام ، وتبعه مسلمون عرب من مختلف أقطار العربية وفيهم من بلادنا التي هي أصل العربية وموطنها ، ووطن خير الخلق محمد عليه صلوات الله وسلامه ، وبلاد القرآن كله ، فهم جميعاً صناعة أعداء الإسلام ، قذفوا بهم في ميدان المعركة جيشاً خامساً يحارب القرآن وأهله من الداخل فيتم حصار القرآن من الخارج ويلتقي مع الداخل في ضربه وقتله .

ولكن القرآن خرج ظافراً وعاش منتصراً يتحدى القوى الشريرة الطاغية ويذيبها ويصدق قول الله تعالى : (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون)[1] .

واذا كان الله القوي القادر حافظَ كتابه فمن الذي يستطيع أن يهدمه؟. لا أحد ، ولو كان العالم بعضه لبعض ظهيراً ، ولو كان منه من يحملون أسماء اسلامية وينتسبون للعرب مثل عبد الحميد يونس وغيره .

ومن معجزات القرآن ان غفلة أهله تستحيل يقظة ونهوضاً بسبب أعدائه ، فكلما اخلدوا للنوم والغفلة جاء عدو للقرآن بدعوة من تلك الدعوات الهدامة يلقيها قذيفة قارعة صاخّة فإذا انصار القرآن يهبون للذود

---

١ سورة الحجر ، الآية ٩ .

عنه ويثبتون المؤمنين به ، ويردون دعوة المبطلين الى وجوههم تضربها ضرباً ، وتسفع بنواصيهم سفعاً .

كان العرب المسلمون نياماً ، وكانوا مستعمَرين في غاية ما يمكن من التأخر والجمود والانحطاط الفكري فإذا دعوة من دعوات الهدم تنطلق فيصحون ويهب الأنصار مدافعين، وهكذا كلما ناموا سخر الله لهم داعيَ شر ليتجدد صحوهم فيدافعون عن أعظم ما لديهم في الوجود : كتاب الله وسنة رسوله، فتكون دعوة الشر سبب اليقظة والجهاد وإعلاء كلمة الله .

وهكذا تتم نعمة الله على حزبه ، فيكونون دائماً على أهبة الاستعداد .

وإذا أراد الله نشر فضيلة طويت أتاح لها لسان حسود[1]

---

[1] البيت لأبي تمام .

أعداء الفصحى في بلاد الفصحى

لويس عوض الذي يقول في « بلوتولند » الذي أصدره سنة ١٩٤٨ م ثم فيما كتب الى عهد قريب :

« حطموا عمود الشعر » .

و « لقد مات الشعر العربي ، مات ... مات ميتة الأبد ، مات ! » .

و « الأدب قد مات في الشرق العربي منذ عشرين سنة » .

لويس عوض الذي وصف نفسه بقلمه : « لم يقرأ حرفاً واحداً بالعربية بين سن العشرين والثانية والثلاثين » و « إحساسه باللغة (العربية) أجنبي عنها على كل حال » .

لويس عوض الذي أفتى بترجمة القرآن الى اللغة العامية ، وسخر بالقرآن والاسلام ، ووصف نفسه بقلمه وقال عن نفسه : « عرف بدعوته للأدب العامي » .

لويس عوض الذي يقول : « لماذا لا يمكن تغيير هذه الحالة المؤسفة الى ما هو أحسن ؟ ببساطة ، لأن هناك خوفاً من التعدي على حرمة الدين إذا تركنا لغة القرآن كلية ، ولكن لغة القرآن لا يكتب بها الآن في أي قطر » .

لويس عوض هـذا صار في بلادنا السعودية « إماماً » يستشهد به كاتب مسلم في وجوب قيام اللغة العامية كما دعا لويس عوض ، ويحارب هذا الكاتب المسلم لغة القرآن في جريدة « الجزيرة » في الصفحة التي يشرف عليها « مخبول » سخيف .

لويس عوض الذي يفتخر بأنه كسر رقبة البلاغة يصبح « إماماً » له أتباع في بلادنا السعودية .

لويس عوض الذي طلب الى الثورة المصرية – كما أشار الدكتور طه حسين في مقاله بملحق جريدة « الجمهورية » القاهرية – هدم مساجد في مصر بحجة ان من انشأوها ملوك واصحاب اقطاع .

هذا « اللويس عوض » صار إماماً يستشهد برأيه كاتب سعودي مسلم ينشر في جريدة « الجزيرة » السعودية الدعوة الى العامية ويشتم الذين يدافعون عن الفصحى ، ويسمي هـذا « المسلم » جهاد أنصار الفصحى صراع الديكة .

ويقول لويس عوض ما نصه واصفاً نفسه بقلمه :

« وهو يفهم كذلك ان الاعتراف باللغة المصرية لا يتبعه بالضرورة موت اللغة العربية اذا احتاط الناس لذلك ، فليس هناك مـا يمنع من قيام الأدبين جنبـاً الى جنب ، اللهم الا اذا شككنا في جدارة اللغة العربية والأدب العربـي وقدرتهـا على الحياة ، ولكن لويس عوض رغم كل ذلك فقد سكت مؤثراً ان يتولى الدفاع عن رأيـه مسلم لا مجال للطعن في نزاهته » .

هذا نص ما قاله لويس عوض في وصف نفسه : « سكت مؤثراً ان يتولى الدفاع عن رأيه مسلم لا مجال للطعن في نزاهته » .

وبرز هذا « المسلم » الذي « لا مجال للطعن في نزاهته » يتولى الدفاع عن رأي لويس عوض ، بل ويدعو اليه في حماسة منقطعة النظير ، ويشتم أنصار الفصحى .

برز هذا « المسلم » من أبناء الوطن السعودي المسلم الذي لا يوجد به أي دين سوى دين الله الذي ارتضاه لعباده .

برز هذا « المسلم » في جريدة « الجزيرة » بالعدد ٦٥ الصادر في يوم الثلاثاء ١٠ جمادى الثانية ١٣٨٥ (٥ اكتوبر ١٩٦٥) وهو يحمل راية الدعوة الى العامية وفي يده قذائف يرسلها الى الفصحى لغة القرآن والحديث والتراث الاسلامي الحق كله ولغة الأدب العربي حتى اليوم ، يريد تدميرها لتسود لغة لويس عوض .

برز هذا « المسلم » الذي تكهن به لويس عوض في بعض ما كتبه ، وبلغ من الجرأة أنه استشهد هذا المسلم بإمامه لويس عوض في ضرورة قتل الفصحى بعد ان سب أنصارها واتهمهم أبشع التهم .

وما تحقق كهانة لويس عوض بأن مسلماً سيتولى الدفاع عن رأيه مصادفة محض مصادفة ، بل ان في الأمر تدبيراً وخطة محكمين ، واتفاقاً وائتماراً ، ثم بدأ التنفيذ ، ونشر هذا المسلم المقال في جريدة « الجزيرة » في العدد الذي نشر فيه مخبول لها كلمته السافلة التي يجحد فيها الأدب العربي كله بقرآنه وحديثه وكلام البلغاء والصحابة والتابعين وكل ما كتب بلغة العرب .

وانفجرت القنبلة وأخذ المتآمرون ينتظرون نتائجها فإذا النجاح حليفهم .

لم يتحرك أحد من السعوديين ، حتى الذين يعدون مسئولين عما ينشر في الصحف من الاتجاهات المختلفة ومراقبة ما يضر بسمعة البلاد والدين والأخلاق لم يتحركوا حتى اليوم .

وأي نجاح أعظم من هذا ؟ اذن ، لتقرّ أعين المؤامرة ، وليهرع « المسلم » لتسلم ما أعِدّ له من الأجر والمكافأة .

إنه ـــ والحق يقال والشهادة لله ـــ كان غاية في الجرأة والقحة ، ولعل هذه الشهادة تنفعه عند القوم فيجزلون عطاءه ويدخرونه للمهمات .

كان جريئاً مقداماً مثل جرأة زميله « مخبول » جريدة « الجزيرة » واقدامه .

وليهنأ لويس عوض فقد وجد « المسلم » الذي تكهن به ، ووجده في عقر دار اللغة العربية ، وما ثَم توفيق أعظم من هذا التوفيق الذي يدل على مهارة المتآمرين .

ولكن ليس هذا « المسلم » كما وصفه لويس عوض في قوله : « لا مجال للطعن في نزاهته » بل هناك ألف مجال ومجال للطعن في نزاهته ، ولكن ، أي نزاهة لمسلم يأجر نفسه وقلمه لكفرة ؟!.

ان هذا ليس نزيهاً ، وما خلق للنزاهة ولا النزاهة خلقت لمثله .

وحسبنا هذا ، ولنر ما لدى هذا « المسلم » الذي سكتُّ عن ذكر اسمه واسم زميله المخبول لئلا أدنس كتابي وقلمي بهما .

نشر هذا « المسلم » مقالاً طويلاً عريضاً في صفحة الفكر والأدب بجريدة « الجزيرة » باسمه الصريح ، تحت عنوان « صراع الديكة بين العامية والفصحى ..!؟ » وعلامات الترقيم هذه من عند الكاتب لا من عندنا .

يقول : « ضراوة الصراع بين انصار العامية وانصار الفصحى نتجت عنها هوة سحيقة يصعب عبورها للتوحيد بين وجهتي النظر ، وقد حجب هذا الصراع الكثير من حقائق العامية والفصحى عن أذهان الكثيرين ممن يريدون معرفة هذا الموضوع والالمام بجوانبه المتعددة الأطراف ، فالذين يناصرون العامية يكيلون القدح للفصحى لدرجة توهم أشياء لا صحة لها ، او ادعاء أباطيل مختلفة لا تليق بالدارسين الجادين الذين يهمهم تحري الدقة فيما يصدرون من آراء وأفكار ، والذين يناصرون الفصحى يهاجمون العامية بشكل أعنف وأقسى لدرجة وصف الداعين لها بالجهل والعجز دون الالتفات لما يعتمدون عليه من أسباب قد تكون مقنعة ، وحجة هؤلاء ان العامية خطر يهدد الفصحى ويعرقل مدها الزاخر ،

وحجة اولئك ان الفصحى ودعاة الفصحى يحكمون بالاعدام على العامية وكل ما يتصل بالعامية » .

هذا أول المقال ، وقبلـــه العنوان نفسه وهو « صراع الديكة بين العامية والفصحى » يبين موقف الكاتب ويحدد هدفه ويظهر ضميره .

فالصراع الضاري بين العـــامية والفصحى ليس صراع ديكـــة ، ولكنه — كما قال ولهلم سبيتا أحد أوائل الدعاة الى العامية في كتابه « قواعد اللغـــة العامية في مصر » المطبوع سنة ١٨٨٠ م — « مسألة حياة او موت » وهذه الجملة نص كلام سبيتا في مقدمته .

وليس الصراع بين العامية والفصحى صراع ديكة كما يقول «المسلم» كاتب جريدة « الجزيرة » ولكنه حرب بين القرآن وأعدائه ، القرآن مبغي عليه ، فهو مجاهد يدافع ، وأعداؤه بغاة معتدون .

فالحرب القائمة بينهما حرب مقدسة بالنسبة لمن يخوضهـــا من أنصار القرآن الذين هم أنصار الفصحى ، ولا يمكن لمسلم حقاً ان يصف حرباً مقدسة كهذه الحرب بأنها صراع ديكة ، ولا يجوز لمسلم حقاً ان يسمي المجاهدين ديكة على أي وجه من الوجوه ، وبخـــاصة اذا كان يريد التهزىء بالمجاهدين كما يفصح المقال .

إنها حرب مقدسة وليس صراع ديكة .

والعنوان وحده يكشف عن نية الكاتب ، بل لا لزوم لكشف النيات لأن الكاتب نفسه وقف في صف أعداء القرآن ولغتـــه وأخذ يرجمها بالحجارة كما يصنع لويس عوض ومن سبقوه من امثال سبيتا وفولرس وولكوكس ودفرين من الأوربيين الذين جهروا بالدعوة الى العامية لهدم كتاب الله وسنة محمد عليه صلوات الله وسلامه .

واذا نزلنا الى الوحل الذي يمثله ما استشهدنا به من كلام الكاتب نجده يقول :

« والذين يناصرون الفصحى يهاجمون العـــامية بشكل أعنف وأقسى

لدرجة وصف الداعين لها بالجهل والعجز دون الالتفات لما يعتمدون عليه من أسباب قد تكون مقنعة » .

وهو يثبت بهذه الجملة انه لا يناصر الفصحى ولا يهاجم دعاة العامية ولا يصفهم بالعجز والجهل و « يلتفت لمـــا يعتمدون عليه من أسباب مقنعة » .

أيناصر الفصحى وهو عدو لها مثل من انتدبوه لقتالها في بلده كلويس عوض ؟.

ان ما في المقال يثبت انه من هؤلاء الدعاة ، ولكنه تابع ذليل لهم، وفوق ذلك أجير لمن يخاصمون القرآن ولغته ، وأسلوبه الركيك يدل على احتقاره الفصحى وانصارها حتى ليقول بعد الجملة التي استشهدنا بها :

« وبين تطرف أنصار العامية وتحفظ أنصـــار الفصحى تضيع الحقيقة (وبين حانا ومانا .. ضيعنا لحانا) » .

هذا ما يقوله كاتب جريدة « الجزيرة » المسلمة العربية ، وما حانا ومانـــا المحشورتين في سياق كلامه ؟ هل الفصحى حانا ، والعامية مانا ؟.

أينزل الفصحى الى درك حانا او مانا ؟ أينزل لغة القرآن الى هذا الحضيض ؟.

ثم ما الحقيقة التي تضيع بين تطرف أنصار العامية وتحفظ أنصار الفصحى ؟!.

أهي السكوت عن العامية حتى تسود وتكسر رقبة الفصحى مثلما كسر لويس عوض رقبة البلاغة العربية كما ذكر ؟.

أهي تخلي أنصار الفصحى عن جهادهم كما يرغب دعاة العامية ؟.

ويقول كاتب جريدة « الجزيرة » :

« هذا الصراع يشبه صراع الديكة في معناه وفي مرماه ان كان له مرمى .. عندما تتناحر على لا شيء ، وهو يدل على الجهل .. فليس

من صفات الدارس الجاد ، التحدي السافر لمشاعر من يخالفونه الرأي ، وان يوفق في الطريق الصحيح .. من يقذى عينيه عن العلم والتعليم .. بالتعصب الاعمى لرأي ما وترك ما سواه والمنافحة عنه لدرجة الاستماتة على اساس اعتقاد ربما يكون به من الخطأ اكثر من الصواب ، وهكذا يتخبط القارىء العادي في متاهات لا تعرف الحدود ، وواضح ان الطرفين على خطأ » .

هل الحرب القائمة بين الفصحى والعامية « تناحر على لا شيء » كما يزعم ؟.

اذن ، ما الشيء الذي يكون عليه التناحر ؟.

اعداء القرآن يقومون بحملة بل بحرب شديدة على لغته فاذا نهض المؤمنون به دفاعاً وصف ذلك بأنه « لا شيء » وانه صراع ديكة !.

ثم ، أصحيح ان هذا التناحر يدل على الجهل ؟.

ان انصار الفصحى حينما يدافعون عنها ويدفعون عن حرمها البغاة المتقحمين يبرهنون على الجهل ، لأنهم يدافعون عن القرآن في دفاعهم عن لغته ، والدفاع عن القرآن او لغته دليل على الجهل .

هذا ما يقصد اليه كاتب جريدة « الجزيرة » .

واذا رأى حماسة المجاهدين عن لغة القرآن اخذته العزة بالاثم ودفعته الى ان يقول : « ليس من صفات الدارس الجاد التحدي السافر لمشاعر من يخالفونه الرأي » .

ماذا يصنع انصار الفصحى اذا وجدوا اعداء يحاربونها في عنف بالغ ؟ أيسكتون ويدعونهم وشأن لغة قرآنهم يفعلون بها ما يشاءون !.

ان انصار الفصحى لم يهاجموا العامية ، ولكن المستعمرين ثم انضم اليهم الشيوعيون والصهيونيون هم الذين بدأوا بمهاجمة الفصحى والقرآن، وصنع هؤلاء صنائع من امثال سلامة موسى ومارون غصن وانيس فريحة ولويس عوض وكاتب جريدة « الجزيرة » ودفعوهم لمحاربة لغة القرآن

تمهيداً لعزل القرآن كما صرح هؤلاء الصليبيون فيما نقلنا من اقوالهم بهذا الكتاب .

ان الصليبيين وذيولهم من امثـــال كاتب جريدة الجزيرة يتحدون المؤمنين بالقرآن بالنيل من القرآن والإسلام ولغتها ، فاذا نهضوا للدفاع هب كاتب جريدة « الجزيرة » قائلاً : « ليس من صفات الدارس الجاد التحدي السافر لمشاعر من يخالفونه الرأي » .

ويدفعه عداؤه للغة القرآن وللقرآن الذي وصفه الله عز وجل بقوله : (آلر تلك آيات الكتاب المبين انا انزلناه قرآناً عربياً لعلكم تعقلون)[1] يدفعه عداؤه الى ان يقول : « من يقذي عينيه عن العلم والتعليم بالتعصب الاعمى لرأي ما وترك ما سواه والمنافحة عنه لدرجة الاستماتة على اساس اعتقاد ربما يكون به من الخطأ اكثر من الصواب » .

أهؤلاء الذين يدافعون عن لغة القرآن ويقفون صفاً واحداً في وجه اعداء القرآن نفسه اقذوا عيونهم عن العلم والتعليم بالتعصب الاعمى ؟.

اهم متعصبون لرأي « على اساس اعتقاد ربما يكون به من الخطأ اكثر من الصواب » ؟.

ان انصار الفصحى على اعتقاد جازم بأن دعاة العامية يريدون هدم الفصحى ليعزلوا القرآن عزلاً ثم يعبثون به فيترجمونه الى العامية ، وبنوا اعتقادهم على كلام دعاة العامية انفسهم ، فلويس عوض يقول ما نصه الحرفي : « ان استخدام اللغة المصرية كأداة للكتابة قد ينتهي بعد قرن او قرنين بترجمة القرآن الى اللغة المصرية كما حدث للانجيل » .

وترجم ولكوكس الانجيل الى اللغة المصرية وهي العامية .

ذلك ما يقوله لويس عوض الذي يتخذه كاتب جريدة الجزيرة حجة في الدعوة الى العامية في مقاله الخسيس ، وإماماً يقتديه مؤمناً به .

---

١ سورة يوسف ١ – ٢ .

فأنصار الفصحى يرون ان نجاح دعوة العامية سينتهي الى العبث بالقرآن عندما يترجم الى لغة الشوارع، ويتعرض للعبث المسشين، ويصبح كالكتب العامية المبتذلة .

وهذه نتيجة تجبر المؤمنين بالقرآن من انصار لغته الى الذب والجهاد دفاعاً عن القرآن حتى يبقى على اصالته اللغوية واسلوبه العربي المبين المعجز لأنهم على اعتقاد جازم بـأن عداوة هؤلاء الصليبيين للإسلام دفعتهم الى هذه الدعوة الخبيثة ليقضوا على القرآن الكريم بالقضاء عـلى الفصحى .

أفهذا الاعتقاد من قبل المؤمنين بالقرآن « اعتقاد ربما يكون به من الخطأ اكثر من الصواب » ؟.

هذا الاعتقاد من قبل المؤمنين بالقرآن مبني على الصواب كله ، ولا خطأ فيه ألبتة ، ومن يزعم أن به من الخطأ اكثر من الصواب انما هو يحارب الله ورسوله ويعتقد غير عقيدة المؤمنين .

واصدار كاتب جريدة الجزيرة حكمه على انصار الفصحى ودعـاة العامية بقوله : « ان الطرفين على خطأ » حكم جاهل متعصب للشر والوثنية .

فأنصار الفصحى عند ما يدافعون عن لغة القرآن ليسوا على خطإ بل هم على الحق كله وعلى الصواب كله وعلى الخير كله .

ويظن كاتب جريدة الجزيرة ان القراء في غفلة لا يدركون ما وراء كلمته هذه ، فهو يتظاهر بقوله : « ان الطرفين على خطإ » ثم يبرىء فيما يأتي بعده من قول جانب دعاة العامية فيبقى الخطأ وقفاً على انصار الفصحى .

والدليل من كلامه ، فهو يقول : « والاهتمام بالعامية من طريق احياء الادب الشعبي سيحقق اهدافاً كثيرة » ويعدد هذه الاهداف ليختمها بقوله : « واخيراً سيقضى على مشكلة الانقسام الذي نتج عن الابتعاد

الواضح بين العامية والفصحى فكان للخاصة ادب .. وكان للعامة ادب..
وكما يقول لويس عوض في كتابه (دراسات في النقد والادب) ص ١٤٣ « ان مشكلة هذا الانقسام الثقافي او الازدواج الثقافي تتجلى في اتساع الهوة بين الادب التقليدي والادب الشعبي ، وبين اللغة الفصحى واللغة العامية ، كأنما هناك ادب للسادة وادب للعبيد ، وهذا من غير شك من رواسب الماضي الحزين الذي قسم الامة الى امتين : امة الخاصة القادرة العارفة بالتراث الرفيع ، وامة من العامة الجاهلة بالتراث الرفيع» .

هذا نص قول كاتب جريدة الجزيرة وهو الذي استشهد بقول لويس عوض من كتابه ، وقد افصح عن اتجاهه افصاحاً ، فهو قد برأ ساحة العامية ودعاتها وانتصر لها ولهم ، لأنه دعا الى العامية دعوة لويس عوض نفسها وهو مدرك خطر هذه الدعوة الخبيثة على القرآن والإسلام .

وما دام وجود فصحى وعامية سبب انقساماً فكان للخاصة ادب وللعامة ادب على منطق كاتب جريدة الجزيرة ، او ادب للسادة وادب للعبيد فلا بد من القضاء على هذا الانقسام .

وطبيعي ان الخاصة او السادة نَدْرة ، والعامة او العبيد هم الاغلب الاعم ، ومستحيل ان يرتفع العبيد او العامة الذين يبلغون عشرات الملايين الى درجة الخاصة او السادة الذين لا يتجاوزون الآلاف فان من الحتم ان يكون الحكم للاغلبية فينزل الخاصة او السادة الى حيث الاغلبية وهم العامة او العبيد .

ومعنى هذه ان نخضع الفصحى للعامية ، ونقبل على القرآن العبث المشين لأن « استخدام العامية ينتهي بترجمة القرآن الى العامية » كما قال لويس عوض امام كاتب جريدة الجزيرة .

ثم كلمة « خاصة وعامة وسادة وعبيد » كلمات لم يعرفها الاسلام الذي سوى بين الناس « لا فضل لعربي على عجمي ولا أسود على أحمر الا بالتقوى » بل هي « شعار » الشيوعية التي تنادي بصراع

الطبقات وتزعم ان غير المجتمع الشيوعي انما هو مجتمع سادة وعبيد ، ولا بد من تحرير العبيد بقتل السادة او التخلص منهم بأي نوع من أنواعه حتى لا يكون في المجتمع الا طبقة واحدة .

وكاتب جريدة الجزيرة وقدوته وحجته لويس عوض يريان ما فيه نقض الاسلام ، فكلمة لويس التي استشهد بها كاتب « الجزيرة » تحمل خبثاً وحقداً على الاسلام وكفراً به ، فهو يقول عن أدب الفصحى الذي يسميه الأدب التقليدي وعن الأدب الشعبي : « وهذا من غير شك من رواسب الماضي الحزين الذي قسم الامة الى أمتين » أمة الخاصة وأمة العامة .

أي ماض هذا الماضي الحزين ؟ انه بلا شك ليس ماضي اللغة الإنجليزية ولا الأمة الفرنسية او أي شعب او لغة او جنس ، بل المقصود به ماضي الاسلام ، ويقبل ماضي الاسلام بالنسبة لحاضره ان يمتد حتى ينتهي الى الرسول صلى الله عليه وسلم .

ولم يكن الناس سواء في المزايا وان كان الاسلام سوّى بينهم في الحقوق والواجبات ، فهناك التفاضل بالتقوى ، ويدخل في هذا المعنى « الامتياز » المبني على الخير والحق والفضيلة والعلم النافع .

وفي كل مجتمع دون استثناء نجد التفاضل بين الناس ، وفي المجتمع الإسلامي وحده نجد الامتياز قائماً على التقوى التي تعد « المثالية » في الخلق الفاضل العظيم .

والممتازون قلة ، فلا بد ان يكون في المجتمع « المحمدي » درجات يمتاز بعضها عن بعض بالتقوى ، ولكنه مجتمع ليس فيه سادة وعبيد ، بل كلهم سادة وعبيد في وقت واحد ، عبيد لله وحده لا لأحد من الخلق مهما بلغ من القوة والجاه والثروة ، وسادة لأن كل واحد منهم يملك نفسه ويملك الموضع الذي يختاره لها .

وما دام هذا واقعاً في المجتمع المحمدي فإننا بطبيعة الحال نجد

الاختلاف في العلم والثقافة بين أفراده ، اذ لا يعقل ان يكون كل أفراد المجتمع علماء او عباقرة ، وما دام هذا غير واقع ، والواقع وجود ممتازين في العلم والأدب والثقافة ، ووجود أكثرية لا تصل درجة الممتازين ، ومن هنا كان خاصة وكان عامة بالمعنى اللغوي لا الاصطلاحي في مذاهب الشيوعية .

العامة هم الأغلب الأعم من افراد المجتمع ، وخاصة وهم الذين اختصوا بالندرة من صفات الفضل ، دون ان يدخل هذا الاختلاف في المساواة التي جاء بها الإسلام من ناحية الحقوق والواجبات ، الحقوق متساوية ، وجميعهم فيها سواء ، والاختلاف في الواجب ، فكلما علا الإنسان في المجتمع المحمدي زادت تكاليف واجبه وثقلت أعباؤه .

ذكرت هذا لأصل الى ان للخاصة على هذا المعنى أدباً رفيعاً هو الذي سماه لويس عوض « الأدب التقليدي » جهلاً منه وحقداً ، وكان العامة مقبلين على ذلك الأدب وما زالوا حتى اليوم مقبلين عليه ، ولما تأخر المجتمع الاسلامي بقي الأدب الفصيح موضع القدر والاكبار ، ولم تحدث العامة أدباً مبتكراً ، بل نقلوا من الأدب الرفيع ما يتفق مع تأخرهم الى لغة مفهومة مع الاحتفاظ للفصحى بالتجلة ، حتى كان لهم أدب شعبي لا يصعب رده الى أصوله من الأدب الفصيح في الأغلب الأعم .

ولولا الإعراب الذي تخلت العامية عنه لما كان هذا التفريق الى هذا الحد الذي انتهى اليه في عصور انحطاط الأدب .

وأخلص من هذا الى انه وصف ماضي الاسلام او ماضي اللغة العربية او الادب العربي الفصيح بأنه « ماض حزين » يقصد منه تجريح الاسلام نفسه .

بل يزعم لويس عوض ان هذا الانقسام — على رأيه — من رواسب الماضي الحزين ، وهذا الماضي — كما قلت — يمتد حتى يصل الى محمد

عليه صلوات الله وسلامه، لان مسألة الانقسام صادرة من تلك الرواسب التي انحدرت من الماضي الحزين .

واذا كان في الحاضر ما يحزن لان فيه أمثال لويس عوض وكاتب جريدة الجزيرة فان « الماضي » الذي يشيرون اليه ويصفونه بأنه « حزين » انما هو « الماضي المشرق » حقاً .

ونعود الى كاتب جريدة الجزيرة لنسمع بقية أقواله وآرائه . فنراه يقول : « الاهتمام بالعامية يجب الا يعني التجني على الفصحى فهي قد نقلت الينا عبر الاجيال الكثير من تجارب الامم والشعوب وحفظت لنا كيفية تطور الانسان ومراحل نموه منذ تاريخ ما قبل التاريخ ، وهي زاخرة بتاريخ وتاريخ ما وصل اليه العقل البشري من الابتكارات والعلوم ، وما جاءت به من القرائح من الآداب والفنون ، ففي كنوزها مناهل عذبة للعلم والمعرفة ، وفي ثنايا صفحاتها سجل خالد لماضينا التليد، لذلك فان الاهتمام بها جدير به ان يتضاعف على شرط الا يعني ذلك اهمال العامية » .

أين القرآن والاسلام في تعداد مزايا الفصحى ، انه يبعدهما عنها ويجعلها مقصورة على ما قصرها عليه ليتم له انكارها والانكار عليها متى أراد ، فاذا تم له هذان الامران تبعها القرآن والاسلام لان الفصحى لغتهما .

وكل هذه المزايا او هذه الدعاية التي تفضل بها على الفصحى مشروطة .

أنت الذي لا مثيل لك في المزايا الحسنة ، أنت كل شيء ، بشرط ان تعطيني روحك ، والا فأنت ساقط مرذول .

اللغة العربية طيبة بشرط ألا يعني ذلك اهمال العامية ، هذا ما يدعيه كاتب الجزيرة ، وتسأله الفصحى قائلة : واذا لم أقبل شرطك فما يكون أمري ؟.

الجواب واضح من سياق كلامــه المشروط ، وإذا انتفى المشروط عليه انتفى الشرط ، وبذلك يقذف بالفصحى ويرفع العامية .

ويزيد في تأييد العاميـة قوله : « والاهتمام بالفصحى يجب ألا يعني إهمال العامية ، فهي لغة التخاطب التي نحتاج إليها في حياتنا اليومية والتي لا نتمكن من التفاهم بغيرها مع الآخرين » .

أهذا كلام عاقل ؟ أصحيح أننا لا نتمكن من التفاهم بغير العامية ؟.

ما الحكم إذا تمكنت من التفاهم بالفصحى مع آخرين يجيدونها ؟ ألا يجوز وإلا كان حتماً مقضياً التفاهم بالعامية .

إن التفاهم واقع بالفصحى بين العرب جميعاً ، بين العلماء والعامــة الأميين ، فخطيب الجمعة بالمسجد الحرام يلقى خطبته بالفصحى في أيام الحج ، ويسمعها المصري والسوري والعراقي والعدني واليمني والحضرمي والسوداني والتونسي والجزائري والمغربي والنجدي والأحسائي والبحراني والقطري والأردني والحجازي والعسيري والمسلمون الذين يعرفون العربية إلى جانب لغاتهم الخاصة بهم فيفهمونها ، وبذلك يتم التفاهم بينه وبينهم بالفصحى العالية .

وإذا اتخذت العامية لغتك المحلية للتفاهم مع غير بني وطنك من العامة كالجزائريين والعراقيين وكنت مصرياً أو سورياً عسر عليك التفاهم، فإذا استعنت الفصحى خف ذلك العسر،وهذا يدل على أن دعاة العامية وفيهم كاتب جريدة الجزيرة يجهلون الواقع نفسه جهلاً مطبقاً فجاءوا يغالطون بجهلهم أنفسهم وغيرهم .

وكل اهتمام بالفصحى مشروط عنده وعند أمثاله ، والشرط ألا تهمل العامية ويسمح لها بالحرية التي تمكنها من رقبة الفصحى لتكسرها كما زعم لويس عوض أنه كسر رقبة البلاغة العربية .

وبعد أن يلزمنا بالعامية «التي لا نتمكن من التفاهم بغيرها مع الآخرين» يقول: « ثم لا ننسى ان اللجوء اليها ممكناً (كذا) أو قد يكون ضرورياً في

بعض الأعمال الأدبية وخاصة في القصة والرواية عندما يصعب على الكاتب أن ينطق أبطاله بالفصحى ، فيضطر الى تركهم يتكلمون باللهجة التي يجيدونها ، ولا يمكن بأي حال أن نطلب الى الجزار أو السائق أو الخباز أو الحمال التخاطب بالفصحى » .

هـــذا الذي يقوله كاتب جريدة الجزيرة ترديد لما سبقه إليه دعاة العامية فجاء الببغاء يردد ما لقنوه ، سبقه متبوعه لويس عوض ، فقد وجهت مجلة « الاذاعة » المصرية في عددها الصادر في ٢٩ — ٨ — ١٣٨٤ (٢ — ١٢ — ١٩٦٥ م) استفتـــاء إلى بعض الكتاب فيهم توفيق الحكيم بعنوان « هل صحيح ... الرواية والقصة القصيرة في محنة » وممن وجه إليه الاستفتاء لويس عوض ، وأجاب بأن قرر أنهما في محنة وعزاها الى اسباب « أهمها ذلك القرار الذي اتخذه ، المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب منذ سنوات بضرورة استعمال اللغة العربيـــة في حوار القصة ، وقصر الجوائز على القصص الخالية من الحوار العامي » .

وكلام الببغاء هو كلام ملقنه لويس عوض ، وكلاهما غالط ، وأحب أن أستدل بالقرآن الكريم — أولاً — ليفيد من ذكره مخدوع بما قيل من قبل دعاة العامية ، وليزداد المؤمنون ثباتاً وإيماناً .

إن القرآن معجز ببلاغته ، وكل بيان لا يذكر عنـــد بيانه الرائع العظيم ، ومع هذا قال على ألسنة أطفال ونساء ورجال وملائكة وأقوام مختلفين كفرعون وهامان كلاماً حكاه القرآن ببيانه المعجز ، وما أكثر هذا الكلام فيه ، وفي مئات المواضع منه : قال ، وقالت ، وقالوا ، وقلن ، وما حكاه القرآن من كلامهم ليس أسلوبهم ، ولكنه أسلوب القرآن المعجز .

ونقول لهذا الببغاء وللويس عوض وأمثالهما : إن أكبر القصاصين في العالم لم يقيدوا أنفسهم بما يريد هؤلاء الأمساخ ، فهـــذا « طاغور » في مسرحياته لم ينطق أبطاله بلهجاتهم ، مع أن فيهم الطفل والمرأة والشاب

والرجل والكناس والجزار والحمال والحفار ، بل انطقهم بالفصحى البنغالية التي لا يجيدها إلا من كان في طبقته ، بل انطق بعضهم بمـا لا يتفق مع أميته وعاميته وحياته ومهنته ، في أسلوب يعد من أرقى مـا كتب في البنغالية .

وعلى سبيل المثال ننقل نموذجاً من حوار يدور بين غلام حفار وامرأة هي بطلة المسرحية المسماة « الزنابق الحمر » .

على المسرح البطلة واسمهـا « نانديني » والغلام الحفار « كيشور » وهذا ابتداء المسرحية :

كيشور : ألديك أزهار يا نانديني ! لقـد أحضرت لك بعضها ، وأكثرت من بعض الألوان .

نانديني : كيشور ، انطلق ، تحرك ، عد الى عملك سريعاً، اسرع ، أرجو أن تعود وإلا تأخرت .

كيشور : يجب أن أختلس جزءاً من وقتي الذي أنفقه في الحفر بحثاً عن الذهب ، لأحفر من أجلك حتى أحضر لك الأزهار .

نانديني : ولكنهم سيعاقبونك اذا علموا بما صنعت .

كيشور : قلت : يجب أن تحصلي على زنابق حمر ، تالله ، ما أعظم سروري لندرتها في هذا المكان . لقد عثرت على شجيرة واحدة من هذه الزنابق، اكتشفتها مصادفة بعد بحثي اياماً ، وهي متوارية خلف تل من النفايات، ومن الصعب العثور عليها في مثل هذا المكان .

نانديني : أرنيها حتى أذهب اليها وأجمع الأزهار .

كيشور : لا تكوني قاسية يا نانديني . هذه الشجيرة سري المصون أضن به على الناس جميعاً ، ولا يهتدي إلى سبيله أحد ،

لقد كنت أحسد بيشو لأنه يستطيع أن يغني لك أناشيد من نظمه . أما أنا ، فأستطيع — الآن — ان أقدم لك الأزهار التي تحبينها لتأخذيها من يدي .

نانديني : آه ، لشد ما يحطم قلبي أن يعاقبك أولئك الوحوش !.

كيشور : تزداد نفاسة هذه الزهور عندي انها تأتيك عن طريق آلامي.

هذا حوار بين نانديني وكيشور الغلام الحفار ، أنطقه طاغور بكلام رائع طريف ، يعجز لويس عوض نفسه أن يأتي بمثل كلام كيشور هذا ، فهي تحذره من عقاب الوحوش رؤساء العمل ، فيجيبها بأن نفاسة هذه الزهور تزداد لأنها تأتيها عن طريق آلامه .

إنه يقبل التضحية راضياً ، ويحتمل العقوبة سعيداً ، لأن أمنية نانديني تتحقق ، وما دامت تتحقق فلا خوف من العقوبة ولا خسارة في التضحية ، وقيمة هذه الزهور تزداد لأنه جهد في سبيل الحصول عليها إلخ .

إن هذه الفلسفة العميقة يتحدث بها غلام حفار ، ولكن طاغور مسكين ، إنه من السادة ، من الخاصة ذوي الأدب الرفيع أو الأدب التقليدي ، وإلا لما أنطق الغلام الحفار الوضيع الأمي الجهول بكلام بلغ في بيانه أرقى الذرى في اللغة البنغالية ، وانتهى في محتواه إلى ما لا يشعر به ويدركه إلا خواص الخواص .

ولكن ، من حظه أنه لم يكن في اللغة العربية وإلا لقنعوه حتى يدموه .

وهل أنطق شكسبير أو برناردشو أبطاله بلهجاتهم ؟.

إن أكبر كتاب القصص والمسرحيات أنطقوا ابطالهم من جزارين وسقائين وكناسين وخبازين وسائقين وحمالين رعاع باللغة العالية التي لا تتاح إلا للأعلين من الأدباء .

ولكن قال أعداء القرآن يجب أن يكون كذا حتى يصلوا الى هدمه

فجـاء الببغـاء يردد مـا يقولون ، ومن ذلك يقول الببغاء كاتب جريدة « الجزيرة » :

« هناك سبب آخر يدعونا للاهتمام بالعامية ربما يكون أهم من غيره، فبها كتب أدبنا الشعبي،وعدم الاهتمام بالعامية يعني عدم الاهتمام بالأدب الشعبي ، والنتائج السيئة لمثل هذا واضحة ، إذ أن الادب الشعبي يحوي صفحات مشرقة من تاريخ نضال أمتنا المجيدة ، وبتقديس أسطورة البطل استطاع أن يكسب أهميته في نظر الكثيرين،وجميع الأمم تهتم بتراثها الشعبي عموماً بما في ذلك الأدب ، لأن هذا التراث يحكي بأساليبه الخاصة قصة الشعب وتتجسم فيه آماله وآلامه وشجونه وشؤونه،فهو أدب الشعب » .

وما أدري أي آداب شعوب الأمة العربيـــة يريد ؟ فإذا كان يريد أدب شعب بلادنا التي تجمع بضعة أقطار وحـَّدها الاسلام وحدة صحيحة فأود أن أعرف أدبنا الشعبي الذي كتب بلغاتها العامية منذ عصور خلت حتى اليوم .

أما ما أعرفه أنا فما دوِّن باللغة العامية يسير ، وأنا لم أفهم كثيراً من الكلمات العامية التي جاءت في شعر البدو العامي ، وغيري مثلي .

وإذا كان يريـــد بأدبنا للشعبي أدب بلادنا فليس في جميعه تاريخ نضال أمتنا المجيدة ، وما كان من شعر إنما صور قتال القبائل بعضها بعضاً ، فهو يصور أسوأ ما مر بنا مما نؤاخذ به ويسيء إلى كرامتنا .

وإذا تجاوزنا عن ذلك كله فما « أسطورة البطل » ؟ وما «تقديسها» ؟ وأين هذا الأدب الشعبي الذي يختص ببلادنا والذي يقول عنه الببغاء : « وبتقديس أسطورة البطل استطاع أن يكسب أهميته في نظر الكثيرين».

إن هذا الببغاء لا يعرف معنى الأسطورة ولكنه لُقـِّنها فجاء يهذي بها دون وعي وفهم ، فنحن ليس لدينا « أساطير » وليس عندنا « أسطورة البطل » التي نقدسها ، ولكن ذلك عنـــد الوثنيين على مختلف دياناتهم وأجناسهم .

تاريخنا الإسلامي مزدحم بالأبطال زاخر بالبطولات ، ولكن ليس فيه « أسطورة » ولا « تقديس أسطورة البطل » وزعم المشركون أن ما جاء محمداً صلى الله عليه وسلم من القرآن (ان هـو إلا أساطير الأولين) .

قال الله تعالى : (ومنهم من يستمع إليك وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفي آذانهم وقرا وإن يروا كل آيـة لا يؤمنوا بهـا حتى إذا جاءوك يجادلونك يقول الذين كفروا إن هذا الا أساطير الأولين)[1].

و (وإذا تتلى عليهم آياتنا قالوا قد سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا ان هذا إلا أساطير الأولين)[2] .

و (وإذا قيل لهم ما أنزل ربكم قالوا أساطير الأولين[3]).

وينكر الإسلام « أسطورة البطل » وينكر – تبعـاً لذلك – تقديس هذه الأسطورة ، فإذا جاء من ينادي بها ويدعو إليهـا أو يختلقها باسم الأدب الشعبي فهو إنما يريد أن يحي من الوثنية ما محاه الاسلام وقضى عليـه ، والاسلام لا يرضى بالأساطير ويحـارب من يريد اختلاقها أو إحياءها .

أما ان أدب الشعب هو الذي يصور الشعب وآلامه وآمـاله وشجونه وشؤونه فبالنسبة لبلادنا كذب ، ويفهم من كلام الببغاء ان هـذا هو وحـده أدب الشعب ، وهو من الأباطيل والأكاذيب ، فالشعب ليس مقصوراً على العامة دون ذوي الامتياز ، وما أشد حقـارة الشعب الذي لا يكون إلا العامة الأميين وحدهم .

وما أحد يطعن الشعب مثل دعاة العامية من أمثال لويس والببغـاء كاتب جريدة الجزيرة لأنهم يجردونه من الممتازين في الأدب والعلم والذوق ،

---

١ الانعام : ٢٥ .
٢ الانفال : ٣١ .
٣ النحل : ٤٨ .

مع ان اولئك وهؤلاء هم الشعب .

وما لنا ولجميع الأمم ، إن عقيدتنا غير عقائدهم ، والأمة الاسلامية هي وحدها صاحبة عقيدة التوحيد الحقة ، وأما غيرها من الأمم فعقائدها – دون استثناء – وثنية باعتراف أقطابها ، فبرتراند رسل أكبر فلاسفة العصر الحديث يذكر في كتابه « تاريخ الفلسفة الغربية » ان المسيحية وثنية ، وبرتراند رسل مسيحي ، ووصف عقيدته بما يعلم عنها بعد درس وتمحيص .

فاذا كنا نقلد كل أمة وجب علينا أن نزوي إسلامنا ونتجرد منه .

واذا عنيت الأمم بتراثها الشعبي الذي فيه الأساطير والخرافات والأرواح والسحر والأصنام والأوثان والكفر والإلحاد والفجور فما يجب على أمة الاسلام أن تكون مثلها .

إن البيغاء يقول : « وجميع الأمم تهتم بتراثها الشعبي عموماً بما في ذلك الأدب » و « فاذا كانت الدولة جادة لتطوير الشعب فان سعيها هذا يجب أن يشمل كل ما يتعلق به من ماض وحاضر ومستقبل،وأدب الشعب فيه ما يمثل الماضي بكل ما فيه من صفحات مجيدة مشرقة نسيها التاريخ فأولاها الأدب الشعبي عنايته ... وما يمثل الحاضر بكل ما فيه من آمال عريضة واسعة ترسم خطوط المستقبل الباسم » .

وطلب البيغاء يذكرني بقوم موسى الألى ذكرهم القرآن الكريم : (وجاوزنا ببني اسرائيل البحر فأتوا على قوم يعكفون على أصنام لهم قالوا يا موسى اجعل لنا إلَٓهاً كما لهم آلهة قال انكم قوم تجهلون) .

رأى الأمم الوثنية واللادينية تهتم بتراثها الشعبي فجاء الى بلد محمد الذي حارب الوثنية واللادينية طالباً أن يكون لنا تراث شعبي نعنى به ، ولو قصر البيغاء الأمر على الأدب وحده لقلنا : لا ضير ، ليَدْعُ ما يشاء فاذا استجاب له مستجيب فهو ومن استجاب له ، أما أن يكون لنا فولكلور فلا .

والمأثورات الشعبية الى عهد قريب في نجد لم تكن خالية من الشرك والوثنية ، « ففي بليدة « الفدا » ذكر النحل المعروف بالفحال ، يأتي اليه الرجال والنساء ويفعلون عنده الأفعال المنكــرة ما لا يقبله الضمير والذوق ، ويرتكبون عنده المنكرات ، ويصلون له ويتبركون به، وتأتيه المرأة التي لم يتقدم اليها خطاب فتعانقه وتبتهل اليه قائلة : « يا فحــل الفحول ، ارزقني زوجاً قبل الحول »[1] .

و في « الدرعية » جبل بسفحه غار يزعم الجهلاء انه لحسناء تدعى « بنت الأمير » يحجون اليه ويستغيثون بها اعتقاداً منهم بأن الفتـاة من أولياء الله الصالحين ، وسبب هذا الاعتقاد الزائغ أن ابنة الأمير خرجت ذات يوم تقضي حاجة ، ولما كانت بالقرب من الجبل أبصر بها شبان فأرادوا بها سوءاً ، ودعت الله أن ينجيها منهم ، فاستجاب لها، وانفلق في الجبل غار دخلت فيه واعتصمت به، لهذا دعاها الناس لتفريج الكرب »[2] .

وغير ذلك كثير ، وكان منذ عصر قريب في عصر الإمام محمد بن عبد الوهاب الذي قضى على هذه الشركيات .

أفنحيي في نجد الفولكلور أو المأثورات الشعبية ؟ وماذا نعد محمد بن عبد الوهاب الذي محا ألواناً زاهية عند المعنيين بالفولكلور ؟ أو أي نظرة ينظرون اليه ؟.

لا شك انهم ينقمون منه ما فعل ؟.

بل محمد رسول الله الذي محا محواً تاماً كثــيراً من الفولكلور الذي يعرف بالمأثورات الشعبية، كسر الأصنام والتماثيل ومحا الصور ومنها صورة إبراهيم عليه الصلاة والسلام وهو يستقسم بالأزلام .

---

١ محمد بن عبد الوهاب للمؤلف ص ٤٥ الطبعة الاولى .

٢ المصدر السابق ص ٤٥ و ٤٧ وقد أشار الى هـذه الحوادث وغيرها ابن بشر وابن غنام في تواريخهما .

فما قول الفولكلوريين ؟.

ان رسول الله محا ألواناً زاهية وتاريخاً رائعاً وآداباً كلهـا الفولكلور الحي ، ولو أبقاها لكانت ثروة فولكورية لا تقدر ، أما وقـد محاهـا فهو في موضع السخط منهم .

واليوم ينادي كاتب جريدة « الجزيرة » بالاهتمام بالعـامية وبالتراث الشعبي عامة لأن لويس عوض فعل ذلك ، والببغاء يتأيد بلويس عوض ويحتج به وينقل أقواله ، ومن هذه الأقوال التي احتج بها كاتب جريدة « الجزيرة » ونقلها قول لويس في كتابه « دراسات في النقد والأدب » ص ١٤٣٠ :

« ولما كان من المحال على الإنسان أن يحيا بلا أدب ، فقـد أنشأ الشعب أدبه في لغته الشعبية ، وطور هذا الأدب وأنضجه جيلاً بعد جيل حتى خرج منه تراث كامل متكامل يكاد يكون مستقلاً تمام الاستقلال عن التراث التقليدي الرفيع ، ويتجلى هذا التراث في الملاحم الشعبية وفي المواويل والأزجال وفي الحواديت وفي الأمثال ، وفي شعر الرثاء المعروف بعديد الندبات . وجملة ما نسميها بالفولكلور الشعبي أي التراث الشعبي المعبر عن شخصية الشعب بكل فضائلها ومساوئها » .

وعلى هذا فالتراث الشعبي (الفولكلور) ليس مقصوراً عـلى الأدب بل يدخل فيه كل ما يعبر عن شخصية الشعب بكل فضائلهـا ومساوئها من أساطير وخرافات وآلهـة باطلة وعادات مرذولة وانتهاك للأعراض والسحر والطلاسم ومختلف الأباطيل والأوهام والضلالات والوثنية والشرك والإلحاد والكفر .

والتراث الشعبي تراث كامل متكامل ، أما الأدب العربي ، أمـا التراث الاسلامي فلا شيء من ذلك ، بل هما منفصلان عن الشعب ولهذا ابتعد عنها وخلق تراثاً جديداً كاملاً متكاملاً .

هذا ما يقولـه لويس عوض وأمثاله ، واستعملت كلمة « خلق »

حكاية لأقوال هؤلاء الوثنيين .

والفولكلور عامة دون استثناء قائم على الأساطير والخرافات لأنه من غيرها يفقد جوانبه المشرقة ، ونحن في بلادنا نخاصم الأساطير والخرافات لأننا مسلمون مؤمنون ، فكيف نغني بالتراث الشعبي ونحييه ؟.

وفي مقال الببغاء كاتب جريدة « الجزيرة » : « والعامية تحتاج إلى جهد كبير لتطويرها » ثم يقول مفصحاً عن أمنيته : « وهذا يحتاج إلى تسخير طاقات كبيرة وتجنيد الدارسين للخوض في هذا الموضوع الشائك الوعر حتى ينهار السد الذي أقامه اللغويون والأدباء الأولون بين الفصحى والعامية » .

هذا ما جاء في مقال الببغاء نقلاً من حجته البالغة لويس عوض ، وهو مؤمن به ، واستشهده ليقنع قراء جريدة « الجزيرة » وما بعد قول لويس قول ، وحسبها وحسبهم أن يقول لويس لتسمع الأمة العربية وتطيع .

المهم أن « ينهار السد بين الفصحى والعامية » لينزوي القرآن أو يبقى كتاباً كأي كتاب ، بل يُمْسَخ مسخاً ، ويعبث به العابثون عندما يترجمونه الى العامية ، فيفقد روحه وجوهره وبيانه ومعجزته .

هذا هو القصد والمراد ، قتل القرآن ، لأن لويس عوض مدرك ما ينتهي اليه اذا ترجم الى العامية ، وقد قال ذلك فيما نقلنا عنه ، مع ان ترجمة القرآن الى أي لغة تفقده بلاغته العليا وبيانه المعجز ، هذا اذا كانت الترجمة الى لغة أدبية عالية ، فكيف اذا تم نقله الى اللغة العامية.

وقد سبق أن نادى بعض أعداء الإسلام من الترك ترجمة القرآن الى التركية قبل عهد الكماليين ، فانبرى الشيخ « جمال الدين أفق » شيخ الإسلام حينئذ وكان العهد عهد السلطان عبد الحميد رحمه الله تعالى،وقاوم فكرة الترجمة وقال ما نصه :

« إن ترجمة القرآن الكريم إلى اللغات الأعجمية ليست سوى مغامرة

تعبث بحصانة هذا الكتاب الكريم ، بل هي خرق لحرمة قدسيته ، وهي – فوق ذلك – غير مجدية ، لأن بلاغة آياته الى حد الإعجاز ، وهذا يجعل ترجمة هذه البلاغة ضرباً من العبث ، ولا سيما الى لغة ضعيفة المصادر ، يرتكز نصفها على الألفاظ العربية ، والربع فارسي وافرنجي ، والربع الباقي هو ما ندعوه بالألفاظ التركية » .

هذا في القرآن اذا ترجم للتركية التي بها روائع في الآداب ، فكيف اذا ترجمه لويس عوض الى العامية ؟.

إن « مخطط » الاستعمار واضح لا غموض به ولا لبس فيه ، فقد صمموا على أن يجعلوا العامية لغة العلم والكتابة ، ليتم لهم عزل القرآن وإضعاف الإسلام وتخريب العقيدة، والذين قاموا بدعوة العامية هم غرباء عليها وعلى الفصحى ، فسبيتا ألماني ، وفولرس ألماني ، وولكوكس انجليزي ، وكذلك ولمور القاضي ، ودوفرين ، وغيرهم ، بل أراد بعضهم اتخاذ القوة لفرضها ، وهذه القوة يجب أن تكون قاهرة متسلطة.

فاللورد دوفرين السياسي البريطاني كتب تقريراً لوزارة خارجية بريطانيا بصدد لغة مصر العربية وطلب تدوين العلوم وجعل الكتابة باللغة العامية .

وإذا كان دوفرين يطلب إلى خارجية إنجلترا اتخاذ السياسة ولا بأس من الاستعانة بقوة السلطة لتمكين العامية فهو مستعمر وعدو مبين،ولكن مجلة « المقتطف » التي تصدر باللغة العربية في القاهرة نشرت في أحد أعدادها سنة ١٩٠١ تقريظاً لكتاب « ولمور » القاضي الانجليزي جاء فيه:

« وكثيراً ما قلنا للأوربيين والأمريكيين الذين ذاكرونا في هذا الموضوع ، وإنه لو اهتم محمد علي باشا جد العائلة الخديوية بكتابة اللغة المحلية في مصر والشام وجعل الكتابة بها وحدها لما وجد في ذلك كبير مشقة » .

فالأوربيون والأمريكيون والمقتطف – وصاحباها مسيحيان – مهتمون باللغة العامية كل الاهتمام ، ويريدون أن تكون وحدها لغة الكتابة وليس غيرها ، وقول المقتطف للمستعمرين الأوربيين والأمريكيين ما ذكرنا

نصه دليل على أن مخططاً موضوعاً للتنفيذ ، وبعد أن اخفق جهد سبيتا وفولرس وولمور وولكوكس ودوفرين لم يسأموا أو يملوا .

بل أبصروا كل الجهود لم تنته إلا الى الفشل والإخفاق ، وقد حمل المستعمرون والمبشرون كارلو لندبرج المستشرق الأسوجي الذي سمى نفسه « عمر السويدي » مؤلف فهرست المخطوطات العربية المحفوظة في مكتبة بريل في ليدن ، حملوه على أن يدعو إلى العامية ، فقدم في مؤتمر اللغويين المنعقد في ليدن سنة ١٨٨٣ م تقريراً مفصلاً في اتخاذ اللغة العامية لغة الكتابة في العالم العربي .

ولم يُحْمَلْ لندبرج على شيء لا يؤمن به ، بل صادف دفع المستعمرين اياه هوى في نفسه ، فدعا الى العامية وقدم مقترحاته وآراءه التي تحقق سيادة العامية وغلبتها على الفصحى .

وحضر مؤتمر اللغويين مستشرقون أيدوا لندبرج ، ولكن جهودهم جميعاً لم تثمر ، ورأت المقتطف ذلك فعزّ عليها ألا تنجح العامية وألا ينتصر دعاتها ووراءهم الأوروبيون والأمريكيون الألى تحدثت اليهم مجلة « المقتطف » باعترافها ، ورأت رأياً خطيراً ، وهو أن العامية لا يمكن أن تنجح وتصبح لغة الكتابة وحدها « الا اذا تسلطت على البلاد قوة قاهرة عضدت الساعين في ضبط العامية المحلية وكتابتها » .

وهذا الرأي تحدثت به المقتطف للأوربين والأمريكيين في الوقت الذي كان الاستعمار يجثم على العالم ويملك أضخم قوة على وجه الأرض، وآمنوا بآرائها ، ووقفوا على رأي دوفرين ولندبرج وولكوكس الذي طلب من الحكومة المصرية ومن عميد انجلترا في مصر اللورد كرومر (١٨٤١ — ١٩١٧ م) أن تعترف الحكومة المصرية بالعامية ، وأن يدعم الانجليز هذه العامية .

وأعجبهم هذا الرأي ، فوضع الاستعمار على يد دنلوب سياسة التعليم حتى يحولوا بين الناشئة واللغة العربية فضيقوا على علومها الخناق ، وقللوا

حصصها وحصص القرآن والدين ، وزحموا كل ما يتصل باللغـة والدين بعلومهم ، ونفذوا الخطة هكذا ، حتى عم منهج دنلوب العالم العربـي اليوم مع بعض التفاوت في تطبيقه بين البلدان العربية .

وأما الفرنسيون فقد حاربوا القرآن واللغة العربية حرباً شديدة، سالت فيها دمـــاء الآلاف وعشرات الآلاف من العرب المسلمين ، حتى أنني عندمـــا قابلت الزعيم الجزائري فرحات عباس – وكان رئيساً لحكومة الجزائر الموقتة – وجدته يتحدث العربية العامية بصعوبة وعسر بالغين ، وأخيراً كان بيني وبينه من يترجم .

واعترف الزعيم الجزائري أن عجزه بسبب الاستعمار الفرنسي ،وكذلك الأمر بالنسبة لشعب تونس وشعب المغرب وشعب الجزائر . فقد أضعفوا اللغة العامية العربية لهذه الشعوب ، ومـا تزال آثار إرهابهم واضحة في لسان الشعب الجزائري حتى اليوم .

وقال صنائع الاستعمار والمبشرين من أمثال سلامة موسى ومارون غصن مـــا قاله سادتهم ، وأخيراً جاء لويس عوض وكاتب جريدة الجزيرة « المسلم » الذي تكهن بظهوره ليردد أقوال من سبقوا من أعداء القرآن .

وأفصح لويس عوض كل الإفصاح عما يريدون ان يفعلوا فقـال : « وهذا يحتاج الى تسخير طاقات كبيرة وتجنيد الدارسين للخوض في هذا الموضوع الشائك الوعر حتى ينهـــار السد الذي أقامه اللغويون والأدباء الأولون بين الفصحى والعامية »[1] .

انهيار السد هو المطلوب ، وعندما ينهار تنتهي الفصحى ويتبعهـــا القرآن والحديث وكل التراث الإسلامي العربـي .

ويجب أن نبحث : أصحيح أن السد أقامه اللغويون والأدباء الأولون؟.

---

١ هذا ما يقوله لويس عوض ، ويستشهد به « المسلم » كاتب جريدة « الجزيرة » .

والجواب الذي لا جواب سواه ان هذا السد قائم ، وليس اللغويون والأدباء الأولون وحدهم اقاموه ، بل اساس هذا السد « القرآن » اولاً وحائطه « القرآن » نفسه ، ومن هذا القرآن الكريم العظيم انبثق الحديث الشريف والنشاط اللغوي كله ، وبلغة القرآن تحدث الأدباء وكتبوا .

فانهيار السد انهيار للقرآن اولاً واخيراً ، وهذا ما يريده لويس عوض وكاتب جريدة الجزيرة .

فاذا ثار أنصار الفصحى وخاضوا المعركة زعم ببغاء « الجزيرة » ان ذلك « صراع الديكة » وحمل عليهم وسخر بهم .

وهو يريد ان نخلي الميدان لينهار السد أو يهدمه هو وأمثاله ، ولكن المعركة اللغوية معركة حيـــاة او موت ، ولن يكون الموت من نصيبنا بإذن الله ، لأن الله يحفظ قرآنه وينصر حزبه ، ونحن حزب الله !.

والسد لن ينهار ما دام القرآن باقياً ، وسيبقى القرآن حتى يرث الله الأرض ومن عليها .

ولويس عوض يدعو دولته لمساندة الفصحى في جملة نقلهـــا ببغـاء الجزيرة الى مقاله وهي : « مساندة الدولة التي بإمكانها تكليف القادرين لإخراج البحوث والدراسات الجادة ، ليس في المجـال النظري فقط ، ولكن في المجال التطبيقي أيضاً » .

والببغاء يقول في مقاله : « اذا كانت الدولة تسعى جـــادة لتطوير الشعب فإن سعيها هذا يجب ان يشمل كل ما يتعلق به من ماض وحاضر ومستقبل ، وأدب الشعب فيه ما يمثل الماضي ... وما يمثل الحاضر بكل ما فيه من آمال عريضة واسعة ترسم خطوط المستقبل » .

النغمة واحدة ، والمطلب واحد، انهما يريدان ما أراد اللورد دوفرين وما أرادته مجلة « المقتطف » وهو تسلط قوة قاهرة ، فلويس عوض يطلب الى دولته المساندة ، وببغاء الجزيرة يشترط ان يتجه سعي دولته الى ادب الشعب وإلا فليس لها سعي تطوير الشعب .

اذا كان سعي الدولة جاداً لتطوير الشعب فيجب ان يتناول الأدب الشعبي وإلا فلا تطوير في رأي الببغاء .

وإن انصار الفصحى يخوضون المعركة وهم يزدادون على مر الأيام عدداً وعدة وأيداً ، لأنها معركة حياة او موت ، ويجب على الدولة ان تتنبه لما يراد بها وبدينها قبل ان يخرج الأمر من اليد فيستحيل تداركه.

وبرهنت الفصحى على انها اقوى من خصومها دائماً وانتصرت عليهم ومشت حيث تخلفوا .

وببغاء الجزيرة غير امين ، فهو يعرف ان ما كتبه لويس عوض عن الثقافة الشيوعية التي يسميها « الاشتراكية » والجملة التي استشهد بها مقطوعة من مقال بعنوان « الثقافة الاشتراكية » وبعدها هذه الجملة :

« وأول مظهر من مظاهر اشتراكية الثقافة هي اعتراف الأدب الرسمي بالأدب الشعبي ، فالاعتراف بأدب الشعب هو اعتراف بالشعب ، ولا يفهم كيف تتفق إقامة مجتمع اشتراكي ، الشعب فيه ركن ركين ، ولا يعترف فيه بثقافة الشعب وادبه وسائر فنونه » .

إن لويس عوض يكتب ما يكتب من وجهة النظر الشيوعية ، وببغاء الجزيرة يستعير منه ذلك المنظار إما جاهلاً وإما عالماً ، ويريد ان يكون نظامنا مثل النظام الذي يعيش في ظله لويس عوض ، ذلك النظام القائم على اساس الماركسية .

انه يريد ان تكون ثقافتنا اشتراكية، وكل اشتراكية في العالم صادرة عن الماركسية ، وعندئذ نفقد قرآننا وإسلامنا .

وهذا ما يريده الوثنيون والشيوعيون الذين خرجوا من امتنا وديننا ، ولكن لن يستطيعوا ان يبلغوا مأملهم الخبيث لاننا لهم بالمرصاد ، والله ناصر حزبه ، ومتم نوره ولو كره الكافرون .

انكار الادب العربي وجحوده

إنكار سلامة موسى وأمثاله الأدب العربـي أصبح إثباتاً وإكباراً بالنسبة لجحوده من قبل بلاد الأدب العربـي ، ومن قبـل كاتب مجهول دعي جهول وجد في جريدة من الجرائد مجالاً للعبث فأخذ ينشر في صفحـة الأدب التي يحررها ويشرف عليها قذره وقذر أمثاله من أدعيـاء الأدب والفكر الألى ما كانت صحف الأفراد تنشر لهم فجاءت صحف المؤسسات تبرزهم إبرازاً وتنشر نتاجهم المنحط والوثني في أبرز الأمكنة .

هذه الجريـدة — مع الأسف — جريدة « الجزيرة » ففي العدد ٦٥ الصادر في يوم الثلاثاء ١٠ جمادي الثانية ١٣٨٥ هـ (٥ اكتوبر ١٩٦٥ م) صفحة ملئت قذراً وأكاذيب وأباطيل ، هي « صفحة الفكر والأدب » .

ونقف هـــذا الفصل لإحـدى الكلمات المنشورة بها ، وهي بعنوان « هذا الأدب المسكين » وتحته عنوان أصغر منه خطاً وهو « هل لدينا أديب متكامل ؟ ... » وهو بقلم « المحرر » الذي سكتُّ عن ذكر اسمه تنزيهاً لكتابي من أن يحوي قذراً كما نزهته من ذكر زميله الببغاء .

وما كتبه هذا « المحرر » غاية في السخف والثرثرة والجهل بالفنون والعلوم والآداب عامة ، ويدل على أن كاتب هذه الكلمة بلغ في فساد الذوق ومرض الملكة ومسخ البصيرة المبلغ الذي يتفرد به دون أمثالـه

من مرضى الذوق والنفس والخلق والعقل والشعور .

ومع كل هذا يصدر على الأدب العربي كلـه حكماً لا يمكن لأي أحد من اعظم الأدباء أن يصدره ، بل لا يصدر حكماً كهذا الا مخبول وشيوعي قذر جهول .

يقول صاحب هذه الكلمة الذي وضع في آخرها كلمة « المحرر » :

« لست مبالغاً إذا قلت،إن الأمة العربية لم تحظ في عصرها الحاضر، بأديب متكامل واحد يستوي مع ما يجب أن يكون عليه الأديب،من تمكن في اللغة ، والفلسفة ، وعلم الجمال ، والثقافات الأدبية الأخرى ، وعلم الخرافات ، ولا أكون مبالغاً أيضاً إذا قلت ، إن الأمة العربية في كافة مختلف عصورها الزاهية ،لم تحظ بغير (ا. ج. عثمان الجاحظ) فقط » .

هذه الجملة أول كلمة « المحرر » وهي خارجة عن قوانين العربيـة وذوقها وفنها ، فالأسلوب غاية في الركاكة ، وتركيب الجمل مختل مثل كاتبها،والمحتوى مضطرب خسيس حقير،والمدلول تنفج وادعاء وافتراء .

إنه « مخبول » حقاً ، وآية الخبل هذا الكلام الذي قاءه وقذف به في صفحة «الجزيرة» مباهياً مفتخراً .

هذا الزعنفة المخبول يقول في كبرياء الجهلة المخبولين : « إن الأمة العربية لم تحظ في عصرها الحاضر بأدب متكامل واحد الخ » بل يدعي « بأن الأمـة العربيـة في كافة مختلف عصورها الزاهيـة لم تحظ بغير (ا. ج. عثمان الجاحظ) فقط » .

وفي هذا الجحود علامة على خبله ، فالجاحظ ليس أعظم أدباء العربية ومفكريها طراً،واننا درسنا كل ما طبع من مؤلفاته وكثيراً من المخطوطات التي يُنسب اليه تأليفها ، ورأينا فيه أنـه يشبـه « الصحفي » الممتاز ، ونعرف من غلطاته الأدبية والفنية والفكرية واللغوية ، ومن غلطاتـه في الدين وفي العلوم الشيء الكثير .

ومع هذا نعرف للجاحظ قدره وفضله في الأدب العربي ، ولكنـه

ليس الأوحد الذي ليس سواه في عصور الأمة العربية كلها، وإذا قلت : انه يشبه الصحفي الممتاز في كثرة معلوماته وغزارة علمه فإن الجاحظ ينقص عنه في استطاعة كتابة البحث الدقيق المطول البليغ في أسلوبه ومحتواه .

وإذا أراد الجاحظ أن يكتب كتاباً مطولاً يرقى إلى مرتبة البحث الرائع البليغ عسر عليه الاحتفاظ بسلامة البناء في جميع فصوله وصفحاته، فيضطر إلى اتخاذ أسلوب كأسلوب الجرائد .

أما الحيوان والبيان والتبيين – وهما أعظم كتبه – من أعظم كتب الأدب ، ويذكر له فضل الذوق في الانتقاء وحسن الاختيار، وإن كان رأيه الذي رآه في البلاغة يهدم مزيته .

إنه يرى أن المعاني ملقاة في الطريق يلتقطها الناس على اختلاف درجاتهم وطبقاتهم ، والفضل للأسلوب وحده .

وهو رأي فائل مثل كثير من آرائه ، فقيمة المضمون عنده هابطة وميزانه خفيف ، ولا فضل إلا للأسلوب أو الشكل ، مع أن الرأي الحق أن يكون الأسلوب كفاء المضمون ، يجب أن يكونا رائعين ، لأن هبوط قيمة المعنى يفقد الشكل قيمته ، وليس المعنى كما تصور الجاحظ من الابتذال بحيث يكون ملقى في الطريق .

ونحن لا نريد أن نناقش الجاحظ ، بل نريد أن يفهم هذا المخبول ان الجاحظ ليس الأديب الأوحد في اللغة العربية !.

وما ثم إنكار للأدب العربي كله وفي « كافة » عصوره الزاهية مثل ادعاء تفرد الجاحظ وحده دون أن يكون له شريك ، بل لم يشتم أحد الأدب العربي ويمرغه في الوحل مثل هذا المخبول الذي يدعي أن الجاحظ هو الوحيد الذي حظيت به الأمة العربية في كل عصورها الزاهية.

وما ثم هوانٌ للغة القرآن أبشع من ادعاء هذا المخبول ما ادعى ،

فما قيمة اللغة العربية إذا لم يكن فيها غير فرد واحد هو الأديب المتكامل، ومن عداه ليسوا بشيء .

وأحسب ان هذا المخبول لا يريد مدح الجاحظ لأنه يجهله جهلاً مطبقاً ، بل يريد أن يتهم اللغة العربية والأدب العربي والأمة العربية بالعقم الذي لا عقم مثله في الدنيا منذ كانت حتى اليوم ، وهو اتهام لم يجرؤ أن يرسله أشد أعداء لغة القرآن وأدبها وأمتها ، بل الشيوعيون أنفسهم لم يجرؤوا على مثل هذا الخبل وان كانوا في « قاموسهم » جحدوا وجود الله واتهموا الرسل وسبوا الإسلام .

إن هذا المخبول ليس ذا ذوق ولا علم ولا خلق ولا أدب ، لأن من يرسل هذا الحكم على أمة القرآن كلها لا يمكن إلا أن يكون ممروراً وعدواً للقرآن ولغته .

إنه عبد ذليل لقوى الشر المتمثلة في الصهيونية والاستعمار والشيوعية، وأبصر أهليهن وعملاءهن ينكرون على الأدب العربي بعض ما يرونه لفساد ذوقهم عيوباً ونقائص ، وينكرون على اللغة العربية الفصحى صلاحها لأن تكون لغة الحضارة والعلم لأنها ابنة البدو والصحراء فجاء التابع الذليل واتهم الأمة العربية كلها بالعقم لأنها لم تنجب في عمرها الطويل إلا فرداً واحداً هو الجاحظ .

ويستبد بالمخبول خبله فيقول :

« وهذا (أي الجاحظ) قلم غريب على الذين يعتقدون أن الأدب (إلمام من كل فن بطرف) كما يقول القدامى ، أو انه مجرد حشو دماغ بمئات القصائد والحكم والطرائف ، ولربما يقفز إلى الذهن ، أدباء العربية الباقون ، كابن المعتز ، وابن قتيبة ، وقدامة بن جعفر ، وعبد القادر الجرجاني ، وغيرهم من القدامى ، كما يبرز الرافعي ، والعقاد، وطه حسين ، والمازني ، والزيات ، وغيرهم من المتأخرين ، كما ويبرز بين هؤلاء وهؤلاء كثيرون من الذين نسميهم أدباء تجاوزاً ؟

« بحكمنا مريدون للجاحظ وحده — دون غيره — نستطيع ان نتجرد من العاطفة جانباً لنقول لهذه الكوكبة من ادباء العربية ان المعرفة الحاضرة المعاصرة ، بما فيها من دقة وتركيز أثبتت أن مقومات الأديب لم تعد مجرد (الالمـام من كل فن بطرف) وإنما الإلمام بكل علم وفن يتصل بالادب من قريب أو بعيد ، على أن يكون الماماً كافياً دقيقاً ولعلنا لا نستطيع أن نوفي الموضوع حقه ، بغير نموذج واحد يمدنا بالمجهر الكبير الذي يكشف لنا أدباء العربية على حقيقتهم ،فمثلاً قضية (الفصحى والعامية) أو على الأصح قضية اللغة العربية ، نجد أدباء العربية وعلى رأسهم المرحوم العقاد ، وطه حسين وغيرهم كثيرون — لا يعرفون عن اللغة — إلا أنها (لغة فكر) ومن مزاياها الكثيرة التي لا توجد في أية لغة التشقق أو الاشتقاق — وفيها فلسفة وطراوة وجمال واشراق ، وانها لغة الحاضر والمستقبل ، مع اقتناعي بفعالية اللغة العربيـة الا أن هؤلاء لم يضيفوا شيئاً جديداً على ما وضعه بن جني وبن خروف وبن عصفور وغيرهم .. وإذا تساءلنا عن الشيء الجديد عندهم .. فليس سوى مجرد ثقافة مصطرفة عن علماء الغرب في علم اللغة الفسيولوجي ». وعلم اللغة الصوتي ، وعلم اللغة النفساني ، والاجتماعي ، والدليل على أن هؤلاء الأدباء يصطرفون هذه الآراء ، أو يسرقونها من الغرب — ان طه حسين ، وهو أوسعهم في الثقافة اللغوية المنوعـة ، لا زال مضطرباً في أحكامه اللغوية » .

معذرة إلى نفسي وإلى القراء إذ نقلت لهم كلام هذا المخبول الركيك الساقط المتهدم ، ويعلم الله اني مـا احب ان أؤذيهم وأن أؤذي نفسي بهذا القذر أعرضه ، ولكني مضطر اضطرار من ينقل نوعاً من القـذر إلى المختبر ليكشف ما فيه من « جراثيم » .

معذرة إذا نقلت لهم القذر بنصه وعلامات ترقيمه وخطئه الإسلامي والنحوي والصرفي واللغوي ليعلموا نكبة الأمة العربية بهؤلاء الأقذار .

إن المخبول يزعم انه « مريدون للجاحظ وحده — دون غيره — » وهو يجهل الجاحظ وأدبه ، اذ لو كان يعلم شيئاً عنه أو عن أدبه وكتبه ورسالاته لما تجنى على العقاد وغيره من قدامى ومحدثين، ولو كان الجاحظ حياً وعاصر العقاد أو طه لمشى على قدميه يتلقى منه العلم والأدب ، وجلس منه مجلس التلميذ الصغير .

العقاد وطه وغيرهما لا يفهمون أو على كلام المخبول « لا يعرفون عن اللغة الا أنها (لغة فكر) » .

هذا كلام المخبول ، وما يقول هذا الكلام في العقاد إلا مخبول لا حدّ لخبله .

من يعرف العربية على انها لغة فكر ووجدان وشعر مثل العقاد .

وطعن المخبول العقاد له قصة يجب أن يعلمها القارىء، فقد كنت في مكتبة « دار اليقظة العربية » بدمشق في يوم الاثنين ١٨ جمادى الأولى ١٣٨٥ (١٣ سبتمبر (أيلول) ١٩٦٥ م) ولقيت بها أستاذاً جليلاً تحدثنا في أمور كثيرة .

تحدثنا في تاريخ الأدب الحديث في السنوات الأخيرة المليء بالغرائب والعجائب ، وقال هذا الأستاذ الجليل :

« حقيق أن يسمى عصرنا هذا عصر الرعاع والطغام كما تسميه ،فقد اجترأ كل من يستطيع أن يمسك بقلم على اقتحام حرمه مدعياً انه النابغة ، أو مدعياً له أصحابه الهلافيت انه العبقري الفاذ ، وهو يصفهم بصفات التبريز والتفوق والكمال .

« ومن سوء حظ الأدب والأخلاق ان يملكوا وسائل النشر كالصحف والمجلات بمساعدة قوى الشر ، فيتقارضون الثناء ، ويتبادلون المديح والإطراء ، وكل منهم يرفع مقام الآخر خداعاً للقراء وتضليلاً ، وإن في العالم العربي لقراءً خالي الذهن ، وفيهم من لا يقدرون على التمييز

بين الزائف والصحيح ، والحق والباطـل ، ويخدعهم هؤلاء المجرمون « الأوباش » بما يزخرفون من الباطل .

« ولم يقف الأمر عند هذا الجد،بل اتخذوا سلاحاً خطيراً هو إنكار المثل الرفيعة والامتياز،وتحطيم أصحابهما بتشويه السمعة وتلفيق التهم عليهم ورميهم بقذائف السباب والمنكر .

« ومذاهب الهدم التي بناها أبالسة الشر من قذارات البشرية الساقطة والحيوانية الخسيسة وضعت قواعد لتحطيم المثل العالية والقيم الرفيعة والامتياز العقلي والخلق وكل امتياز في خصومهم بتشويه السمعـة وتحطيمهم بكل وسيلة قذرة .

« مثلاً ، عباس محمود العقاد ، أديب العربيـة في هذا العصر ، وقلعة شامخة من قلاع الفكر الإسلامي ، وقوة جبارة في وجـه أعداء الإسلام والحق والإنسانية وكل القيم والمثل الطيبة تمحقهم محقاً ، وأرادوا شراء قلمه فأخفقوا ، ثم اتخذوا أساليب كثيرة لم تستطع الى استعباد قلمه سبيلاً ، وإذا كثرة العروض وسيول الوعيـد والتهديد تزيده جبروتاً وثباتاً،فقابلوه بأن أطلقوا كلابهم تعيث في الصحف والمجلات والإذاعات نباحاً فارتدت اليهم كلابهم لاهثة تتردى في مهاوي الخزي .

« أما وقد مات العقاد — يرحمه الله — فإن عداء عباد مذاهب الشر والكفر اشتعل في أقطار العروبة والإسلام وانتهوا إلى محاربة العقاد وتشويه سمعته وتشكيك المسلمين والعرب في قدرته القادرة وعبقريته السخية المعطاء وذلك باتهامه بالرجعية والجهل في كل علم ، حتى اللغة العربية التي كان فيها إمامها في هذا العصر .

« نعم ، حتى في اللغة العربية ، اللغة التي يعد العقاد فيها من أعظم من يفهمونها منذ كانت العربية ، وندر من يفهمها فهمه .

لقد ظهر من يدعون أن العقاد جاهل في العربية » .

وذكر لي هذا العالم العظيم ما يؤيد قوله ببراهين لا شك فيها ، ومما

ذكر صحف تصدر بالعالم العربي وفي أقطار اسلامية تتولى تشويه سمعة العقاد الأدبية والفكرية والعلمية .

وقال : « ليس من المصادفة أن تشن الحرب على العقاد في كل مكان في كل العواصم والمدن الهامة العربية والإسلامية في وقت واحـــد ، ظناً منهم ان هذه الحرب ستقضي على حفاوة العرب والمسلمين – إلا الشواذ وعملاء الشيوعية والاستعمار – بالعقاد وآثاره بعد موته ، وستمحو ذكراه العطرة في كل مكان .

« أرادوا أن يقابلوا مجد العقـــاد بحرب تقضي عليه ، وابتغوا أن ينتزعوا من ملايين المعجبين، وبكتبه الأدبية والفلسفية والاسلامية إعجابهم به وقدرهم إياه وإكبارهم له فوصفوه بالجهل والخبط والخلط والرجعية والسلفية حتى انتهى بهم الأمر إلى اتهامه بجهل العربية .

« مات العقاد فظهرت الثعابين من جحورها تنفث السم ، فقد علمت أن نعل العقاد ذهبت بذهابه ، ففي جرائد الشيوعيين وفي بلدانهم تهجم على العقاد وتجن على أدبه وعلمه وفضله واتهام لشخصه بالنقائص والعيوب وكذلك في صحف مأجورة أو مملوكة لعملاء الاستعمار والشيوعية وأذنابهما تصدر باللغة العربية في بلدان عربية ، وتصدر بلغات مختلفـــة في أقطار إسلامية مختلفة .

« أهذه الحرب المعلنة من جميع هذه الأقطار مصادفة ؟ كلا ، إن هناك تدبيراً محكماً،وصدر الأمر الى الكفرة والشيوعيين والعملاء والأذناب أن يعلنوا الحرب فأعلنوها ، وذلك منذ مات حتى اليوم .

وهؤلاء المجرمون إذ يحاربون العقاد زعموا – كعادتهم – أن الغيرة على الحريـــة والآداب والفنون هي التي تدفعهم الى نقد العقاد ، كأن المثقفين والواعين بلغوا من فقد الإدراك والتمييز الى الحد الذي لا يفرقون فيه بين النقد الأدبي والحرب الإجرامية » .

هذا موجز ما قال العالم الجليل ، وقد تحدث عن نشاط مذاهب الشر والكفر والهدم في أقطار العروبة والإسلام ، وذكر أنها أرسلت أبالستها الى هذه الأقطار لتنفذ هذه الأبالسة مخطط الشياطين ، ويعطون عملاءهم «التعليمات» ليشعلوا نيران الفتن بمختلف الأساليب أو يدسوا الدسائس وينشروا ما يزعزع الثقة في الأعلياء بنقدهم وجحود آثارهم وإنكار فضلهم .

سمعت هذا وغيره من العالم المفكر السوري ؛ وكنت أعلم ببعضه ، فإذا عدت إلى بلدي أخذت أمر بالصحف السعودية التي صدرت في غيابي وكانت تُجمع لي ، فإذا ما قال المفكر السوري حق وواقع ، ووجدت ما صدق قوله .

لقد رأيت الحرب معلنة على الأمة العربية والأدب العربي واللغة العربية في بعض هذه الصحف ، وشهدت الحرب معلنة على العقاد من قبل ذلك المخبول المجهول الأرعن الذي لا يحسن كتابة سطر ولا النطق بجملة نطقاً صحيحاً .

إن من أبشع الهزل الهازل ان يعطى مخبولون مهاويس لا يحسنون كتابة سطر ولا النطق بجملة مكونة من بضع كلمات حق القول بل الحكم على الأدب والعلم ولغة القرآن وهم ليسوا إلا مطموسين جهلة .

وبلغ بهذا الجاهل المخبول «المحرر» بصفحة الأدب بجريدة «الجزيرة» أن يعطي نفسه حق إصدار حكم على الأمة العربية والأدب العربي واللغة العربية ويزعم في وقاحة قذرة «أن الأمة العربية في كافة مختلف عصورها الزاهية لم تحظ بغير (ا. ج. عثمان الجاحظ) فقط » .

أي لغة هذه التي لا تحظى إلا بكاتب واحد (فقط) انها لغة ميتة لا قيمة لها في الوجود الإنساني والحياة الإنسانية، وهذا ما يريد أن يصف به المخبول « المحرر » بجريدة « الجزيرة » لغة القرآن .

بهذا الجهل والخبل والبهتان وفقد البصيرة وفساد الذوق وبكل صفة

شنيعة يتصدر هذا الجاهل المخبول لإصدار هذا الحكم على لغة القرآن التي أنجبت في كل علم وفن وفي كل سبيل قويم آلافاً وآلافاً أحدهم الجاحظ وليس خيرهم ، بل يفضله آلاف .

وأدركت ان ما تحدث به المفكر السوري حق ، فها هي ذي القوى الشريرة في بلدنا المقدس ، بلد لغة القرآن : اللغة العربية ، أصل الأمة العربية .

ها هو ذا مخبول من مخابيلها يصول ويجول في جريدة « الجزيرة » العربية المسلمة ويستخدمها لنشر أباطيله وأكاذيبه وخبله خدمة لمذاهب الهدم والتخريب التي تجحد مزايا ديننا وعروبتنا وتراثنا .

إننا نعرف أن اللغة العربية وتراثها الإنساني يتعرضان لحرب ضروس قاسية عنيفة يراد منها هدم القرآن والإسلام بإنكار مزايا الأمة العربية في « كافة » عصورها الزاهية ، واتهام اللغة شر اتهام ، ليثب كالقردة إلى إنكار مزايا القرآن العربي (إنا جعلناه قرآناً عربياً) ومزايا الإسلام الذي عرفه القرآن القرآن العربي .

وإذا تساهلت البلدان العربية مع مذاهب الباطل في مثل ما نشره المخبول « المحرر » بجريدة « الجزيرة » فإن من الفرض على بلادنا ألا تتساهل، بل البلدان العربية لا تتساهل فيما هو أدنى من ذلك وأهون شراً .

ففي مصر نشر « لويس عوض » الذي مر ذكره فيما سبق من صفحات هذا الكتاب ما هو أهون من كلام المخبول « المحرر » بجريدة الجزيرة فانبرت له أقلام قرآنية ترد إليه باطله ولا تخشى إلا الله .

انبرى الكاتب القرآني الإمام محمود محمد شاكر فنشر ما يملأ مئات الصفحات من كتاب كهذا في مجلة « الرسالة » في سنة ١٣٨٤ هـ (١٩٦٥ م) يظهر للملأ أباطيل لويس عوض وحقده على القرآن والإسلام ومحمد عليه الصلاة والسلام ويرد إليه قذائفه مصحوبة بقذائف أشد.

وإذا عارضنا ما كتبه لويس عوض بما كتبه المخبول محرر جريدة

الجزيرة ظهر أن ما كتبه لويس لا يذكر بجانب ما كتبه هـذا المخبول الأثيم .

ومن المؤسف أن يمضي على كلمة هذا المخبول أكثر من ثلاثة شهور ولا ينهض قـلم واحد للدفاع عن لغة القرآن والأدب العربي والأمة العربية .

لماذا ؟ لست أدري !.

بل أحسب أن سبب سكوتهم الخوف من نبـاح الكلاب المسعورة وهرطهم ، ولكنهم ملومون أشد اللوم .

وماذا سرق العقاد من الغرب ؟.

إن المخبول لص حقير ويتهم امام العربية وكاتبها الأكبر في هـذا العصر العقاد ؟.

وما سرق الرافعي من الغرب ؟ انه — رحمه الله — كان متهماً من أمثاله وسادته بمعاداة الغرب حتى اتهموه بالرجعية والجمود والتحجر !.

حقاً ، اننا في عصر الرعاع ، اننا في عصر يتهم فيه المجرمون السفلة أنبل الناس وأشرفهم .

ويقول المخبول « المحرر » بجريدة « الجزيرة » :

« ان طه حسين ، وهو أوسعهم في الثقافة اللغوية المنوعة ، لا زال مضطرباً في أحكامه اللغوية فهو ، في كتابه (حديث الأربعـاء) يناقش الكثير من الكلمات اللغوية ، التي يراها من كلمات أهل النحو والصرف، لما فيهـا من صلاد ولماوة وتنافر ، ويحكم على بعض الكلمات بالسلاسة والليونة والرشاقة ، معتمداً في جميع أحكامه على ذوقـه الخاص فقط .

« وهذه مشكلة اللغة العربية ، ومشكلة البلاغة العربية ومشكلة جميع الأدباء والنقـاد الذين يحكمون على الألفاظ بالليونة حيناً أو بالعساوة حيناً آخر .

« وكل واحد من هؤلاء يعتمد عـــلى ذوقه فقط ، وقضيــة الذوق عند فلسفة الجمال ، أمر ثبت فشل الحكم به ، فالكلمة التي تراها عاسية لأنها محجوجة أو غير مستعملة يراها غيرك سلسلة جميلة .. وعندما يختلف أديبان متذوقان في جمال كلمة ، أو في قبحها ، وكثيراً ما يحدث ذلك.. فان الاساس الحكمي ضائع بين الطرفين بطبيعة الحال .. والأساس الذي لا يقبل الشك والتنازع بين الأطراف ، غير متوفر عند هؤلاء ، وهذا لا يعني انهم غير متذوقون ، ولكن يعني أننا نستطيع أن نقـــول بكل صراحة ، ليس من حقك يا طه حسين أن تحكم بذوقك ، فمن يـدرينا أن تكون مريضاً في الحنجرة ، وفي وظائف مخـارج الحروف ، فترى الجميل قبيحاً ، والعكس صحيح ، وهل جاء طبيب جراح يثبت لنـــا سلامة وظائف مخارج الخروج عند طه ، أو مرضها ، وبطبيعة الحال ، لا يمكن أن يشفع تقارير طبية على أغلفة كتبهم .

« فاذن ..

« هناك الأساس المنطقي الذي يحكم في القضية ، ويجب أن يترك كل حكم من هذا النوع لهذا الأساس ، وهـذا الأساس آلة لغويـــة صغيرة يستخدمها الأديب في مكتبه ، كما يستخدم الطبيب جهاز الاشعة ، وهذه الآلة التي يسمونها (أشعة اكس) أو (الاسيلوجراف) بحكم خصوص صنعها ودقتها هي التي تصور الحروف ، وتحكم بالقبح ، أو بالجمال ، وهي لا تخطىء ذلك ، لان الذي ركب أجهزتهـــا أديب مفحوص في وظائف أعضائه كلها ، وقد ثبت سلامته من الامراض ... » .

ألا قبح الله هذا المخبول، فقد اضطرنا إلى نقل قذره العفن، والقارىء رأى أسلوب المخبول محرر جريدة « الجزيرة » ذلك الاسلوب المختـــل شعوره ، فهو اسلوب هاذ مضطرب ، وهذا الذي ينصب نفسه للقضاء والحكم والفصل مجرد من الذوق والعلم ومن كل مزية إنسانية .

إنه يحكم على طه حكم ممرور مخبول ، فيزعم أن طـه يرى القبيـــح

جميلاً ، وهو اتهام ألصق بالمخبول وأمثاله من غيرهم .

ومن الذي زعم أن الذوق أمــر ثبت فشل الحكم به[1] ؟ إن للذوق المعوَّل الاكبر في الحكم ، والذوق الذي يحكم هو الذوق السليم الذي تهيأ له أن يكون سليماً بما تهيأ له من الاطلاع الواسع وسلامة « حاسة » النقد والتمييز ، وكل ما يبيح له أن يحكم .

إن « أشعة إكس » ذات جدوى في الفحص الطبي ، ولكن ليس كل مريض في حاجة اليها ، ويحسب هذا المخبول أن «الاسيلوجراف» آلة خاصة به ، مع أنه سرق الاسم وطار بـــه وأخـــذ يباهي به وهو لا يعرف حقيقته .

ومن خبل المخبول محرر جريدة « الجزيرة » أن يهذي بضرورة مجيء « طبيب جراح يثبت له سلامة وظائف مخارج الحروف » .

أين يحدث هذا ؟ في أي بلد في العالم ؟ .

وكل هذا ليس مقصوداً به طه حسين ، بل المقصود بـه هدم اللغة العربية والبلاغة العربيـــة ، فالمخبول يزعم أن « مشكلة اللغة العربية ، ومشكلة البلاغة العربية ومشكلة جميع الأدباء والنقاد » هذا الذوق الذي ثبت « فشل الحكم به » .

وما دام الأمر كذلك فطبيعي ان اللغة العربية والبلاغة العربية وجميع الادباء والنقاد ليسوا بشيء .

---

١ هذا المخبول يكذب كعادته فيزعم ان الذوق أمر ثبت فشل الحكم به ، لان أعظم البلاغيين العرب وعلى رأسهم السكاكي يذهبون الى ان سر إعجاز القرآن يدرك بالذوق ، وهو حق ، فأنت تأكل التفاحة وتلذ بها وتعجز مهما كنت بليغاً في القول أن تصف طعمها ولذتها، ولكنك تحسها بذوقك ، كذلك إعجاز القرآن .

يقول السكاكي في كتابه العظيم « مفتاح العلوم » صفحة ١٧٦ (طبعة الحلبي) ما نصه : « إن شأن الإعجاز عجيب يدرك ولا يمكن وصفه كاستقامة الوزن تدرك ولا يمكن وصفها، وكالملاحة ، ومدرك الإعجاز عندي هو الذوق ليس إلا » .

وهذا « المخبول » الفاسد ذوقه يريد من طعنه الذوق طعن القرآن كما يفعل أمثاله .

إن قوانين اللغة – كل لغة – بنيت على أساس التتبع واستقصاء اللغة مفردات وجملاً مركبة،وقبل أن توجد القوانين وجدت اللغة ، أوجدتها الحاجة والضرورة ، ويسّرها أن الانسان مزود بأعضاء النطق،فلما اخترع الإنسان اللغة وتقدم به الزمن ، وتطور ، تطورت اللغة ، وصار لها نثر فني وشعر ، وهما «انعكاس» الذوق الجميل والشعور الصادق والإدراك الصحيح .

الذوق هو الذي ميز بين الجميل والقبيح ، واستعان بما يساعد على معرفة قدرة الذوق في الاختيار والتمييز والحكم ، ولكن الذوق هو المعول عليه .

إن الإنسان نظم الشعر وما يزال ينظمه سليقة دون أن يحتاج إلى « الآلة » لقياس ما يريد نظمه ، ولكن لا عليه أن يقيس به ما نظم .

أما أن ينظم وبين يديه الآلة يعرض عليها الكلمات فالاعجاز فالسطور فذلك ليس بالشعر الذي هو انبثاقة الشعور الصادق .

ومن يأتي للحكم على حنجرة طه حسين الذهبية ؟.

مخبول فاسد الذوق مدخول الشعور ، وإلا على ماذا كان اعتماده في إنكاره ذوق طه حسين في الحكم على الكلمات ؟ أأحضر آلة واتخذها وسيلة الكشف والفحص ؟ كلا .

إذن ، اعتمد المخبول على ذوقه الفاسد فجاء حكمه فاسداً .

ومن الخزي والعار أن يكون خبل محرر جريدة « الجزيرة » ذا شأن فتكل اليه الإشراف على صفحة الفكر والأدب ، وتعني الناس بقذره ، وتؤذي الأذواق الرفيعة بهذره ، وتسيء إلى المجتمع بل إلى الإسلام والقرآن بما ينشره المخبول وزملاؤه .

كانت « الجزيرة » صحيفة ذات مكانة وسمعة وجمال ، فلماذا تسخر نفسها للهدم والتخريب ؟.

إن الناس حكموا للقرآن بالإعجاز اعتماداً على الذوق السليم قبل أن تعرف علوم البلاغة وقوانينها وآلاتها .

وحكم بذلك أناس غير مسلمين إبّان نزول آيات منه ، وبهرهم – وهم أهل البلاغة والإعجاز والإيجاز – جمال هذا القرآن العظيم، وما زال الناس يتخذون الذوق في الحكم .

ولكن مخبول جريدة « الجزيرة » يدعي في كبرياء أن « الذوق أمر ثبت فشل الحكم به » وهو لا يريد طه كما قلنا ، بل يجعل طه الستار الخفيف على القرآن الكريم لينفذ بعد تمزيقه إلى القرآن نفسه .

وما دامت القاعدة التي جاء بها المخبول طبقت على طه فهي تطبق على غير طه .

إن قوانين النحو أو قاعدته تطبق على القرآن عندما يريد المؤمنون أن يعرفوا موقع كلمة قرآنية من الإعراب ، فإذا القرآن مصداق القاعدة ، وإن كان بعض ذوي العاهات في الذوق طبقوا القاعدة تطبيقاً يقوم على الخبل .وفساد الذوق فزعموا في وقاحة أن في القرآن غلطات في النحو.

وهذا مايريده مخبول جريدة « الجزيرة » يريد أن يطعن من تذوقوا القرآن فحكموا له بذوقهم لا بالقوانين والآلات ، وعندما يطعنهم تنفذ الطعنة منهم إلى ما تذوقوه وحكموا له ، ألا وهو القرآن الكريم .

هذا ما يريده مخبول جريدة «الجزيرة» وهو ما أراده سبيتا وفولرس وولكوكس ولويس عوض وسلامة موسى وأنيس فريحة من الدعوة إلى العامية باسم الشعب وتثقيفه حتى يعزلوا القرآن عن الشعب ، وقد صرحوا بعزله دون مبالاة ، وحينئذ يتم لهم القضاء على القرآن .

وعندنا ، وفي بلادنا المسلمة المؤمنة ، وفي صحافتنا ، نجد هذه الدعوة الخبيثة ، فقد انتقلت اليها ، ونهض الدعاة من أبناء وطننا المقدس العربي المسلم يدعون إلى العامية للمرمى نفسه .

وتجد من آثار هذه الدعوة في « صفحة الفكر والأدب » بجريدة

« الجزيرة » التي يحررها – كما جاء في رأس الصفحة – نخبة من الأدباء بإشراف ذلك المخبول .

إن « مخطط » الاستعمار والصهيونية والشيوعية الذي يراد منه هدم الإسلام وعزل القرآن وتخريب العقيدة ومحو اللغة العربية لأنها لغة القرآن والإسلام ومحمد عليه الصلاة والسلام « يُنَفذ » في بلادنا بدقة ومهارة وفي أمن ورجاء وطمأنينة .

نعم ، والدليل على ذلك استمرار نشاط هذه الدعوات الهدامة الخطرة في طريقها المرسوم ، وإنكار مخبول جريدة « الجزيرة » الأدب العربي كله : قديمه وحديثه[1] .

---

١ راجع ما كتبناه في لويس عوض وعبد الحميد يونس من هذا الكتاب .

الوثنية والالحاد

ان الاستعمار خدع الشعراء والكتاب باسم التحرر وحريــة الفكر والأدب والتعبير ووضع لهم قاعدة حتى يعرف حر الفكر والعبقري ، وهذه القاعدة ان العبقري في الأدب لا يكون عبقرياً الا إذا كان حر الفكر والقول والتعبير ، منطلقاً من كل قيد ، واعتبروا الدين قيداً ، بل هو أشد القيود قسوة وجوراً لديه .

وآية العبقرية التمرد على الدين والاستخفاف به وعصيانه ، لأن الدين والفن خصمان لدودان لا لقاء بينهما الا في ميدان الحرب والقتال ، كما زعموا .

وكثير من « الهلافيت » يودون ان يكونوا عباقرة في الأدب دون استعداد فطري او مكسوب ، وأقرب طريق لإثبات العبقرية الاستخفاف بالدين والتمرد عليه ، فكان هذا الجيش العرمرم من العبــاقرة الهلافيت او الكتاب والشعراء المهاويس الذين يزدحم بهم العالم العربـي ، وبخاصة في هذه الأيام .

ومنذ أربعين سنة او خمسين استجاب شاعر سعودي لنداء الاستعمار فاستخف بالدين وصادق الوثنية وأعجب بهــا إعجاباً ، فسمى نفسه

« أبولون » اسم إلٓه مولود من السفاح باعتراف الباحثين جميعاً إعجاباً به وتقديساً وإكباراً .

وما أكثر ورود آلهــة اليونان والرومان في شعره السخيف ونثره الوضيع ! وهذه نماذج من ديوان واحد :

* أنت يا منتهى الجمال ويا فينوس في الحب او على غير حب
* حولــه فينوس سافــرة قــرب « كوبيد » بغصته
* مثل «فينوس» في الاولمب فتاة فذة الحسن ليس بالمكذوب
* فتبنــاك « كيوبيد » وقــد روع مــن ثورة حبك

وفينوس : إلٓهة الجمال والحب والتناسل لــدى الوثنيين اليونان ، وتروي الأساطير أنها ابنة جوبيتر جاء بها سفاحاً ، وكيوبيد إلٓه الحب عند الرومان .

وامتلأ شعره بالوثنية والإلحاد كما ازدحم بهما نثره ، وهاهي ذي الأمثلة :

أترى الفلسفات والدين العلم أقامت للسالكين المنارا

وهذا استفهام إنكار لا تقرير .

أما الحقيقة فالإعلان يفسدها ولا حقيقة الا وهي عشواء

أهذا صحيح بالنسبة للحقائق ؟ ان الحقيقة لا تكون حقيقة الا اذا ثبت أنها حق ، وأي انسان يزعم ان الحقيقة يفسدها الاعلان ، ان في الدنيا حقائق كثيرة مادية ومعنوية ، لم يفسدها الاعلان بل زادها توكيداً وثبوتاً ، فحقيقة الوجود مؤكدة ثابتة ، وحقيقة واجب الوجود ثابتة مؤكدة ، وحقيقة الاحداث ثابتة مؤكدة .

ولا يكفيه هذا الادعاء البــاطل حتى يزعم « ولا حقيقة الا وهي عشواء » وبذلك يزيد الباطل باطلاً أبشع وأفظع ،

او حقيقة الوجود عشواء ؟ او حقيقة واجب الوجود عشواء ؟ او كل هذه الحقائق عشواء ؟.

والوثنيون يستعملون لفظة « خلق » وغير المسلمين كذلك ، حتى ان كتاباً مبتدئين شيوعيين في مصر نشروا كلمات عندما اطلق الروس كوكبهم الاول زعموا فيها : « ان الانسان قد شارك الله في الخلق ».

ويقول هذا الذي اختار ان يكون اسمه « أبولون » مثل قول أولئك في كثير من كلماته ، وهذه أمثلة من كتابين له :

« موسوليني العظيم خالق ايطاليــا الجديدة » و « خلق الاهتمام » و « يخلق حياة جديدة » .

و فيفنى بـــه ويخلق منـــه أفقا خـــافق الجمال منغـــم

و حركات يا لها من حركات تخلق الاحساس في النفس الموات

وهذا تساهل مقيت ، يضاف اليه الاستخفاف بعرش الله عز وجل فيقول : « ذلك الذي يستشف الفكر من وراء نغماته وموسيقاه أجمل معابر النفس الانسانية الى آفاق الكمال البشري القريب من عرش الله » .

ويصف هذا الـ « أبولون » دارون بقوله : « دارون الخالد الذكر وأحد بناة الكون » .

أيصح من مسلم يعيش في بلد الاسلام ان يصف دارون بأنه خالد الذكر ؟.

ثم ، أللكون بناة معدودون أم ان بـــانيه واحد ؟ ان الكون يطلق على كل ما خلق الله ، كل ما هو حادث ، كل ما كان ، والكون في اصطلاح الدين والعلم غير الله لانه يتغير ويحول ، والله عز وجل هو وحده الذي لا يحول ولا يتغير .

أفمستطاع ان يكون هناك بانٍ للكون غير الله ؟.

ان الديانات الوثنية هي التي تزعم ان للكون بنـــاة معدودين ، اما

الإسلام فلا يؤمن بأن للكون خالقاً غير الله .

وهذا الاستخفاف والوثنية والكفر من آثار الاستعمار تظهر في آثار هذا « الابولون » الذي يقول في مدح انسان :

فزت في نقلك السماء الى الار
ض ، وصهر الفؤاد في أشواقه

واطلاق السماء والارض بهذا الاسلوب لا يتجهان الا الى السماء التي نعرف والى الارض التي نفهم ، وأي مخلوق يستطيع ان يقوم بهذا النقل ؟ أممدوحه العاجز ؟.

في الوقت الذي يعطي ممدوحه هذه القوة التي ليست لمخلوق يسلب أصحاب الحق حقوقهم ، ويسخر بهم سخرية هي به ألصق ، بل يتطاول على ملائكة الله فيهزأ بهم وينكر ما منحهم الله فيقول في قحة :

ولبيني وبينك الحب سر عز عن كل خارص محسوب
جهلته ملائك الله حتى ذلك الحارس العتيد الرقيب

وهو يشير بهذا الانكار وبهذا « التجهيل » الى الآية الكريمة : (ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد) وقبلها : (ولقد خلقنا الانسان ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن أقرب اليه من حبل الوريد * إذ يتلقى المتلقيان عن اليمين وعن الشمال قعيد) وفيه تكذيب للقرآن الكريم ، لان كلاً من الملكين الموكلين بأمر الله « رقيب عتيد » يكتب أحدهما الحسنات والآخر السيئات سواء أكان نية وخاطرة ام قولاً ام عملاً ، فكيف يزعم هذا المجهول ان الرقيب العتيد يجهل سر حبه المشين ؟!.

حتى « ملائكة الله يجهلون » ان هذا سوء أدب غاية في القذارة ، ولكن ما على وثني ملام .

وهذا الاستخفاف بالدين شائع في العالم العربي حتى انتهى الينا على يد هذا الـ « أبولون » الجهول فكان في أدبنا وثنية بغيضة .

ولو كان هذا الكفر البغيض في صباه لقلنا : صبي جاهل معذور لجهله وصباه ، أما ان يمتد به حتى يصل الى أرذل العمر فهو الدليل على تغلغل الوثنية في نفسه .

وقرأت لهذا الـ « أبولون » قصيدة نشرت في جريدة «المدينة المنورة» بالعدد الصادر في ١١ ربيع الأول ١٣٨٥ ﻫ (٩ يوليو – تموز – ١٩٦٥ م) أذهلتني ، وعجبت ان تتسع الحريـة الى نشر هذا الكفر البشع المقيت اللئيم .

يقول هذا الـ « أبولون » :

نحن لا نبغض في الأرض الشيوعي ولا غير الشيوعي
انما نحمل روحاً أخوياً مرناً نحو الجميع
فنشيع الوعي والدعوة للخير وللعدل السريع
نبغض الفوضى وحصر الحق في رهط يسمى بالرفيع
ونثير السخط بالرفعة تزييفاً على هذي الجموع

خطط يطلبها الله وكم قدسها رسل الحياة
فهي في القرآن والإنجيل والتوراة غراء السمات
وهي في المسجد والبيعة تقريب لأفهام العتاة

أحقاً ، نحن لا نبغض في الأرض الشيوعي ؟ الشيوعي الذي جحد وجود الله عز وجل جحوداً ، وأنكر الرسل ، ومـزق القرآن ، وقتل المسلمين وعبث بكل المقدسات الإسلامية ، ومزق أعراض المسلمات ، وذبح الأطفال ، ودمر القرى والمدن الإسلامية .

إذا كنا لا نبغض الشيوعي فمن نبغض ؟.

أمن الأخوة الإسلامية حب الشيوعي ؟.

إنها لمفارقة عجيبة ان يبغض « حصر الحق في رهط يسمى بالرفيع » وألا يبغض الشيوعي !.

واذا لم يحصر الحق في ذوي الرفعة ففيمن يحصر ؟ في الشيوعي ؟.

ثم ، أصحيح ان مـــا زعمه هذا الـ « أبولون » هو « الخطط التي يطلبها الله » و « قدسها الرسل » ؟

كلا ، هذا كذب وبهتان ، وتعالى الله ان يطلب الى عباده المؤمنين ألا يبغضوا الشيوعي ، وتنزه رسله ان يقدسوا مثل هذا الكفر وهم ما جاءوا الا بالايمان .

وما أشد كذب هذا الـ « أبولون » اذ يزعم ان عدم بغض الشيوعي في القرآن والتوراة والإنجيل !.

أما القرآن فنحن نقرؤه ونعرف كل آياته وكلماته ، وليس فيه دعوة الى حب الشيوعي ، بل الذي فيه نقيض ذلك .

(لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله) .

و (يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم ومأواهم جهنم وبئس المصير) .

و (يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة وأعلموا ان الله مع المتقين) .

إنه يكذب على الله ورسوله ، ويبلغ به الجهل الى ان يزعم ان هذا الذي يذكره في التوراة والإنجيل أيضاً ، والمسلمون جميعاً لا يؤمنون بأن ما هو موجود مما يسمى التوراة والإنجيل هو الذي أنزله الله ، بل يعتقدون انه ليس كذلك لأنه محرف .

وأما ما أنزل من الله مما يسمى التوراة والانجيل فلا يعرف أحد من

المسلمين من أتباع محمد عليه صلوات الله وسلامه نصه الصحيح .

ولماذا يقرن هذا الـ « أبولون » المسجد بالبيعة مع البعد الشاسع بينهما بحيث يستحيل ان يتم بينهما لقـــاء . وهل تعترف البيعة بالمسجد ؟ هل يعترف أصحاب البيعة بأن القرآن كلام الله وان محمداً رسول الله ؟ إنهم ينكرون القرآن ويجحدون رسالة محمد ويحاربونهما علانية ويكذبونهما جهارا .

بل بلغت به الفرية والكذب ان يدعي على الله عز وجل وينسب اليه كلاماً ليس كلامه ، وبلغت به القحة ان يقول في جريدة البلاد (العدد ١٨٤٠ الصادر في يوم الأحد ٢٠ شوال ١٣٨٤ هـ (٢١ فبراير – شباط – ١٩٦٥ م) :

« بدأنا من يومه الأول الذي بدأ الله فيه خلق السماوات والأرض ، إذ قال لها : « ائتيا طوعاً او كرهاً قالتا أتينا طائعين » وقـــال : « ليكن نور فكان نور ، وفصل الله بين النور والظلمة ودعا النور نهاراً والظلمة ليلاً وكان مساء وكان صباح يوماً واحداً » .

أهذا كلام الله ؟ ان هذا الـ « أبولون » يجهل كلام الله جهلاً تاماً ، ويجهل ما يسمى كلام الله ، فما ذكره ليس كلام الله قطعاً ، ولا يصح لمسلم ان يزعم انه كلام الله .

ان كلام الله هو ما في القرآن وما في الحديث القدسي وليس غيره
هذا ما يؤمن به المسلمون المؤمنون .

وما أظن الكذب والحقد على الاسلام بلغ بارىء هذا المبلغ ، فـــا جاءنا عدو من أعداء الله واخترع كلاماً ملفقاً ثم نسبه الى الله الذي يؤمن به المسلمون .

ثم انظر الى سخفه اذ يزعم ان الله دعا النور نهاراً والظلمة ليلاً ، جاهلاً ان الله عز وجل قال في محكم كتابه : (وجعلنا الشمس ضياء

والقمر نوراً) والقمر يظهر ليلاً وهو نور ، وهذا لا يتفق مع زعمه الكاذب .

وأين دعا الله ذلك ؟ في أي كتاب ؟.

وان من يكذب على الله عز وجل لا يستبعد منه ان يفتي بغير علم ، ويدعي دعاوي يردها الاسلام .

يقول هذا الذي اختار لنفسه اسم « أبولون » في جريدة البلاد في العدد الذي نشر فيـــه كذبه وباطله : « فاتتني صلاة الجمعة ... فقد شغلت عنها بمعالجة قضية اجتماعية هامة ، تتعلق بمستقبل عشرين شخصاً يتألفون من رجال ونساء وأطفال » .

ويقول : « وقد وصلت في الحل الى مرحلة يرقص لها ضميري من الفرح ، وبقية المرحلة كنت اعالجها معهم في وقت الصلاة » .

ويقول : « ولم يعزيني (كذا) عن ذلك الا ثقتي بنفسي في ان اصل بهم الى مرفأ السلامة والسعادة البيتية في ذلك الوقت الذي لا يقبل العمل فيه التأخير . وفكرت ان اطـــرح سؤالاً : اي العملين أولى بالإشغال دون الآخر ، والحالة تدعو الى مواصلة العمل الاجتماعي وانتفاء الضمان في نجاحه اذا اجل الى ما بعد الصلاة ؟ ولكني ألغيت الاستفتاء، واقتنعت ان ما صنعته هو الأفضل ، بل هو اللازم ، وهكذا ضميري يقول » .

هكذا يفتي الـ « أبولون » والله عز وجل يقول في محكم كتابه : (يا أيها الذين آمنوا إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله) ويقول أفضل الخلق محمد عليه الصلاة والسلام : « لقد هممت ان آمر رجلاً يصلي بالناس ، ثم احرق على رجال يتخلفون عن الجمعة بيوتهم » .

عبث باللغة العربية ، وعبث بالقرآن ، وإفتاء بجهل مطبق ، وتطاول عـــلى الشريعة ، وتبجح مقيت ، وتنفج خبيث ، واستخفاف بالدين

شريعة وعقيدة ، ووثنية متحجرة ، وكفر بواح .

وهذا ما قصد اليه الاستعمار والصهيونية والشيوعية حتى يصرفوا المسلمين عن دينهم ، ويبعدوهم عن اداء فرائضهم ، اذ يجردون امثال هذا الـ « ابولون » للهدم والتشويه والتخريب .

ونخلص من هذا إلى ان مرام قوى الشر مزاحمة عقيدة التوحيد بالوثنية والالحاد في الأدب شعراً ونثراً وقصة حتى تتلوث بهما ، وعندئذ ينتفي التوحيد ، وذلك مبتغاهم .

ونحن نجد في الكتب والقصص والدواوين هذه الوثنية شائعة، ولم تنج منها بلادنا ، والدليل وجود هذا الأبولون .

الفولكلور

يذكرني من يريدون أن يكون لبلادنا المقدسة « فولكلور » كما لغيرنا فولكلور بقوم موسى الألى وصفهم الله عز وجل في كتابه المحكم إذ يقول :

(وجاوزنا ببني اسرائيل البحر فأتوا على قوم يعكفون على اصنام لهم قالوا يا موسى اجعل لنا إلَـٰهاً كما لهم آلهة قال انكم قوم تجهلون * ان هؤلاء مُتبَّر ما هم فيه وباطل ما كانوا يعملون * قال اغير الله أبغيكم إلَـٰهاً وهو فضلكم على العالمين) الأعراف ١٣٨ ــ ١٤٠ .

وما اشبه هؤلاء الذي يريدون الفولكلور ببني اسرائيل ، بل اشد منهم جهلاً ، فعذر هؤلاء انهم آمنوا بموسى بعد ان رأوا المعجزات وأعظمها نجاتهم من فرعون وغرقه على مرأى منهم ، آمنوا به وبربه بعد ان كانوا وثنيين مشركين ، فإذا طلبوا الى موسى عليه الصلاة والسلام ان يجعل لهم إلهاً كما لهم فلحداثة عهدهم بالتوحيد !.

ولكن ، ما عذر هؤلاء وهم مسلمون يعيشون في بلد الإسلام ؟ .

ان دعاة الفولكلور من ابناء وطننا قوم يجهلون ، وأولئك الذين لهم فولكلور مُتبَّر ما هم فيه وباطل ما يعملون .

ما يصنعون بالفولكلور وهم مسلمون ، ولديهم القرآن وآثار محمد عليه الصلاة والسلام ، ولديهم ادب الفصحى والتوحيد ؟.

والفولكلور من « مخطط » اعداء الاسلام من استعمار وصهيونيــة وشيوعية حتى يقضوا على تراث الاسلام كله ، دعوا الى العامية ، وأدخلوا الوثنية الى الأدب ليقفوا في وجه التوحيد الاسلامي ، وباسم الحرية والانسانية حببوا الى المسلمين والعرب بوساطة كتّابهم مذاهب الهدم والتخريب وأصحابها الذين يريدون هدم الاسلام بعد ان فتكوا بالمسلمين ، كما أشرنا الى فعل جريدة عكاظ اذ أخذت تطبل للشيوعية والشيوعيين .

والفولكلور يتم حلقات السلسلة او من تتمة حبل المشنقة الذي يريدون خنق الاسلام به .

كلمة « الفولكلور » لم تعرف في اوربا الا حديثاً ، وأول من استعملها وليم جون توماس الانجليزي منذ اكثر من مئة سنة . وقد وردت في خطاب له بعث به الى جريدة « أثنيام » البريطانية .

ولكنها لم تكن لتؤدي المعنى الذي استعمل له فيما بعد ، وعلى أي حال فالكلمة من ابتكار الانجليز ، وأراد توماس بها « الآثار الشعبية القديمة » .

ووردت كلمة « الفولكلور » في مجموعة الأخوين الألمانيين يعقوب وولهلم قريم (والقاف من قريم ينطق بعامية الحجاز وهو يشبه الجيم المصرية العامية) اللذين عنيا بالبحث عن المأثورات الشعبية من اساطير وخرافات وحكم وأمثال وكنايات وقصص وحكايات ونوادر ، وجمعها .

وجاءت « الفولكلور » في كلامهما دون ان يهتما بها ، حتى اذا مر بها الكاتب الانجليزي « توماس » اعجبته فبعث بها لصحيفة « اثنيام » واقترح استعمالها فيما يدل على « المأثورات الشعبية القديمة » .

ويظهر ان رسالة توماس للصحيفة كان في شهر اغسطس ١٨٤٦ م لأنها نشرتها في اليوم الثاني والعشرين منه .

ومن ثم بدأت كلمة « الفولكلور » تظهر وتحيا على الأقلام والألسنة حتى اصبحت علماً يدرس في الجامعات .

وما احب ان اتحدث في الفولكلور الا بعد ان انقل كلام احد كبار

اعداء الاسلام والقرآن والأدب العربي واللغة العربية الذين يحرصون على ايجاد كل ما يضعضع قوة الاسلام ، واتخاذ كل وسيلة للنيل منه ، ومزاحمته حتى يزووه في مكان ضيق للإجهاز عليه .

هذا الأحد هو سلامة موسى ، واذا نقلنا رأيه نكون قد نقلنا رأي خبير لا مطعن فيه من قبل دعاة الفولكلور لأنه من ساداتهم وكبرائهم .

يقول سلامة في كتابه « مختارات سلامة موسى » صفحة ١٠٩–١١١ ما نصه :

« وضع الانجليز كلمة فوكلور Folk - Lore لعلم جديد يرمي الى البحث عن الأساطير الشائعة بين الناس وردها الى اصولها الأولى ، كما يرمي الى البحث ايضاً عن العادات الفاشية بين الطبقات المتأخرة من الأمة وخاصة بين طبقة الفلاحين ، وذلك لأن الفلاحين أبعد الطبقات عن الحضارة ، فعادات السلف عندهم يحفظها الخلف ويتوارثها الأبناء من الآباء ، دون تعديل او بتبديل طفيف :

« وفي انجلترا جمعية تألفت في سنة ١٨٧٨ للبحث عن الفولكلور ، ولا تزال حية ، بل صار الفوكلور مادة تدرس في الجامعات الكبرى ، وقد اخذ كثير من الأمم هذه اللفظة كما هي في الأصل الانجليزي وأضافوها الى لغتهم دون تحريف فيها ، واللفظة تعني « علم العامة » ولكن تعريب اللفظة خير من ترجمتها ، فخير لنا وللغة ان نقول فلسفة وجغرافيـــة وفوكلور بدلاً من ان نقول : علم الحكمة او علم تقويم البلدان او علم العامة .

« وقد طبعت جمعية الفوكلور الانجليزي كتاباً عن هذا العلم في سنة ١٩١٤ عرفت فيه هذا العلم بقولها : « انه يبحث عن الاعتقادات المأثورة والعادات والقصص والأغاني والأمثلة الفاشية بين الأمم المتأخرة او التي تحتفظ بها الطبقات المتأخرة في امة متمدينة » .

وجاء في الكتاب ايضاً : « يدل الفوكلور علي عقلية الانسان الأول

في الفلسفة والدين والعلم والطب والنظام الاجتماعي .

« ومن يبحث بين عادات الفلاحين وسائر الطبقات المتأخرة يجد الشيء الكثير مما يربطنا بالمصريين القدماء ، سواء أكان ذلك في الاساطير التي تحكى للأطفال ام في العادات الفاشية بين افراد الطبقات الوضيعة .

« فمن ذلك ان البحارة في بعض انحاء الوجه القبلي كثيراً ما يترنمون بأغنية يكررون فيها لفظة « أمونة ، يا أمونة » وأمونة هي في الحقيقة الإلآه آمون الذي كان يعبد منذ خمسة آلاف سنة في مصر .

... ...

« والمرأة العاقر لا تزال تذهب الى المعابد القديمة حيث الأنصاب والأوثان المصرية اعتقاداً منها انها تحمل اذا زارت هذه المعابد ، وقد كانت المصرية القديمة تفعل ذلك منذ نحو خمسة آلاف سنة .

ونحن الآن نؤمن بالله حقـاً ، خاصتنا وعامتنا ، ولكن لا يزال للشكوك الوثنية سلطان علينا ، فإن كثيرين منا (مسلمين او اقباطاً) يراعون المناسك والشعائر المصرية القديمة ، ولا تزال للآلهة صولة » .

وجاء في جريدة « المدينة المنورة » في العدد ٥٠٩ الصادر في ١١ رجب ١٣٨٥ تحت عنوان « ماذا نعني بالفولكلور » :

« لا بد لنا من توضيح العمل الفني قبل الخوض في تعريف الفولكلور واظهار مدارسه ونظرياته ، فالعمل الفني يقوم على تجسيم مجموعة كبيرة من الخبرات الانسانية والعواطف والأفكار ، ويعبر عنها في صورة جمالية تلقى قبولاً في النفس وتخلق في العقل الانساني استجابات عاطفية وعقلية » الخ.

وجاء في جريدة « البلاد » العدد ٢٠٤٧ الصادر في يوم الأربعـاء ٣ رجب ١٣٨٥ (٢٧ اكتوبر – تشرين الثاني – ١٩٦٥ م) تحت عنوان « احياء التراث الشعبي » ما نصه :

« ما احوجنا الى دراسة علم الفولكلور والاستفادة منه في دراسة فنوننا الشعبية والكشف عن اصالتها وابرازها الى الوجود .

« ما أحوجنا اليها بعد هذه الحركة النشطة التي استهدفت إحياء تراث الأجداد وبعثه من جديد ليرى فيه الجيل الجديد روح أجداده ويتنفس عطرهم ويعيش أحداثهم التي صاغوها فناً قوياً لا يموت أبداً .

« وهذه الدراسات التي يحتاج اليها هي حتماً تحتاج الى العقول الواعية المدركة لهذا العلم ، المستعدة دوماً للبحث والاستقصاء وبذل الجهد والعرق حتى تستطيع ان تقدم نتاجاً قيماً يكشف عن « الفولكلور » كعلم وتاريخ ، ويربطه بما تكسب من انواع شعبية في مجال الفن فتأتي الفائدة المرجوة من هذه الدراسات .

« يجب أن نعمل على إرسال بعثات من الشباب الجامعي المثقف لدراسة علم « الفولكلور » ودراسة طريقة المسح الفولكلوري ، ودراسة فصل الفنون الفولكلورية عن بعضها .

« ولا بأس أيضاً من استجلاب بعض الخبراء في هذا المجال ، الى جانب تشجيع المهتمين بالفنون الشعبية لكتابة دراسات مختلفة عنه .

« إن فنوننا الشعبية لا تزال أرضاً بكراً في حاجة الى غزو ولاكتشاف خيراتها واستغلالها .

إننا بحاجة الى كل خطوة عملية في هذا المجال حتى يتمكن من الكشف عن الثروة الشعبية التي نملكها [١] » .

ورددت صحفنا كثيراً دعوة الاهتمام بالفولكلور تارة بهذا اللفظ وتارة اخرى باسم التراث الشعبي .

وما قصدهم بالفولكلور أو التراث الشعبي أو المأثورات الشعبية ؟ أمقصدهم إحياء آداب السلف الصالح وعلومهم ؟ إن الفولكلور محدد المعنى فهو لا يُعنى الا بما يتصل بالعامة من الشعب من «طبقة الفلاحين»

---

١ – اعجبت جريدة « البلاد » السعودية بما كتب في « الفولكلور » فنقلته بنصه من جريدة ليبية استحساناً منها له .

التي يدخل فيها مع الفلاحين المتأخرين من كان مثلهم في الحياة الاجتماعية المتأخرة ، والا بالأساطير والخرافات وكل ما لديهم من فن وعلم لا يرتفع عن مستوى العامة المتأخرين .

وكلمة « الشعبي » حينما تطلق لا تتجه الى الأعلياء بل الى العامة المتأخرين ، ولغة هذا التراث اذا كان أدباً شعراً او نثراً لغة عامية .

واذا عنيت اوربا بالفولكلور فهو لا يخالف عقيدتها ، فالمسيحية وثنية ، وكل ما فيها من جزئيات وكليات تتصل بالعقيدة مأخوذة من الديانات الوثنية ، وقد أثبتنا علمياً في كتابنا (المسيحية والمسيح) أن المسيحية وثنية محض .

فالفولكلور عناية بتراث وثني يخالف عقيدة التوحيد كل المخالفة ، لأن فيه اهتماماً بالأساطير والخرافات التي ذكر سلامة موسى صنوفاً منها فيما استشهدنا به من كلامه .

ونحن ، لماذا نهتم بالفولكلور ونحييه ؟ أما فيه يتفق مع الإسلام ؟ إن أهم ما فيه الأساطير والخرافات والشركيات والبدع التي حاربها الإسلام .

فمن الفولكلور الذي مات ونسيه الشعب وأدرك أنه خرافة واباطيل ويخالف الدين أشياء كثيرة نذكر بعضها :

الدجّيرة ، جنية تخرج ليلاً وفي قدميها خلاخيل تجرس ، وتحمل على رأسها « بقشة » وترجو من يقابلها أن يحملها لها لأنها تدعى الشيخوخة والكبر ، فيحملها اذا كان خالي الذهن منها ، فاذا تمكنت منه قتلته وشربت دمه .

وكان العامة يعتقدون وجود « الدجيرة » ولكن الآن لا وجود لهذا الاعتقاد ، وأدركوا أن المسألة خرافة ووهم .

الزار ، ويجري في حفلاته من البدع والشرك ما حاربه الاسلام ،

وحضرت ذات مرة حفلة منه فاذا « المجذوب » ينشد نشيداً كله شرك ، ويقول :

يا ِهل بدر وانتم سيدي دخيلكم حلوا عني القيّد

ومعناه،يا أهل بدر ، وأنتم سادتي ، أدعوكم لحل قيدي ، وهو دعاء لغير الله وطلب من مخلوق عاجز لا يملك عطاء ما يطلب منه ، بل هو خاص بالله .

إحياء ليال في بعض مقابر الصالحين والصالحات ، كسيدتنا ميمونة ، حيث كان الناس يخرجون إلى مقبرتها ويطلبون اليها ما يطلب من الله .

إن في الفولكلور وثنية حاربها الإسلام حتى قضى عليها ، ولما تأخر المسلمون ، استغل أعداؤهم هذا التأخر وانحطاط عقولهم وجهلهم فأدخلوا في دينهم خرافات وأوهاماً وبدعاً، وشغلوهم بها عن الدين الحق فصاروا يشركون مع الله غيره في العبادة ، ويعتقدون أن في بعض الخلق من حجر وشجر النفع والضر ، ويحملون الأحجبة التي ترد الأذى عنهم وتجلب النفع لهم .

أفنحيي ما قضى عليه الإسلام،أنحيي ما قضى عليه في أيامنا ؟.

إن الفولكلور نقض للإسلام ، ودعاته المنحطون المنحلون أرادوا إغراق شعوبهم في الوثنية حتى يقضوا على الإسلام ، وقام منا أمثالهم من ضعفاء العقيدة يحملون الراية ويدعون إلى الفولكلور في جد واهتمام ، حتى أخذت صحفنا تدعو اليه في همة ونشاط .

ولو اتجهوا إلى إحياء تراث الإسلام وبعث ما اندثر منه أو ضعف التمسك به ومحاربة الخرافات والبدع والشركيات بدل الفولكلور لكان في دعوتهم الخير كله ، ولكنهم ذيول لدعاة منحطين منحلين يريدون أن يشغلوا الشعب بما يزاحم دينه حتى يعود إلى الوثنية والشرك ويألفهما .

وإن أي اعتقاد منه لا يتفق مع التوحيد الإسلامي يقضي على عقيدته،

فإذا اعتقد مسلم أن محمداً أفضل الخلق طراً عليه صلوات الله وسلامه يرزق أو يشفي لكان مشركاً بالله .

فالفولكلور من مخطط أعداء الإسلام ، وبدعة جديدة دخلت بلادنا لتؤذينا في ديننا ودنيانا ، وإن الإسلام يفرض علينا فرضاً أن نحاربه ، وألا نكون مثل قوم موسى عندما رأوا قوماً يعبدون أصناماً لهم قالوا له: اجعل لنا إلٓهاً كما لهم آلهة ! ونسوا ان إلٓه موسى عليه الصلاة والسلام هو الله الواحد الأحد الذي لا إلٓه غيره .

إن الفولكلور دعوة هدامة يجب أن نفطن لها ونحاربها قبل أن يستفحل الشر فتتعذر المقاومة .

وأعداء الإسلام حاصروه من جميع الجهات ، وشغلوا المسلمين عن دينهم بما ابتكروا لهم من دعوات باطلة حتى يهدموه ويبعدوا المسلمين عن دينهم وكتابهم ولغة قرآنهم وأدب هذه اللغة .

وإذا أردنا أن نعنى بالمأثورات الشعبية التي لا تخرج عن الأدب مثل القصص والنوادر والحكايات والشعر والحكم والأمثال والكنايات فلا نرى فيه بأساً دون أن نطلق عليها « الفولكلور » لأن هذا الذي نجيزه ليس « المأثورات الشعبية القديمة » وليست كل ألوانها .

فالرقص الشعبي من الفولكلور ، ويجوز حفظه إذا كان من رقص الحرب لا الرقص الخليع ، كما ان الدين يحرم رقص النساء الفولكلوري .

وما نشر في صحفنا في الاهتمام بالفولكلور يحدد الرغبة تحديداً ، فلا يقتصر على الأدب والفن اللذين لا يحرمها الإسلام ، بل يتجاوزهما إلى إحياء الوثنية والأساطير والخرافات وتدوينها وبعثها ونشرها وحفظها .

وهؤلاء الدعاة من أبناء وطننا جهلة مقلدون ، كلما رأوا الغرب ودول الشيوعية أو الاشتراكية — والشيوعية والاشتراكية سواء — يدعون إلى شيء قاموا هم أنفسهم بالدعوة نفسها باسم التحرر والتمدين والسير مع

الركب الحضاري ولو كان فيه هدم الإسلام وتخريب العقيدة ومحو الشريعة .

وإذا أضفنا الدعوة إلى الفولكلور إلى ما ذكرنا من الوثنية والإلحاد وتقريب الشيوعية والشيوعيين من القلوب المؤمنة ومحو ما فيها من بغضهم لأنهم ألأم الكفار وأبشعهم دون نزاع ، والاهتمام بأخبار المغضوب عليهم وعليهن من العجزة الفسقة اهتمام إعجاب وحب ظهر لنا ان «مخطط» أعداء الإسلام يُنفَّذ في بلد الإسلام تنفيذاً دقيقاً يدل على حذق ومهارة وألمعية .

التيسير والتسهيل وصلاح العربية

الدعوة إلى العامية ذات أساليب مختلفة ، وكلها تنتهي إلى هدم الفصحى الذي يؤدي إلى عزل القرآن عزلاً تاماً .

وللدعاة زعمات باطلة يحسبونها براهين وما هي إلا براهين على خداعهم وأباطيلهم وحقدهم على القرآن والإسلام .

فاللغة العربية الفصحى لا تصلح أن تكون لغة العلم والحضارة لأنها ابنة البداوة كما يدعي سلامة موسى .

وإذا أريد بالبداوة البعد عن التحضر أو نقيضه فكل لغة في الأرض ليست بنت الثقافة ، وما في الأرض ثقافة ولدت لغة ، وإن كان للثقافة فضل نمو اللغة .

وليس الذين يزعمون أن العربية لا تصلح لأن تكون لغة علم صادقين ، فالعربية لغة علم وأدب وحضارة .

وأول البراهين على ذلك أن القرآن الكريم نزل بالعربية .

ومن البراهين : أن التجربة التي مرت بها الأمة الإسلامية في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه عندما كثرت الفتوح الإسلامية أظهرت قدرة اللغة العربية على صلاحها لكل جديد .

إن أول ما واجهت اللغة العربية من التجارب العديدة : إنشاء عمر – رضي الله عنه – الدواوين والتنظيمات الإدارية التي لم يكن للغة العربية وأهليها سابق عهد بها ، ومع هذا لم تعبس العربية في وجه الجديد ولم تتخلف عنه ولم تعجز ، بل رضيت بالتجربة وأثبتت قدرتها القادرة على هضم كل جديد هي في حاجة إليه .

وليست الدواوين والتنظيمات الإدارية شيئاً سهلاً حتى اليوم ، فإذا استطاعت العربية أن تكون لغتها في سهولة ويسر فذلك دليل الحياة والقدرة والصلاح .

وإذا أخذنا في حسابنا أن هذه التجربة كانت جديدة عليها ولا عهد لها بمثلها من قبل أدركنا قوة هذه اللغة وقدرتها واستعدادها .

ثم أخذت العربية تبرهن على أن في جوهرها القدرة والقوة والمرونة، ومن كيانها العام تنبثق دفقات الحياة غير المنقطعة .

وأعظم هذه البراهين أنها اتسعت للحياه المتقدمة والحضارات والثقافات والعلوم والآداب المختلفة ، فمنذ القرن الثاني الهجري كانت هي لغة العالم الكبرى،وبها كتبت الفلسفة والرياضيات والطب والهندسة والميكانيك وكل العلوم التي كانت على ظهر الأرض .

ومئات الألوف من الكتب ألفت باللغة العربية ، وهي كتب علمية، ولم تستطع اللغات الحية في عصرنا هذا أن تتسع لها إلا بعد أن أرفدت اللغات بعضها بعضاً .

أما العربية فقد كانت وحدها بكلماتها وتراكيبها تستقبل العلوم والثقافات وتهضمها دون أن تتضيف اللغات الأخرى إلا في أضيق الحدود ، وإلا بقدر جد يسير ، وبلغت من قوتها ونشاطها إخضاع ما تأخذه من غيرها لقوانينها وذوقها وموازينها وجوها العام حتى تصبح شخصية الكلمة شخصية عربية .

وهذا يظهر فساد رأي من يزعمون أن العربية غير صالحة لهذا العصر المتقدم المتحضر لأن العربية بنت البداوة كما يقول سلامة موسى في تجنيه السافر البغيض عليها .

وفي عصرنا الحديث استطاعت جامعة سوريا تدريس الطب بالغربية ، كما سبق تدريسه وتدريس الكيمياء والهندسة والرياضة بالعربية في عهد محمد علي باشا ، كما استطاع مجيدوها ترجمة آخر ما وصل اليه العلم في طفراته الخيالية دون أن يبدو عليها الوهن والعجز .

وسلامة موسى نفسه الذي يتهم العربية هذا الاتهام كتب مئات المقالات وطبع عشرات الكتب بهذه اللغة التي يخاصمها .

وما كتبه سلامة موسى ليس وقفاً على فن أو علم واحد ، بل كتب في مختلف العلوم والفنون ، وكأنه يكذب نفسه بنفسه .

وإذا تجاوزنا اتهام العربية بالعجز والقصور بعد أن قام الدليل على نقيض هذا الاتهام نجد دعاة يريدون بادعاء الصعوبة في تعلمها وفهمها ، هدم العربية .

ومن ترداد هذا الادعاء في الكتب والصحف رسخ في الأذهان أن العربية صعبة أصعب من أي علم ، وظن بعضهم انها لغز فاقد الحل ، وعلم العربية متعذر الاستيعاب على طالبه لأنه لا نهاية له،ومعرفة قواعده وقيوده بلغت من العسر ما لا يطاق .

وليس الأمر مثلما ادعوا وروّجوا ، فالعربية لم تبلغ من الصعوبة ما تبلغه علوم كثيرة كالرياضيات وغيرها .

وأي علم في الدنيا يخلو من الصعوبة ؟ وأي لغة في الأرض من اللغات التي خرجت من قمقم الحسية إلى عالم المعاني والمجاز خلت من القواعد والقيود ؟ وأي فن من الفنون لا ضابط له .

ولماذا لا ترتفع الحناجر بالشكوى إلا من العربية وتخصيصها بادعاء الصعوبة كأن غيرها خلا منها ؟.

الجواب واضح ، أوضحه الشاكون أنفسهم عندما طلبوا تسهيلها وتيسيرها ، ولما قلنا لهم : هاتوا ما عندكم من التيسير والتسهيل ، قالوا : نترك الخط العربي إلى الحرف اللاتيني ، وندع الفصحى إلى العامية ، ونلغي الإعراب ، ولما قلنا لهم – لننظر إلى أين ينتهي بنا الأمر – : موافقون ، قالوا : العربية لا تصلح ، سواء أكانت فصيحة أم عامية ، لأن العامية في حقيقتها بنت الفصحى المشوهة ، وأي وليد ينسب اليها لا يصلح لنا .

وهنا ينكشف ما يريدون ، فلا الصعوبة ولا غيرها سبب الشكوى ، وإنما القصد إلغاء الفصحى ليلغى معها القرآن والحديث وهما قوام الإسلام ولسانه .

ونعود إلى الحق لنقول : إن العربية صعبة ولكنها ليست أصعب اللغات ، فالإنجليزية أو الفرنسية لا تقل عنها صعوبة ، وإذا كان وجود عامية بجانب الفصحى العربية يدعو إلى الاستغناء عنها وإيثار العامية عليها فليس هذا وقفاً على العربية وحدها .

أترى أقطاب الدعوة لا يدركون هذا أو لا يفهمونه ؟ لا ، انهم يدركون ويفهمون أن لغة الكتابة دائماً غير لغة الكلام .

إن أرقى شعوب الأرض تكتب بلغة تغاير لغة الكلام « ومن يظن أن الانجليز أو الفرنسيين أو الروس أو الألمان يكتبون كما يتكلمون يخطىء الخطأ كله ، فإن لهؤلاء أيضاً لغة كلامية ، أو كلاماً دارجاً ، أو طريقة سخيفة في التعبير لا تستقيم إذا كتب بها ولا تكفي للتأدية البارعة ، ولا تصلح للإنشاء والوصف والترسل والاستطراد المطلوب في الأدب الرفيع »[1].

وهل يحسب هؤلاء الدعاة أن لغة طاغور البنغالية التي يكتب بها هي اللغة الكلامية التي يتخاطب بها الناس ؟ .

---

١ من مقال للاستاذ عباس حافظ في مجلة « الاذاعة » المصرية سنة ١٩٥٦ م .

أيصح مثل هذا في عقل عاقل ؟.

ثم ، أمن التيسير والتسهيل أن نقضي على جمال اللغة ونهدم صرحها؟.

لماذا لا نجد دعوى التيسير والتسهيل التي يتقدم بها الشاكون عند غيرنا ؟.

السر ليس صعوبة العربية ولكن المطلب الحق هو هدمها ، وما أرادوا هدمها إلا ليهدموا القرآن .

نأخذ لبنان البلد الصغير بمساحته وسكانه مثلاً يُظهر لنا أن العربية ليست أصعب من العلوم الأخرى .

كم لبنانياً يتقن العربية قراءة وكتابة ، سواء أكان هذا اللبناني مسلماً أم مسيحياً ؟ آلاف ، ومنهم مئات يكتبون بأسلوب آية في المتانة والقوة والجمال ، فيهم عشرات بلغوا في معرفة العربية وفي استخدام ألفاظها المرتبة العليا .

هذا في اللغة العربية ، فلننتقل إلى الطب وغيره ، وهنا نجد أنه إذا كان في كل خمسين لبنانياً واحد يجيد القراءة والكتابة بالعربية ، نجد في كل ألف طبيباً واحداً ، وفي كل عشرة آلاف عالماً في الرياضيات ، وفي كل مائة ألف عالماً واحداً في الرياضيات إذا تجاوزت الجامعة .

وضربت المثل بلبنان لأنه البلد العربي الذي كاد يتخلص من الأمية تخلصاً أقرب إلى التمام .

وما ذكرته دليل على أن صعوبة العربية ليست كصعوبة الطب والرياضيات .

ودليل سهولتها كثرة مجيديها .

وإذا كان كل صعب مقضياً عليه بالفناء ، وكل سهل مكتوباً له البقاء والحياة فإن الإنسان سيعود إلى الغاب والحيوانية لأنه سيجد فيهما السهولة والتحرر من القواعد والقيود .

ولو كان كل عربي يشكو صعوبتها إلى حد العجز عن تذليلها

لكان في ذلك مسوغ القضاء عليها ، أما واننا نجـــد مئات الألوف من الناطقين بها يحسنونها قراءة وكتابة ، بينهم آلاف يحسنونها إحساناً يفوق من سلفوا مـــن محسنيها في العصور التي مرت ، فذلك دليل على أن العربية ليست صعبة ، وأن العربية لا تتأبى على من يوفي لها ويصادقها ويخلص لها ، بل تكون له مطواعاً تستجيب له كلما ناداها .

غير أنني لا أشك أن العربية عسيرة الهضم على المرضى وذوي المعدة الضعيفة ، ولكن هذا لا يسوغ تركها واستبدال العامية بها إلا إذ سوغنا الاستغناء عن أكل اللحم لأن في الدنيا عشرات الملايين من الأطفال ومن الممعودين والمرضى المحميين لا يأكلون اللحم ولا يطيقونه .

ولو كان كل شيء يترك لصعوبتـــه لوجب – أولاً – ترك العلوم جميعها دون استثناء ، لأنه ما من علم إلا وهو صعب المنال ، ولوجب – ثانياً – أن نترك الحضارة التي فتنتنا لأنها صعبة ولأن بها عسراً ولها قيود وتكاليف وضحايا .

ولو أخذنا بمنطق هؤلاء الدعاة لما أصبح للامتياز العقلي والعلمي قيمة في الوجود ، ولكان فرضاً أن نقضي على العلوم جميعها ، ونهدم المجامع العلمية والأدبية واللغوية والجامعات والعلماء وعبـــاقرة الفنون لأنهم شواذ يطبقون الصعب،والأغلب الأعم لا يطبق .

أما شكواهم من الإعراب ودعوتهم إلى إلغائه بحجة الصعوبة وتعـذر التمييز بين ما يجب أن يكون مرفوعاً أو مجروراً أو منصوباً فهـما ككل شكاواهم من اللغة العربية لا تستند الى حجة قائمة .

وإذا استجبنا لهم وألغينا الإعراب واستعضنا عنه بالسكون رغبـة في التسهيل والبعد عن الخطأ والحرج منه عندما نقع فيه فهل يتم لنا تحقيق هذه الرغبات ؟.

إذا فرضنا أننا استطعنا إلغاء الإعراب وحققنا تلك الرغبات فما نحن صانعون بالحركات التي تسبق حركة الإعراب ؟

اننا لا نستطيع أن نصنع بهذه الحركات ما صنعنا بحركة الإعراب مهما حاولنا ، وواقع هذه الحركات يجبرنا على بقائها ، وهنا تبرز مشكلة جديدة وهي : كيف نعرف الحركات التي تسبق حركة الإعراب ؟ كيف نعرف حركة « الميم » من : شمت ويشمت ؟ أنترك كل انسان يضع الحركة التي تناسبه .

إذا أطلقنا الحرية جاءت الفوضى[1] .

وأعتقد أن هؤلاء الدعاة إلى إلغاء الإعراب يجهلون قيمة الحركة في اللغة العربية ويحسبونها « فضلة » يستغنى عنها كما كتب — ذات مرة — أحد هؤلاء الممسوخين عندنا ، مع أن الحركة ليست فضلة ، بل هي في صميم الكلمة ولا يمكن نطق حرف في بنائها بدون حركة ، وأي كلمة لا يمكن أن تخلو منها ، بل ذلك مستحيل .

ليجرب أحدنا وينطق بأي لفظ عربي ؛ إنه سيجد الحركة ملازمة للحرف المنطوق به لا تتركه .

وفي الوقوف على الكلمة نستبدل حركة بحركة ، نستبدل بالضمة أو الفتحة أو الكسرة السكون ، لأن إخلاء الحرف من الحركة مستحيل ، ولهذا استبدلنا بها السكون الذي هو حركة في هذا المقام ، حركة لأنه يأتي في وسط الكلمة ، وفي بعض الكلمات يجوز إسكان الوسط وتحريكه .

وإذا قبلنا إلغاء الإعراب مع كل هذا واستبدلنا به السكون فما نحن صانعون بالشعر الذي يكسره كسراً تسكين أواخر كل كلمات الشطر أو البيت .

ولنترك الشعر من أجل خاطر الدعاة جدلاً لا حقيقة ، فما يكون موقفنا من القرآن ؟ أنقرؤه بدون إعراب ؟.

هنا كارثة الكوارث ، لأن القرآن يجب أن يتلى كما أنزل على محمد

---

[1] استعملنا الفوضى بمعناها العصري .

عليه صلوات الله وسلامه، وما تتم هذه التلاوة إلا بالإعراب، وإن تسكين آخر كل كلمة من القرآن الكريم إثم عظيم وقضاء على كتاب الله .

هنا السر، فالدعوة إلى إلغاء الإعراب يراد منها هدم الفصحى والقرآن والسنة وكل التراث الاسلامي العربي ، وإلا ليس الإعراب مشكلة ، لأن الاسم تختلف على آخره الحركات الثلاث ، وتمييز ما يجب أن يكون عليه حرف الإعراب ليس عسيراً ، وتمييز ما يجب أن يكون عليه آخر الفعل أسهل من الاسم .

فالإعراب ليس من العسر بحيث تتعذر معرفته ، ولكن دافع دعاة إلغائه حقد على القرآن لا يزيله إلا زوال القرآن ، ومعاذ الله أن يضيع كتابه المبين .

وما الفارق بين الفصحى والعامية ؟ أهي الألفاظ ؟ أهي المعاني ؟ أهي الأصوات ؟.

كلا ، ليست كل هؤلاء ولا بعضها ، فما يفرق بينهما الألفاظ ، واللفظ في نفسه ليس فصيحاً أو عامياً ، إذ يجوز أن يدخل في الفصحى لفظ أوجده العامة دون أن يتأثر بناء الفصحى ، بل لو دخلتها آلاف الكلمات الغامية فإن ذلك لن يضير لغة القرآن ولن يضعضع قواعدها ويزعزع مبانيها .

وقد دخلت لغةَ القرآن من لغات الأمم الأخرى آلافُ الكلمات فلم تغير معالم الفصحى ولم تدك صروحها ، وبقيت فصحى كما هي ، بل في القرآن كلمات معربة لم تستطع أن تؤثر فيه شيئاً .

والمعاني لا تحدد الفصحى ولا العامية ، وكذلك الأصوات .

والفارق الوحيد بينهما هو « الإعراب » فإذا ألغيته فقد ألغيت العربية في كل آثارها العظيمة ابتداء من القرآن الكريم .

فهذه الآيات الكريمة : (جُنْدٌ مَا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِنَ الْأَحْزَابِ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْتَادِ .

وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ أولَئِكَ الْأَحْزَابُ [1])
تفقد بيانها المعجز وبناءها القوي وجمالها الأخاذ وكل ما فيها من بلاغة وروعة وإعجاز إذا ألغينا الإعراب ، ولكي يظهر ذلك نقرؤها هكذا :

« جُنْدْ مَا هُنَالِكْ مَهْزُومْ مِنَ الْأَحْزَابْ. كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمْ نُوحْ وَعَادْ وَفِرْعَوْنْ ذُو الْأَوْتَادْ . وَثَمُودْ وَقَوْمْ لُوطْ وَأَصْحَابَ الْأَيْكَةْ أولَئِكْ الْأَحْزَابْ » .

إن إلغاء الإعراب بل مجرد تسكين أواخر الكلمات يفقد هذه الآيات جمالها وينقلها من أرقى بيان معروف إلى أسلوب عامي ، ويجعل حلقات السلسلة المترابطة مبعثرة، كل حلقة منفصلة عن الأخرى فلا يسمى مجموعها المنفصل سلسلة .

فإذا ألغينا الإعراب إلغاء تاماً وقرأنا تلك الآيات باللهجة العامية فقدت أسلوبها القرآني ، فإذا قرئت بعامية الحجاز انقلبت الذال دالاً حيناً كما في « كذبت » يصير « كدبت » وزاياً حيناً آخر ، فـ « ذو » يصير « زو » والقاف جيماً مصرية قاهرية ، والثاء سيناً كما في كلمة «ثمود» يصير « سمود » وينقلب في بعض الكلمات ثاء مثل ثلج يصير « تلج » .

أما في لغة مصر العامية فالجيم ينتقل من مخرجه إلى مخرج آخر ، والذال يصير دالاً والقاف همزة وهكذا .

فإلغاء الإعراب يلغي العربية إلغاء .

ومن هنا يظهر أن الإعراب هو الفارق الأكبر الأوحد بين الفصحى والعامية .

وسيتحطم عمود الشعر العربي الذي دعا لويس عوض العرب إلى تحطيمه اذ قال في كتابه « بلوتولند » ما نصه : « حطموا عمود الشعر العربي » .

---

[1] سورة ص ، الآيات ١١ – ١٣ .

سيتحطم بمجرد إلغاء الإعراب لأنه لن تكون هناك أوزان وبحور ، ولن يكون نثر كما لن يكون شعر ، وإنما كل ما يكون لدينـا كلام فاقد الجرس والحركة والحياة .

إن تركيب الكلمات ونظمها في شعر أو نثر معرب هو الذي يبين الفارق بين الفصحى والعامية ، أما اللفظ وحده في نفسه فلا يؤثر فيهما لأن من الجائز أن تنقل الكلمة العامية إلى الفصحى فلا يؤثر في سلامتها وجمالها .

ففي العامية العراقية : « نفنوف » لثوب المرأة « ودشداشة » لثوب الرجل ، و « قنطور » لخزانة الملابس ، فإذا نقلتهن إلى بيئة الفصحى وقلت : ما أجمل النفنوف على هذه الحسناء ، وما لهذا الرجل يخطر في دشداشته المهلهلة ، وازدحم القنطور بملابسي ، فلا ضير على الفصحى.

ومن هذا كله يظهر ان الإعـراب هو الفـارق الأكـبر الأوحد كما ذكرنا ، وإلغاؤه هدم للفصحى من أساسها .

وقام كاتب سعودي يجهل قيمة الحركة والإعراب في العربيـة فزعم زعمات تودي بالفصحى ، وقال في مجلة « الرائد » المحتجبـة بعددها الصادر في ٢٢ – ٣ – ١٣٨٣ دفاعاً عن شاعرة جاء في ديوانها هذا البيت:

يحميه صنين الجليل بشيبه   ويذود عنه المخلصون ويسهدوا

وفي البيت خطأ نحوي في « يسهدوا » وحقها أن تكون «يسهدون» وأشار اليه ناقد عف اللسان والقلم هو الأستاذ عبد العزيز الربيع ، فنهض كاتب جاهل فاقد الذوق يقول في رده على الربيع :

« استعملت فيه الجملة مخففة من النون المشار اليهـا ، وهو استعمال وان كان غير مفضل » .

ويقول هذا الكاتب الجاهل : « لا أقول حذفت منه النون كما قد يزعم زاعم أو آخرون ولكني أقول الفعل الذي جـاء طبيعياً في خلقه

وتكوينه ، إذ لم يكن هو في أصله ملصقاً بالنون ، بل هو حر مجرد منه منذ أن خلقه الله على ألسنة المتكلمين ، ولكن النحاة أو غير النحاة هم الذين زادوا هذه النون ، وقد أخطأ من عدها منهم أصيلة في الفعل، انها حدث عارض ألصق بالفعل في حالة خاصة ، وليست شيئاً أصيلاً نحي عنه ، وهذا فرق دقيق لا يدركه العائمون على سطوح اللغة بحثاً وحفظاً وتقعراً وادعاء عريضاً لا محل له من الإعراب » .

ويقول هذا المجهول الهدام : « إن علامات الإعراب لا تمثل اللغة ولا تحدد مفهومها العلمي الذي تحققه اللفظة والجملة ، فالعلامة حلية – مجرد حلية – للكلمة المفردة ، وهي بهذا الاعتبار لا يمكن أن تكون عضواً في جسم اللغة ، لأن العضو إذا بتر يشوه الجسم وينقص منه ، ولكن الحلية يستحيل أن تكون لها هذه القيمة الذاتية ، فأنت لو جردت الغانية الحسناء من كل حلاها الخارجية حتى الذهبية والماسية واللؤلؤية لظلت كما هي غانية حسناء ، وبشراً سوياً تام الأعضاء متكامل الاجزاء لا نقص فيه ، لان الحلية لا ينقص الجسم المحلى بها بنقصها ولا يزيد بزيادتها » .

هذه بداءة الحملة على الإعراب في بلادنا، قادها هذا المجهول فرددنا عليه عندما أطلق حابضه وسكت ينتظر الفرصة ليثب على اللغة .

إن هذا المجهول يجهل قيمة الحركة والإعراب ، ويدعي في وقاحة الجهلاء أن « العلامة حلية – مجرد حلية – للكلمة المفردة » مع أن العلامة جزء من الكلمة في بناء الجملة المفردة ، بل نخص الكلمة في بناء الجملة .

فإذا قلت : الشمس ، أو شمس لا تأخذ علامة الإعراب إلا إذا كانت جزءاً من جملة ، كأن يسألك سائل : ماذا ترى ؟ فتجيب : الشمس ، فالشمس هنا تقع في جملة ، أما الكلمات التي ترد في المعجم وتسرد سرداً فلا علامة إعراب لها .

وادعاء الجهول أن العلامة حلية مجرد حلية لا ينقص الجسم بنقصها ادعاء يدل على جهل وخرف ، كما يدل على انه يحقد على العربية مثل أعدائها الآخرين سادة هذا الجهول .

فإذا كانت العلامة حلية — مجرد حلية — لا ينقص الجسم بنقصها ولا يزيد بزيادتها ، وصح ما ادعاه وجب أن نستغني عن شيء لا قيمة له ، وأي هوان لشيء أبشع من ان يكون وجوده وعدمه سيان، ونقصه وزيادته على حد سواء ؟.

إن القصد إلغاء الإعراب وليس غير ، لان في ذلك تحقيق أمنية أعداء القرآن إذ يهدمونه حينئذ ، وقد مر بالقارىء رأي هذا الجهول الذي بلغ به الجهل ان يفقد إدراك أصالة الحركة في لغة القرآن ، وهي من صميم بناء الكلمة .

والدليل على ذلك ان اي حرف في الكلمة العربية لا يمكن النطق به الا بحركة .

ويبلغ الجهل بالكاتب حتى يزعم ان علامات الإعراب لا تمثل اللغة ولا تحدد مفهومها،مع ان العلامات هي التي تمثل اللغة وتحدد مفهومها ، ومن غيرها تفقد الفصحى روحها ويضيع المفهوم .

يقول الاستاذ العقاد :

« وعندنا — وعند انصار الفصحى اجمعين — ان مسألة القواعد قد فرغ منها في عصرنا ، فلا يجوز لنا ان نلغيها ولا ان نستحدث بديلاً يناقضها ، وكل ما يجوز لنا ان نتوسع في تطبيقها وان نقيس عليها ما يماثلها ، وان نحرص على بقاء نحوها وصرفها ، لان لغتنا — خاصة — لا تبقى بغير الإعراب،ولا تصح المشابهة بينها وبين اللغات التي لا إعراب فيها ولا اشتقاق ، لان قوام اللغات القائمة على النحت ولصق المفردات غير قوام اللغة التي تختلف بالحركة في كل موقع من مواقع الحروف ، ولا سيا الحروف التي يقع عليها الإعراب » .

« فليست اواخر الكلمات وحدها هي التي تتغير معانيها بالحركة ، بل يتغير معنى الكلمة بالحركة في اول الكلمة ووسطها حتى تتبدل من المعلوم الى المجهول ، ومن الفاعلية الى المفعولية ، ومن المتكلم الى الخطاب ، ومن التخفيف الى التشديد بلفظه ومعناه ، ونحسب اننا لم نستخف بالحركة ودلالاتها القوية في اللغة العربية الا بعد شيوع الكتابة وشيوع الظن بأن الحركة نافلة لانها لم تثبت مع الحروف ، ولكن حروف العلة كانت كذلك لا تثبت في اول العهد بالكتابة ، وهي ما هي من القيمة الجوهرية في معاني الاصول والمشتقات »[1] .

هذا ما يقول الفاهمون ، اما ذلك الكاتب الجهول فقد تلقف من دعاة إلغاء الإعراب دعوتهم الهدامة فجاء يدعيها ويعلنها ظناً منه ان « الابتداعية » و « الافكار التقدمية » هما هدم القرآن بهدم الإعراب .

هذا المسكين الجهول يتنفج بأنه « ابتداعي » وما ابتدع الا القذارة والسخف والوثنية والكفر والإلحاد ودعاوى الهدم ، ويدعي انه صاحب «الافكار التقدمية» التي شرحها سلامة موسى استاذ هذا الكتاب السعودي الجهول .

الافكار التقدمية عندهم الخروج على قوانين اللغة وقواعد الاسلام والقيم والاخلاق، واليوم وانا اكتب هذه الكلمة نشر هذا الكاتب السخيف الجهول في جريدة « البلاد » العدد ٢٠٦٢ الصادر في يوم الاثنين ٢٢ رجب ١٣٨٥ (١٥ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٦٥ م) كلمة في مديح مدرس يصفه بقوله : « شاب عاقل متفتح للافكار التقدمية » .

ومن « التقدمية » و « الابتداعية » اللتين يصف بهما نفسه ان يزعم ان « نون » يسهدون زاده النحاة او غيرهم ، ويزعم ان من عدها منهم أصيلة في الفعل خاطئون .

---

١ من مقدمة العقاد رحمه الله لكتابنا « الصحاح ومدارس المعجمات العربية » ص ٩ .

هكذا بوقاحة وكبرياء ، مع ان حرف « النون » هذا موجود قبل النحاة في الشعر الجاهلي وفي القرآن الكريم ، وهو أصيل في الكلمة لان يسهد ويسهدون وجدت في وقت واحد ، والنون في « يسهدون » علامة الرفع في « يسهد » .

ومنذ خمسين سنة وهذا الكاتب المجهول يتجنى على سيبويه والنحاة ويهزأ بهم لانهم قعدوا القواعد وصانوا بها اللغة وحرسوها ومنعوا عبث أمثاله بها ، فانبرى لسبهم وشتمهم والدعوة الى هدم الإعراب بهذا الاسلوب المخرب .

العلامة حلية مجرد حلية ، والحلية يستغنى عنها ، وهي لا تزيد الجسم بوجودها ولا تنقصه بنقصها .

هذا ما يفهمه من العلامة ، ويسوغ الاستغناء عنها بهذه الحجة ، حتى اذا قضي على الإعراب قضي على القرآن والحديث وكل تراث عربي صحيح سليم ، وبذلك يتم للحقود وسادته أعداء القرآن تحقيق مأملهم ، فيلغى بإلغاء الإعراب القرآن .

ويا ويل الانسانية إذا ألغي القرآن .

ولكن لن يستطيع الخلق جميعاً إلغاءه فالله حافظه .

غير ان من المؤسف أن يخرج من صفوفنا ومن أبناء امتنا العربية المسلمة أناس كهذا الجهول ومن اشرنا اليهم دون ذكر اسمائهم ترفعاً عنه وصوناً لنظافة كتابنا ، ويحملون رايات دعوات الهدم والتخريب .

الصحافة السعودية
تدعو للهـدم والتخريب

كان لدعوات الهدم والتخريب آثارها السيئة في أدبنا ، فقد ظهرت في انتاج بعض الكتّاب السعوديين ، وأشرنا الى الوثنية بنماذج من شعر كاتب سعودي ونثره ، وليست وقفاً عليه وحده ، بل يشركه في الوثنية والإلحاد نفر ممن رق دينهم وفسد خلقهم .

وان الحكومة والأمة مسئولتان عن ظهور آثار دعوات الهدم والمحو والتخريب في أدب هذه البلاد حتى تحميه وتطهره ، وفي كل نشاطهـا الفكري حتى تبعد عنه الوثنية والإلحاد وكل ما يؤذي كيانها الحق .

ونحن ذاكرون بعض آثار دعوات الهدم في كل ميادين النشاط الفكري والأدبي ببلادنا فوق ما ذكرناه في فصول سابقة ، فقد انتهت الينا وحملها أناس من ابناء وطننا وأخذوا يدعون اليها ويروّجونها ، ويستخدمون الصحافة لنشر المبادىء الهدامة وتضليل الناشئة ، وقامت الصحافة السعودية تحمل تلك الدعوات والمبادىء .

ومن الصحف التي تحمل دعوات الهدم : جريدة « المدينة المنورة » وجريدة « الجزيرة » وجريدة « عكاظ » .

ولا تخلو زميلاتها الاخرى من بذل نشاط في سبيل الترويـج لها ،

مع ان في نظام المطبوعات مادة صريحة تنص على انه « لا يجوز للصحف نشر ما يدعو الى الضلال والإلحاد او المبادىء الهدامة او ما يخالف العرف والتقاليد لهذه البلاد » .

وأراد النظام حماية بلادنا وحراسة مجتمعنا وديننا وخلقنا ومبادئنا وعرفنا وتقاليدنا من كل سوء وأذى ، ولكن ، ما مدى احترام الصحافة السعودية لهذا النظام ؟.

إن صحفنا تنشر الإلحاد والضلال ، وتدعو للمبادىء الهدامة ولما يخالف العرف والتقاليد .

وفيما يأتي من الصفحات امثلة جديدة على ذلك تضاف الى ما سبق ؛ تبرهن على ان في صحافتنا من يقومون بتنفيذ « مخططات » الاستعمار والصهيونية والشيوعية ، وكأنّ لها أوكاراً في دور صحفنا ، بل احسب ان لها الأوكار حقاً ، فليس من قبيل المصادفات ان نجد فيها ما يناقض الاسلام والقرآن ، وما يخالف نظام الدولة المسلمة وشريعتها السمحة العظيمة .

والا فما تفسير كل هذا السيل الذي تنشره الصحف او تنقله من غيرها مما تستحسنه ؟.

نعم ، ليس من المصادفات هذا الاتفاق بين الصحف وبين بعض الكتاب في نشر ما يهدم الاسلام ويزلزل الأخلاق ويزعزع العقيدة ويدعو علانية لمذاهب الهدم ومبادىء التخريب .

واذا انتفت المصادفات من العمل المشترك بين الصحف والكتاب بقي القصد والائتمار .

واذا كان ما نجد مما يخالف الاسلام والاخلاق منشوراً عفواً ومصادفة دون ائتمار واتفاق لكان النصح كفيلاً بإقامة المعوج وبإصلاح الخطإ والخطل والخلل والفساد ، ولكن العزم والاصرار والقصد والاتفاق ظواهر من الاستمرار في نشر ما يخالف الاسلام .

فالأمين العام للرابطة الاسلامية بمكة المكرمة — حرسها الله — دفعه

الاخلاص لدينه ووطنه وأمته ، والفزع مما ينشر في صحفنا الى توجيه نصح ، وتذكير القائمين على الصحف بما يجب عليهم ، فكتب نداء اسلامياً حقاً بعثه الى الصحف لتنشره ، ولكنها لم تنشره الا جريدة مكة المكرمة المسماة « الندوة » نشرت موجزه .

بل بلغ الأمر بجريدة « المدينة المنورة » ان تضيف الى اغفال نشر النداء الاسلامي الرائع نشر نقد موجه للرابطة ينفجر منه الهوى .

ودفعت الحمية الاسلامية والغيرة على الاخلاق والدين رجالاً كراماً خافوا على وطنهم وأمتهم ودينهم واخلاق مجتمعهم فكتبوا بياناً كريماً بهذه الاسماء الكريمة — وكلهم من أكابر الأمة الاسلامية علماً وفضلاً وصلاحاً — : علوي مالكي ، محمد امين كتبي ، محمد صالح قزاز ، حسن محمد مشاط ، احمد بن ابراهيم الغزاوي ، محضار عقيل ، محمد احمد شطا ، عقـل الجفري ، هاشم علوي ، محمد الهادي عقيل ، عبد الحي قزاز ، عبد الله كعكي ، صالح باخطمة ، محمد نور بن سيف .

وجعلوا عنوان البيان : «حول بيان الأمين العام للرابطة الاسلامية . نصيحة وتذكير » واستهلوه بقولهم :

« بسم الله الرحمن الرحيم . أحسن الله مثوبته لحضرة صاحب المعالي الأمين العام للرابطة الاسلامية الشيخ محمد سرور الصبان بما وجهه في خطابه العام المؤرخ ٢٥ ربيع الثاني ١٣٨٥ هـ الى الاخوان الاعزاء رؤساء تحرير وأعضاء مؤسسات وكتّاب الصحف المحلية « بمناسبة ما بدر في بعض الجرائد المحلية من نشر صور وأخبار عن المغنين والمغنيات وآلات الطرب ومزامير الغناء والراقصين والراقصات بصور تخالف الآداب العامة والتقاليد الاسلامية » فقد قام بهذا الواجب بحكم منصبه الكبير وعلاقته المباشرة بمختلف اقطار العالم الاسلامي الذي يستهجن كل الاستهجان ، وينكر كل الانكار صدور مثل ذلك في البلاد المقدسة التي هي مصدر الاشعاع ومهبط الوحي والقدوة الصالحة للأمم العربية خاصة والاسلامية عامة ،

وبوطنيته التي لا تملك الا ان تبذل النصيحة الواجبة ديناً على كل مواطن وكل مكلف وكل مسئول .

اننا كمواطنين نشعر بالحرج العظيم والمسئولية الكبرى تجاه هذه الظاهرة المقلقة والسمعة الشائنة ، والتي لا بدّ لها من علاج سريع حاسم ، يمحوها محواً من صفحات جرائدنا بصورة عامة قاطعة دائمة خشية من الله ووعيده « فيمن لا يعرفون المعروف ولا ينكرون المنكر ولا يتناهون عنه » .

ويقول بيان اولئك الأفاضل :

« وان « حرية الصحافة » لا تعني بحال الانطلاق فيما يضر ولا ينفع ، ويسيء ولا يحسن ، بل العكس هو الغاية من هذه الحرية » .

ولم ينشر هذا البيان الا في جريدة « الندوة » هي وحدها التي نشرته في العدد ٢٠١٥ الصادر في ١٨ جمادي الأولى ١٣٨٥ (١٤ سبتمبر ١٩٦٥ م) .

وحيا الله الندوة ، ولكن لا يفارقها اللوم ايضاً ، لأنها نشرت نداء الأمين العام مختصراً ، وكان واجباً عليها ان تنشره كاملاً .

ونسأل : أآتى نداء الأمين العام وبيان اولئك الأفاضل أي ثمر ؟ .

كلا ، بل ازدادت الصحف — وليست كلها — في نشر ما يتجهم له الدين ، كأن النداء والبيان كانا مهمازاً يدفعها الى الاسراف في نشر ما استنكراه واستبشعاه .

ان بيان اولئك الإخوة الأفاضل يقول : « اننا كمواطنين نشعر بالحرج العظيم والمسئولية الكبرى تجاه هذه الظاهرة المقلقة الخ » .

ويعلم الله ان هذا الحرج الذي اشار اليه بيانهم الكريم يلاحقني — كما يلاحقهم هم وكل مخلص لدينه — يلاحقني اينما كنت ، ويدهشون ان يكون ببلادنا المقدسة التي اكرمها الله وفضلها على كل بلدان الدنيا ما لا يتفق مع قدسيتها وشرفها وجلالها ، ولا يتفق مع القرآن الذي نزل بها ، والرسول الذي بعثه الله منها رحمة للعالمين .

وفي موسم الحج يبلغ الدهش بزعماء المسلمين وبمثقفيهم ومتعلميهم مبلغه ، فقد وفدوا الى الأرض المقدسة وهم يعتقدون انهم لن يروا الا الحق ، ولن يقرأوا في صحفها غير الخير ، فإذا هم يرون في صفحات جرائدنا باطلاً يمشي ، وحقاً يُضَيَّع ، ومنكراً يرفع رأسه ، وإلحاداً وكفراً ودعاوة لمذاهب الهدم والتخريب .

ومنذ سنة تلقيت رسالة من رجل غيور على الدين والبلاد المقدسة ، اسمه الشيخ « عبد الله الصفدي » يقيم في دمشق ، وها هي ذي رسالته بديباجتها ونصها :

« الى الاستاذ احمد عبد الغفور عطار . سلام الله على من اتبع الهدى — وبعد —

« كانت بعض الصحف السعودية تصل اليّ بواسطة [1] اصدقاء على صلة بالسفارة السعودية بدمشق ، وكنت اقرؤها وأنا سعيد لانها صادرة من البلاد الطاهرة المقدسة ، ولأنني اجد فيها الدعوة الحقة الى الله ورسوله ، والدفاع عن الاسلام ، ومحاربة الشيوعية واللادينية والكفريات التي تعيش في ربوع العروبة والاسلام وتسيطر على شعوبهما وتخرج بها عن جادة الاسلام .

« بلادكم هي البلاد الوحيدة التي ينفذ فيها شرع الله ، وتقام بها الحدود ، ويمنع فيها التعامل بالربا ، وتقطع يد السارق ، وحكومتكم هي الحكومة الاسلامية الوحيدة في العالم .

« وكنت اقرأ جريدتك « عكاظ » وكنت اعجب بقلمك العظيم ، ودفاعك البليغ عن الاسلام ولغة القرآن ، ومحاربتك للشيوعية وما ولدت من مذاهب باطلة ومبادىء سافلة ، وجهادك في سبيل الله لا تبالي غير الحق ولا تريد الا اعلاء كلمة الله عز وجل .

---

١ كذا بالأصل ، وأجازه بعض العلماء ، والأصح : بوساطة .

« وكنت كتبت في جريدتك « عكاظ » ورددت في صفحاتها أنها قلعة من قلاع الاسلام ، ومنبر من منـــابر محمد عليه الصلاة وعليه السلام ، وكان ذلك صحيحاً وحقاً ، فقد كانت عكاظ كذلك .

« فماذا حدث لك الآن . ان الأمر مختلف جداً ، فالحاضر ينكر الماضي ، وتنقلب جريدتك منبراً من منابر الدعوات اللادينية والشيوعية ، وقلعة من قلاع الكفر والبغي والفساد .

« لقد كنت في نظرنا مجاهداً عظيماً . وكنت أنا وإخواني ندعو الله ان يكون معك ويحفظك وينصرك ويعزك ، وبعثنـــا لك رسالة إعجاب وتقدير مني ومن اخواني .

« ولكن ، سبحان الذي يُغيِّر ولا يتغير . لقد تغيرت . ونظن ان الأموال التي ينفقها الشيوعيون والمستعمرون من اعداء الله ورسوله بلا حساب وصلت اليك فغيرتك . وبئس من يبيع دينه بدنيا فانية ! وتعساً لمن يشتري سخط الله برضاه .

« أهكذا تغير دينك وعقيدتك ومبدأك وسبيلك ، وتؤثر على الله أعداءه ، وعلى رسول الله شانئيه .

« أيها المجاهد النبيل ، أمن النبل والجهاد والاسلام ان تنشر في جريدتك الصادرة في ١٢ جمادى الثانية سنة ١٣٨٤ الموافق ١٨ اكتوبر ١٩٦٤ م أبياتاً مجونية سخيفة منها هذا البيت :

يامي هاتي بنت كأس واترعي   حسب المدامة ان تكفكف أدمعي

« أيجوز في بلد الاسلام الذي ينفذ شرع الله ان ينشر في جريدتك شعر فاسق ماجن ، ويطلب الشاعر من المخاطبة ان تقدم له بنت كأس ويأمرها بأن تترعها ، وحسبه ان المدامة تكفكف أدمعه ؟.

« أين الشريعة التي تطبق في بلادكم ؟ أين الغيورون على دين الله ؟ أين الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر ؟.

« أوصلت المسألة الى المجاهرة بالسوء حتى ينشر علناً للمسلمين في بلد الاسلام ؟.

« خمر يطلبها شاعر من امرأة ؟ سبحانك هذا بهتان عظيم .

« وفي نفس العدد مدح لرأس مـــن رءوس الكفر دونه من أهدر الرسول دماءهم ولو كانوا متعلقين بأستار الكعبة ، ودونه جميع من حاربهم الرسول صلى الله عليه وسلم وخلفاؤه الراشدون .

« في نفس العدد مدح لأكبر رأس من رءوس الكفر والإلحاد في هذا العصر ألا وهو خروشوف .

« سبحانك ، هذا بهتان عظيم ليس بعده بهتان . شيوعي ينكر وجود الله تمدحه في جريدتك ! تمدح شيوعياً من اكبر أبالسة الشيوعية بل كان اكبرهم .

« كافر يدين بالشيوعية التي تجحد وجود الله وتكفر بالرسل وتنكر الدين كله . كافر هذا شأنه تمدحه بجريدتك (ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك انت الوهاب) .

« تذكر ما أعد الله للمنافقين ولمن يوالون من حـــادّ الله ورسوله (لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله) تذكر ، فان عذاب الله شديد .

« فإذا تبت واهتديت ورجعت الى الطريق المستقيم نجوت (قل للذين كفروا إن ينتهوا يغفر لهم مـــا قد سلف وإن يعودوا فقد مضت سنة الأولين) والا فـ (من كفر بالله من بعد إيمـــانه إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان ولكن من شرح بالكفر صدراً فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم * ذلك بأنهم استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة وان الله لا يهدي القوم الكافرين * أولئك الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم وأولئك هم الغافلون * لا جرم أنهم في الآخرة هم الخاسرون) .

والسلام على من اتبع الهدى » .

هذه رسالة الشيخ الفاضل الغيور على دين الله وشريعته الأستاذ عبد الله الصفدي لم أحذف منها شيئاً .

ويعلم الله ان سروري بهـا كان عظيماً ، فقد دلت على ان لي في نفسه المؤمنة مكانة عظيمة ، ولي في قلبه مودة صـادقة ، وآية هذه المودة وتلك المكانة غضبه المشتعل في سبيل الله ، فقد هاله ان يُفْجَع في رجل ظنه مجاهداً ، وفي مجاهد ظنه صادقاً ، فكتب له تلك الرسالة الكريمة .

ان البغض على قدر الحب ، فهذا البغض الذي أبغضنيه لا حدّ له لأنه بغض في سبيل الله ، وشغل « المساحة » الكبيرة التي كانت لحبه في الله أيضاً .

وأجبته : أنني لست مالكاً لعكاظ الآن ، ولا دخل لي فيهـا ، ورجوته ان يعود الى العدد الذي أشار اليه ويرجع الى رأس الجريدة ليتأكد خلوه من اسمي ، فلست صاحب امتيازها ولا رئيس تحريرها ولا مدير التحرير ، ولا علاقة لي بها .

وبشرته أني على العهد الذي يعهد ، وايماني بالله لن يتزعزع بفضله ونعمته ، ولن تستطيع أموال الدنيا ومفاتنها جميعاً ان تشتري مني ديني ، ومستعد للموت في سبيل الله .

وبعثت اليه « قصاصات » من الصحف التي كنت أنشر فيها كلماتي ليعلم اني كما يعهد ، بل يزيدني مرور الأيام اعتصامـاً بربي وتمسكاً برسولي الأعظم محمد عليه صلوات الله وسلامه الخ .

فإذا رسالة تردني منه جواباً على رسالتي ، وهذا نصها الحرفي بالديباجة :

« الى المجاهد الحق المسلم الصالح الأستاذ أحمد عبد الغفور عطار أيده الله بروح منه .

« السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

« لقد تسلمت رسالتكم ولا تسل عن سروري ، وحدث عنه ولا حرج . وحمدنا الله الذي أعاد الى أنفسنا الثقة بك ، ولئن كان لك من قبل في نفوسنا الحب العظيم من أجل الله وحده فانه الآن أعظم .

« أيها الأخ الكريم ، أحببناك لله وأبغضناك لله . ولما علمنا ان الجريدة انتقلت منك الى غيرك ، ولا علاقة لك بها استغفرنا الله كثيراً على تسرعنا ، وابتهلنا اليه سبحانه وتعالى ان يتوب علينا ويغفر لنا تسرعنا الذميم إذ ظننا في مجاهد عظيم ظن السوء .

« نستغفر الله من هذا الذنب العظيم ، وندعوه مخلصين ان يغفر لنا ذنوبنا ويكفر عنا سيئاتنا ، ونرجوك وانت الكريم الصالح ان تصفح عنا وألا تؤاخذنا بما فعل التسرع وسوء الظن بنا . وانت تعلم سبب ذلك وهو اعتقادنا ان الجريدة لك ، ولم نلاحظ التغير في رأس الجريدة ، فسامحنا واصفح عنا لوجه الله .

« لقد سررت انا وكل المحبين لكم من رسالتكم ، وحمدنا الله كثيراً ، ودعونا لكم ، وابتهلنا اليه جل شأنه ان يؤيدكم بنصره وبروح من عنده .

« ونكرر رجاءنا في ان تصفحوا عنا ، كما نرجوكم ان ترفعوا الأمر لأولي الأمر حتى يغيروا المنكر قبل ان يعم الشر ويبلغ السيل الزبى حفظاً للبلاد المقدسة واعلاء لكلمة الله .

« إن الأمل في الله جل وعلا ان ينصر دينه ، والأمل في بلادكم المقدسة التي نتوجه اليها في صلاتنا التي هي عمود ديننا ان تكون كالعهد بها منذ ان اكرمها الله فبعث منها خير خلقه محمداً صلى الله عليه وسلم الى يومنا هذا وما بعده ان شاء الله .

وفي الختام ، تقبلوا عذرنا واصفحوا عنا لا تؤاخذونا على تسرعنا ، وندعو الله ان يؤيد دينه وأنصار دينه ، ويعز الاسلام والمسلمين .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ورضوانه » .

وما اكثر الذين يظنون حتى اليوم ان « عكاظ » ملكي ، بل من ابناء وطني من يحسب بل يعتقد ان لي فيها نصيباً كبيراً ، فيلومونني ويعتبون ، وعندما يعلمون ان صلتي بها مقطوعة يأسفون ويعتذرون .

ويعلم الله انني اتصلت بكل جريدة من جرائدنا ناصحاً وراجياً ان تنصر الاسلام وتعزه ، وتعلي كلمة الله ، وتشغل نفسها بما يعود عليها وعلى وطننا وأمتنا وعلى المسلمين بالخير ، فبعضها يتظـــاهر بالرضا ، وبعضها تأخذه العزة بالاثم ، ، وان كان النصح لا يجدي .

وان كثيراً من ذوي الغيرة على الاسلام يستنكرون ، ويدهشون من جرأة بعض صحفنا على نشر ما يخالف ديننـــا ونظام حكمنا وتقاليد وطننا وامتنا ، ونشر ما فيه دعوة الى هدم لغة القرآن وهجوم عليها ، مما يدل على ان صحافتنا مسخرة للدعاية لمن يخالف الاسلام او يعاديه او يجحد وجود الله وينكر الرسالات والرسل .

مجدت « خروشوف » الذي يعترف هو نفسه بأنه لا يؤمن بوجود الله وانه من أشد الكافرين به .

ومجدت الشيوعيين الذين خلفوا خروشوف .

ومجدت الصحف « نهرو » ورثته رثاء بليغاً رائعاً ، فهو « رسول السلام » وهو « الانساني العظيم » الى آخر ما جاء في مدائحها اياه .

ولم أجد في كل ما كُتِب عن نهرو بصحفنا أي نقد له ، كأن كل أعماله وأقواله كانت آية في الصلاح والسلام والانسانية .

وقامت الصحف في « مظاهرة » عظيمة عند وفاته ورفعته الى أرقى المراتب الانسانية وأعلى الذرى .

وحينما كانت صحفنا مشغولة بتمجيد « نهرو » سمعت من إذاعة إسرائيل رثاء لنهرو ، ولكنه كان يخالف ما نشر بصحفنا .

ونهرو صـــديق إسرائيل ، واحتفل في أمريكا بوزيرة خارجيتها

« قولدمائير » ودعاها الى حفل عشاء اقامه لها ، وبين الهند وإسرائيل علاقات حسنة وصلات مودة .

ومع هذا لم تمدحه اذاعة إسرائيل مثل مديح صحفنا ، ولم ترفع من شأنه كما رفعنا ، بل ذكرت له محاسن من وجهة نظرها ، ثم حاسبته على « أخطاء » له وذكرتها .

اما صحفنا فلم تنسب اليه خطأ واحداً ، وموقفه من الاسلام والمسلمين في الهند معروف ، فقد احرق الهندوس على مرأى منه ومسمع اكثر من خمسمئة قرية اسلامية ، واحرقوا عشرات القرى بسكانها فما حرك ساكناً لأنه كان مشغولاً بالسلام والانسانية .

وسلوا صحافة الهند نفسها عن هذه المذابح، فقد اشارت - أغلبيتها - اليها فرحة شامتة ، وبعضها النادر اشار اليها مستنكراً ، ولم تشر الصحافة العربية في كل اقطار العربية اليها .

وقد سبق لي ان نشرت في جريدة « عكاظ » عندما كانت ملكاً لي وحدي نقداً لنهرو على احتفائه بوزيرة خارجية اسرائيل ، وكدت اتعرض لشيء من الأذى لولا فضل الله ثم يـــد عليا ، ونشرتُ بعد ذلك عن سعادتي بكل ما ينالني في سبيل الله .

ولم ينشر - قط - في صحفنا أي نقد لنهرو ، حتى اذا مـــات قامت مظاهرة الحفاوة والتكريم وعرض السيرة العطرة .

وينسى هؤلاء الذين سبحوا بحمد « نهرو » وملأوا أنهـــار صحفنا بتمجيده وحمده ومدحه ولم يذكروا عنه الا كل عمل صالح وقول جميل كأنه ملك كريم او رسول عظيم ، وأسلوبهم في مدحه وتمجيده ينم عن اثبات العصمة والكمال له .

ينسى هؤلاء ان لنهرو أخطأ أحصاها عليه تابعوه والمعجبون به ، واعمالاً تدل على حقد على الله ورسوله وعلى الاسلام .

ويذكر هؤلاء الكتاب الذين مجدوا نهرو ان كتاب « تراجم الزعماء

الدينيين » الذي اصدره وقدم له كانيا لال منشي حاكم ولاية اتربرديش بالهند هزأ بالله وبالقرآن وبرسوله وبالإسلام والصحـــابة وذكرهم أسوأ ذكر .

وقُتِل من المسلمين في الهند بسبب هذا الكتاب مئات وشُرِّد آلاف وهُدِّت مساجد وأحرقت قرى ، ولم ينفع احتجاجهم ، حتى ان زعماء المسلمين في الهنهد ونوابهم في البرلمـــان الهندي قدموا مذكرة الى نهرو يحتجون فيها على هذا الكتاب الذي ذكر الرسول بما يفرض على المسلمين ان يعلنوا الحرب على من حموه ونشروه .

ولكن نهرو لم يأبه باحتجاج أربعين مليون مسلم يسكنون الهند ، — وكان هذا عددهم سنة ١٩٥١ م — بل ترك الكتاب حراً تتداوله أيدي القراء ، فاذا احتج مسلم أُخِذ بالشدة ، حتى ان طلبة جامعة «عليكرة» قاموا بمظاهرة سلمية رجاء « مصادرة » الكتاب ، ولكن نهرو (رسول السلام ونموذج الإنسانية) لم يسمع رجاءهم ، بل سُجِن زعماء هؤلاء الطلبة المسلمين لأنهم قاموا يستنكرون ما وصم به رسولهم ودينهم وسلفهم الصالح .

وأذكر بعض جمل مما ورد في ذلك الكتاب في حق الله ورسوله وفي حق الإسلام والصحابة وأمهات المؤمنين ليكون القراء على علم .

جاء في هذا الكتاب الخبيث ما ترجمة نصه الحرفي بقلم غيري :

« وقد تم عرس محمد بخديجة بحيلة ماكرة ، فوالد خديجة لم يكن يهتم بتراكم السنين في عمر ابنته بقدر ما كان يفكر في مجرد مـــا في كيسها فقط ، ولذلك لم تكن لديه أدنى فكرة عن تزوجها من يتيم معدم فقير ، ولم تجرؤ خديجة على ان تخبره بقرارها الأخير ، غير انها عتقت كأسه بخمور قوية مما جعلته سكران ولم يفق من ذهوله وسكره الا بعد ان حضر العرس وسلم ابنته » .

و « انسلّ محمد من السوق وتسلق قمة جبل طلباً لإجازة قصيرة

وهنا – كما تقول الأسطورة – هدوء الليل الخ » .

و « هذا الزوج الغليظ الذي تزوج من ربــة الأعمال خديجة هل تمكن ان يكون نبياً لدين جديد ؟ » .

و « ضاق الله وكره هذا العالم الذي خلا من دينه » .

و « تردد محمد في أول الأمر في ان يدعو العالم إلى دينه الجديد ، ولم يكن التصريح بأن أصنام مكة لم تعد لهــا السيادة ، وان محمداً هو الكاهن الأكبر ومفسر كلمة الله الخ » .

و « أطلقوا على هؤلاء المتآمرين اسم « المسلمين » وهي كلمة عربية تعني « الخونة » وقد تباهى المسلمون باسمهم هذا » .

ويقول في وصف الرسول صلى الله عليه وسلم : « روحاني مفتون مسلوب اللب » .

و « هكذا نجحت مؤامرة الله في ان يفرض نفسه على الثلاثمئــة والتسعة والخمسين أخاً وأختاً من الآلهة » .

و « نادى محمد مسلميه لأن يخرجوا ... وفي يــوم محدد انطلق التائهون الى صهيون الجديدة » .

و « كان دخول محمد للمدينة مظــاهرة من مظاهرات النصر ، وجاءت القبائل بعضها تلو بعض تعرب عن تأييدها له ، وانحنت رءوس عدد غفير من البدو لعبادته » .

و « أعلن محمد بما أثر عنه من ذكاء رجل الأعمال الشديد – وهو الذكاء الذي أطلق عليه صحابته اسم الوحي الالآهي – انه يتلقى أوامره مباشرة من الله من طريق كبير الملائكة جبريل ، وكان بعد كل لقاء بينــه وبين جبريل أو كل غيبوبة إلآهية يتفجر في سيل من الأشعار المطربة والخطب العاطفية » .

و « القرآن نظام معقد من القوانين الخاصة بالأعياد والغفران والصلاة، وهو عقد اجتماعي بين الله والإنسان » .

و « تغلب محمد على الله ونال رحمته بتخفيض عدد الصلوات اليومية إلى خمس من أجل موسى » .

و « كان الإسلام مجرد طائفة صغيرة مغمورة في إحدى المدن العربية القديمة حين قرر النبي فجأة وبمس من الألمعية الحقود أن يحول رسالته إلى حرب صليبية مذهبية قوية ، وقد جعل من تلاميذه الذين اخشوشنوا بفعل قوة الصيام محاربين متوحشين » .

و « بهذا بدأ دور الإسلام الإيجابي ولم تعد جاذبيته تقتصر على الأقلية الورعة بل تعدى ذلك إلى الأغلبية الشريرة » .

و « هجم أهل مكة بأعداد ضخمة فألقى محمد نفسه على الأرض ليتظاهر بأنه قد قتل ، ودخل في روع أهالي مكة أنهم قد كسبوا المعركة فانسحبوا من المدينة المحاصرة وكفوا عن القتال فتغير بذلك مجرى التاريخ » .

و « تابع محمد خطته لتحويل العالم كله إلى مسلمين ، وقام بتطبيق سياسة « فرق تسد » كما فعل قيصر من قبله ، فاتجه أولاً إلى القبائل اليهودية في المدينة وطلب منها الإيمان بالله فردت عليه بأنها لا تعرف استخدام الأسلحة وأن كل ما يهمها هو عبادة ربها ، فما كان منه إلا أن ذبحها » .

و « عرف محمد أن العربي مولع بتعدد الزوجات وكان من الصعب تحريم هذه العادة فحدد أربع زوجات لكل رجل على أن يكون هذا هو الحد الأقصى لهن ، واستثنى من هذا القانون الصارم شخصاً واحداً هو نفسه ، وكان يقول: إن ارادة الله تقضي بأن يكون الجمال كله خاضعاً لرغبة رسوله » .

و « هكذا مضى تاجر الجمال البدين الذي كانت تنبض عروقه غضباً وتشع عيناه رقة والذي كشر عن أنيابه ، ومضى يقتل ليصل إلى السلطان وينظم الشعر » .

و « كان محمد لا يفتأ بين الحين والحين يؤكد ضرورة توسيع محيط دينه بأن يصب فيه أنهاراً من الدماء » .

و « مات بين ذراعي أصغر محظياته وأجملهن وهو يتوقع تماماً ان يصحو ثانية وهو بين ذراعي امرأة جميلة أخرى،ومضى أتباعه المتوحشون يبحثون عن الجميلات بحد السيف» .

هذا بعض ما جاء في هذا الكتاب القذر ، وهو يدل — إلى جانب حقد الكاتب وسفالته وخسته — على جهل مطبق بواقع التاريخ الصحيح الذي لا شبهة فيه .

هكذا يُسْخَر بالله ، ويُقْذَف رسول المسلمين شر قذف ، وينسج الكاتب الخبيث من الأباطيل والأكاذيب على رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يكذبه صدق التاريخ ، فإذا احتج المسلمون في الهند اضطُهِدوا وقتِّلوا وشرِّدوا وأُحرِقت مساجدهم وقراهم ومزارعهم ، فإذا طلب أعضاء البرلمان الهندي المسلمون من « نهرو » بوصف كونه « رئيساً للوزراء » أن يراعي شعور المسلمين في الهند وفي غيرها وهم يبلغون في العدد أكثر من سكان الهند لا يحرك ساكناً ، ويبقى الكتاب متداولاً بين الناس تحت حماية نهرو وحكومته .

أي تحطيم لكرامة المسلم أكثر من هذا ؟ ومع ذلك يتسابق كتابنا وصحفنا إلى مدح «نهرو» وتمجيده دون أن يشيروا إلى خطأ من أخطائه الكثيرة .

وما ثم خطأ أبشع من هذا ؟.

وتشرشل عدو العرب والمسلمين الذي يهزأ بالإسلام وبمحمد عليه الصلاة والسلام عندما كان ضابط الخيالة في الحملة البريطانية للقضاء على حركة المهدي في السودان سنة ١٨٩٨ م[١] نجد من كتابنا وصحفنا دموعاً

---

١ انظر كتاب « حياة الشرق » للطفي جمعة رحمه الله ، فقد ذكر تحامل تشرشل على الاسلام ورسوله وتطاوله عليهما بالشتم والسباب .

مسكوبة يوم وفاته ، ويؤبنونه ويمدحونه .

بل بلغ الاهتمام بتشرشل حداً بعيداً ، حتى أن جريدة « عكاظ » المسلمة التي تصدر بثغر مكة حرسها الله ، والتي تعلم تطاول تشرشل على الإسلام ورسوله ، وشتمه العرب في « مذكراته » تهتم بـه حتى تنشر بالزنكوغراف خط تشرشل بالعـــدد ٩٧ الصادر في ١٢ شوال ١٣٨٤ (١٣ فبراير – شباط – ١٩٦٥ م) .

أنهم يذمون ديننا ويسخرون بالله وبرسوله ، ويخرج من صفوفنا من يمجد هؤلاء في صحفنا ويمدحهم .

تالله ، ان هذا هو الضلال المبين .

بل بلغ بصحفنا الأمر إلى حد لا أستطيع وصفه، حتى انها أصبحت صورة لمجتمعات أعداء الإسلام لا لمجتمعنا المسلم .

كأن صحفنا لا تصدر ببلادنا المقدسة ، فإذا جردتها من «الإعلانات وجدت أن نصيب بلادنا منها يشغل من صفحاتها مكاناً أصغر بكثير مما يشغله الشرق والغرب وغيرهما من الدول اللادينية .

حتى الحكم والأمثال التي تُتيم بها الصحف بعض ما في أعمدتها من فراغ هي من الأمثال والحكم غير العربية والإسلامية .

والألغاز التي تنشرها أحياناً والمسابقات تمثل بيئات معادية .

إن صحفنا تمثل بيئات أجنبية ، وتشعر شعوراً أجنبياً ، وعلى أحسن الأقوال تشبه صحف البلدان التي خرجت على نطاق الإسلام .

وقامت صحفنا بتوجيه الشباب الى اللادينية بزخرفة كتب الباطل التي تهاجم بعض الصحابة الأجلاء، كما استباحت لنفسها الأدب الماجن والكفر والإلحاد والصور الخبيثة .

فجريدة « المدينة المنورة » التي تحمل هذا الاسم الاسلامي رأت ان وصف المدينة بالمنورة لا يتفق مع التقدم الحضاري والتحرر فأخفت كلمة « المنورة » وبقي اسمها « المدينة » وبذلك نزعت الثوب الديني أو الاسم

الديني ، ويصبح « العلم » صفة عامة ، ولا يعرف القارىء ما «المدينة» المقصودة .

حملت أكثر من ربع قرن اسم « المدينـــة المنورة » ثم أرادت أن تتخفف من « المنورة » فنزعتها من السطـر وحبستها في نقطتي التاء ، ولا يفطن لها أحد ، وفعلت ذلك قصداً واحتيالاً ، فاذا لامها مسؤول نخشى بأسه أجابتـه أن « المنورة » موجودة ، وإذا لم يفطن لها أحـــد وألف الناس « المدينة » وحدها حذفت « المنورة » أو بقيت سجينة في ظلمة نقطتي التاء .

إن المسلمين جميعاً لا يكتبون اسم المدينة مجردة من المنورة ، وندر أن ينطقها أهل هذه البلاد مقطوعة الصفة .

صار اسم جريدة « المدينة المنورة » الآن « المدينة » آية على المدينة والتمدن وإشارة اليها ، حتى رمز المدينة أو شعارها المتخذ من قبل من أنشآها قبل ثلاثين سنة أزاله من تولى أمرها من الجدد .

كان ذلك الشعار قبة ومئذنة ، واليوم تصدر « المدينة » بغير هـــذا الشعار ليكمل لها التجرد من الثوب القديم .

ومن كمال التحرر و « التقدمية » والتحرر من الرجعية أو « السلفية » التي يمقتها سلامة موسى وأعداء الإسلام خصصت صفحـة للفن والطرب والمطربين والمطربات والمغنين والمغنيـــات وذوات الشهـرة المقيتة وعنيت بأخبارهم وقصصهم .

وعلى سبيل المثال : العدد ٢٨٧ من جريدة « المدينة المنورة » الصادر في يوم الجمعة المبارك ١١ شوال ١٣٨٤ هـ (١٢ فبراير ـــ شباط ـــ ١٩٦٥م) خصصت الصفحة الرابعة للفن ومما جاء فيها عنـوان أو عنوانان بارزان على أربعة أعمدة وبخط جميل وهما :

« هيام يونس .. شاعرة قبل أن تكون مغنية » .

« مؤامرة دبرتها لـ « أحمد رامي » ! » .

وبدأ القول هكذا :

« قبل فترة .. زار لبنان الشاعر الغنائي الكبير « أحمد رامي » وتم التعارف بينه وبين الفنانة اللبنانية المعروفة « هيام يونس » وقيل له قبل أن يتعارفا : ان هيام يونس تتمتع بموهبة شعرية إلى جانب الموهبة الغنائية.. وكان ان فاجأها « أحمد رامي » حين التقيا طالباً أن تسمعه بعضاً من شعرها .. وقبل ذلك دار بينهما الحوار التالي :

« رامي – سمعينا يا هيام من شعرك .

« هيام – وقد ردت خجلة – جئنا نسجد في محرابك يا شاعرنا الكبير .

« وأعجب رامي بالجواب ، ولكنه قال :

« إيه ده يا اخواتي ! انت يا بنت جايه تسحريني .. دي مؤامرة علي .. ما ارضاش أبداً .

ثم كان أن أسمعته هيام قصيدتها الأولى – الكأس الأولى – ثم قصيدتها الثانية – قطعة السكر التي تقول فيها » إلخ .

« جئنا نسجد في محرابك » وبقية الكلام واضحة الدلالة على ما كان في الجلسة الفنية .

ويظهر أن جريدة « المدينة المنورة » خافت فلم تنشر قصيدة «الكأس الأول » وعنوانها يدل على أن في هذه الكأس ما يجرح الذوق والحياء والعفة فلم تنشرها ، وحسناً ما فعلت .

أما القصيدة التي نشرتها لهيام نفسها وعنوانها كما ذكرت « قطعة السكر » فهي قصيدة تتفجر فيه المراهقة والشهوة والجنس ، ومنها :

يا حلو يغريني
زهو الثلاثين
في وجهك الأسمر

والنظرة الحيرى
تطوف بي سرا
وتطلب الأكثر
كم بت تروي لي
شتى الأقاويل
عن كل ما يذكر
تقـول عيني
وورد خدي
وشالي الأحمر
صبغت باتقان
من زهر نيسان
يفوح بالعنبر
واني عندك
أعز ما يدرك
وأغلى ما ينظر (كذا)
قل لي متى تأتي
يضج في بيتي
العود والمزهر
سأرهف السمع
وأوقد الشمع
أهفو لهمساتك
ووقع خطواتك
في دربنا الأحمر
في خافقي تكبر
يا قطعة السكر
يا حلو يا أسمر »

وأنا لا أتحدث عن الإطار الشعري ولا الأسلوب بل « المحتوى » الذي يضج بالشهوة العارمة،ويلح فيه النداء من عينها وورد خدها وشالها الأحمر المصبوغ باتقان من زهر نيسان ، وتعد الأسمر الذي يبلغ الثلاثين من عمره وهو العمر الذي ينضج في الانسان إدراكــه للجنس وشعوره بلذته وتكمل الوقدة وتشتد الرغبة ، تعده بأنه متى يأتي ضج في بيتها العود والمزهر .

ويتهيأ الجو الذي يتفق مع العود والمزهر والشال الأحمر والشمع الموقد، فتمتص قطعة السكر إلخ .

أليس الجنس جوهر الغرائز ومصدرها كما يزعم « فرويد » وكما زعم ان الأبناء اقتتلوا على أمهم طمعاً في الفوز بها بعد ان قتلوا أباهم الأناني الذي كان يتفرد بها دونهم .

أليست الحيوانية هي المصدر وهي كل شيء ؛ ويجب ان يكون لها السلطة دون غيرها كما يزعم دارون ، ويزعم ألا وجود للانسانية بل الحيوانية هي الوجود الحق .

بلى ، والجواب من هيام وأمثالها ومثيلاتها ومن المراهقين ، فما قيمة الفضيلة والأخلاق والمثل والدين ؟ الغريزة وحدها ، الحيوانيــة وليس غير ، فالانسانية قشرة الزيف التي يجب أن تزول وتمحى ليعود المعدن إلى أصله ويظهر لونه الطبيعي الأصيل .

اذن ، لنُلَبِّ نداء الغريزة .

ويظهر أن جريدة المدينة المنورة تهتم بهيام يونس كثيراً ، فقد جعلتها ممثلة الغناء السعودي ، بل ذكرت ان أحمد رامي قال لها : إن الغنــاء السعودي جزء من صوتها وتعبيرات وجهها .

بل يظهر أن جريدة « المدينة المنورة » مولعة بنساء آل يونس ومتتبعة لخطواتهن فنشرت في العدد ٤٥٧ الصادر في ١٠ جمادي الأول ١٣٨٥ هـ (٥ سبتمبر – ايلول – ١٩٦٥ م) خبراً شديد البروز في الصفحة الخامسة

بعنوان أبيض في خمسة سطور على لوحة سوداء ، والعنوان هو « طلاق في ثمنه ١٣٥٠٠ ليرة لبنانية » ونشر هكذا :

طلاق في ثمنه ١٣٥٠٠ ليرة لبنانية

أما الخبر فهذا نصه :

« تم في مطلع الأسبوع الماضي طلاق النجمين : نزهة يونس ، وإحسان صادق بعد زواج دام أربع سنوات ، وخلاف طال ثلاث سنوات ، وانفصال استمر سنة .. وقد كلفهما هذا الطلاق ١٣٥٠٠ ليرة لبنانية ... دفعت منها نزهة ١٢ ألف .. ودفع إحسان ١٥٠٠ فقط » .

بشرى سعيدة لمن يهتمون بنزهة يونس ، فها هي ذي الآن طليقة من وثاق الزواج ، لقد طلقت،فهلموا يا راغبين كما يقول لسان الحال .

ما قيمة هذا الخبر ؟ وما حاجة مجتمعنا الإسلامي إليه ؟ من هي نزهة يونس حتى نهتم بخبر طلاقها وشؤونها وما أنفقت للطلاق .

اثنا عشر ألف ليرة تنفقها نزهة يونس للطلاق !!.

أيصدق القارىء المسلم أن هذا الخبر تنشره جريدة المدينة المنورة التي تحمل اسم أفضل بلد في الوجود بعد مكة المكرمة حرسها الله وحرس المدينة المنورة ، مهاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟.

من هذه المرأة التي تهتم بها جريدة ؟ أليست من اللاتي ينقم منهن الإسلام ؟ لو طبق الاسلام حقاً لكان جزاؤها شديداً وعذابها أليماً ، ولكن ، حتى جريدة بلد الاسلام تزف هذا الخبر إلى القراء .

ويبدو ان جريدة المدينة تحرص اشد الحرص على ان تواصل اهتمامها بأمثال هؤلاء ، ففي العدد ٥١٢ الصادر في يوم الاثنين ١٥ رجب ١٣٨٥ (٨ نوفمبر – تشرين الثاني – ١٩٦٥ م) نشرت خبراً هاماً لديها وضعته في إطار يبرزه ، وها هو ذا بعنوانه :

« من هي .. »
« ممثلة سينمائيـــة معروفـــة .. »
« تنتظر انتهاء فترة الحداد على »
« شقيقتها لتعلن خطبتها على منتج »
« سينمائـي شاب اقـترن اسمـــه »
« بعدد كبير من الأفلام الناجحة .»

هذا ينشر في جريدة تحمل اسم « المدينة المنورة » مهاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وانه لظلم مبين لهذا الاسم الطاهر المقدس المحبوب.

ويظهر ان للمدينة – وأقصد الجريدة ومعاذ الله ان اريد مهاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم – سياسة خاصة لا يهمها في تطبيقهـــا وتنفيذها الاسلام ولا دعوات الحق ، وعلى سبيل المثال أذكر هذا الحادث :

بعثت لها مقالاً بعنوان « الأدب المكشوف » ونشره رئيس تحريرها – وكان حينئذ الأستاذ عبد الحميد عنبر – في العدد ١٥٩ الصادر في يوم الاربعاء ١٧ جمادى الأولى ١٣٨٤ (٢٣ سبتمبر – أيلول– ١٩٦٤م) ومما جاء فيه :

« خلال عشر السنوات الاخيرة استفحلت شرور الانحلال الخلقي في العالم العربـي كله ، وانبعثت ريح الفجور فدخلت إلى الأحرام المقدسة، واتخذ الهدامون وسائل مغرية وخفية للوصول الى تحقيق آرابهم ، ونجحوا نجاحاً باهراً يدل على حذق ومهارة وألمعية .

« فكتب الجنس المكشوفة الموضحة بالصور تباع في الأسواق وعلى أبواب بيوت الله في المكتبات بحجة ان ما بها من عـــلم يجب ان يكون

الشباب على بينة منه حتى لا يقعوا فيما يضر ، ولا حياء في العلم، وطلبه يبيح الاطلاع على المستور من العورات كما يباح للطبيب .

« هذا خداع يراد منه تغطية الباطل او تغليفه حتى يعبر باسم الحق الى مداخل النفوس والعقول .

« وقصص الجنس والشعر الماجن الخليع والادب المنحط — كل هؤلاء — تجد سوقاً رائجة واقبالاً من الشباب والمراهقين ومن في حكمهم من الرجال والنساء فتدغدغ شهواتهم وتدفع اصحابها الى الموبقة.

« ففي بريطانيا منع الرقيب كتاباً لمؤلفة وضعت في غلافه صورة لها مكشوفة الساق ، ومُنِعَتْ كتب فاسقة هي أنظف من كثير من الكتب التي تباع في الاسواق .

« وفي امريكا نهض عشرات الآلاف من الغيُر على الاخلاق والآداب العامة بحملات تحارب أدب الجنس وما يتصل به من صور خليعة وأفلام ماجنة حتى ان « الكونجرس » الامريكي وافق في شهر أغسطس سنة ١٩٥٩ م على تشريع جديد ، وهو جعل الحد الادنى للغرامة بتهمة الاتجار في الادب المكشوف وفقاً لقانون البريد الفدرالي ٢٥٠٠ جنيه أو الحبس خمس سنوات او كلتا العقوبتين ، وذلك عن المرة الاولى ، فاذا تكررت الجريمة تصبح العقوبة غرامة عشرة آلاف دولار أو الحبس عشر سنوات أو كلتيهما .

« ونشرت مجلة « المختار » الطبعة العربية في عددها الصادر في شهر ابريل ١٩٥٩ بحثاً رائعاً بعنوان « حطموا هذه التجارة الدنسة » بقلم « هولمان هارفي » بمقدمة للناشر العربي نصها : « الكتب الجنسية والصور العارية تغزو أمريكا ، إنها تدمر العائلة والأخلاق ، وتصيب الآباء والأمهات بالذعر . لنتنبه نحن في الشرق العربي لهذا الخطر ، إن بوادره هنا ، إنها قليلة ، ولكنها ستصبح كالطوفان إذا سكتنا عليها » .

« هذا نداء صادر من بلد أحل فيه الحرام وحرم به الحلال ، ومع

هذا يتصدى الغيُر على الأخلاق والمخلصون للأسر لمحاربة هـذا الفجور المنشور بكتب جنسية تمزق الفضيلة وتنحر الاخلاق على مذبح الشهوات والدعارة .

وفي إيطاليا حرم البابا – سلف البابا الحـالي – بيع الصور والتماثيل الخليعة ، فإذا الناس يستجيبون » .

وقلت في ذلك المقال :

« هذا يقع في بلدان يباح فيها المنكر والموبقة ، والمخلصون يراقبون وهم غير « موظفين » لهذا العمل ، بل الضمير والغـيرة على الأخلاق والاخلاص للوطن تدفعهم إلى الابلاغ والشهادة والشكوى .

ويجب ان نكون نحن مثلهم ، فنحن أولى منهم بهـذا الخير نعلنـه ونؤيده وننصره لأنه امر من ديننا « من رأى منكم منكراً فليغيره بيده أو بلسانه او بقلبه » الحاكم بيده، والكاتب بلسانه او بقلمه والعامي الضعيف بقلبه » إلخ .

وعندما نشر هذا المقال تلقت جريدة المدينة المنورة عديداً من رسالات القراء تؤيد ، وتعلن بهجتها بما كتبت واليه دعوت ، وقد اخبرني بذلك الأستاذ عبد الحميد عنبر عضو مجلس الشورى بمكة المكرمة حرسها الله وحرس المدينة المنورة وكل بلدان الاسلام والمسلمـين ، وكان منتدباً للقيام بمنصب رئيس التحرير في جريدة المدينة .

ويقال : إن خلافاً وقع بين الاستاذ عنبر وغيره من القائمين عـلى الجريدة حتى انتهى الأمر بخروجه من رئاسة التحرير .

ومقالي وما لقي من تأييد القراء لم يرضيا الجريدة فجردت انسانا ، ودفعته ليكتب رداً على ما قلت في مقالي الذي ذكرت أكثره شاهداً لي.

وفوجيء القراء بنقد لمقالي منشور بجريدة المدينة في العدد ١٨٥ الصادر في يوم الجمعة المبارك (نعم ، يوم الجمعة المبارك) ١٧ جمادي الآخرة ١٣٨٤ ه (٢٣ اكتوبر – تشرين الاول – ١٩٦٤ م) وأبرزتـه إبرازاً

مبيناً حيث جعلت عناوين النقد في ثلاثة سطور، كل سطر في خمسة أعمدة، وها هي ذي العناوين :

« حملة العطـــار .. عـلى الادب المكشوف »

« عنـــوان ضخم .. ومحتـــوى هزيل »

« الأدب المكشوف ليس أدباً .. ولكنه مجرد مجون »

ولم يكفها هذا الابراز فجعلت في وسط النقد أربعـــة سطور بارزة بحبر أسود غليظ ، وها هي ذي السطور الأربعة :

« العطار أطلق سهماً طائشاً يصيب المضللين والباحثين سواء »

« اهتمام بريطانيا بمراقبة الأدب المكشوف أغرب ما جاء في المقال »

« البحارة من أهم حملة لواء الرذيلة في جميع موانىء العالم »

« حملة العطار لا تعكس وعي كتابنا بشؤون السياسة والاجتماع »

وأما المقال أو النقد نفسه فدليل على أن من كتبوه أو كتبه باسم من نشر باسمه يقصدون إلى هدم ما ذكرت ودعوت إليـــه ، وأما العناوين الكبيرة والجمل البارزة فبقلم جريدة « المدينة المنورة » نفسها وليس بقلم الكاتب كما أخبرني الاستاذ عبد الحميد عنبر .

والقارىء نفسه يدرك أثر الحقـــد والبغضاء في النقد الذي ورد فيه ما نصه :

« قرأت في عدد صحيفة المدينـــة المنورة القرار رقم ١٥٩ الصادر بتاريخ ١٧ — ٥ ١٣٨٤ وبعنوان « الادب المكشوف وأسعـار الكتب » مقالاً للأستاذ أحمد عبد الغفور العطار ، وتصورت وأنا أقرأ هذا العنوان الضخم بأن الاستاذ العطار سيضمن مقاله حملة مركزة على هذا النوع الذي يسمونه خطأ بالادب المكشوف والذي لا يخرج عن كونه « مجوناً » وسفسطة ألصقت باسم الادب، ولكنني مع الاسف لم أر في صميم المقال إلا تلميحاً لا يكاد يرتبط حتى بالعبارات التي استهل بها استاذنا الكبير كلمته ..

ورأيت أيضاً بأن في هذا المقال ما يتضمن الإشارة إلى اهمال الرقيب السعودي في مهمته الدقيقة ولكن عزوت هذا « الاتهام » المغالى فيه إلى غيرة الاستاذ العطار المعروفة على سمعـــة الاراضي المقدسة التي يجب أن نقفل حدودها في وجه كل مؤلف أو صحيفة تحمل بين صفحاتها أسطراً من هذا النوع المــاجن من الادب ، ولا استغرب ان تكون مشاغل الاستاذ العطار الكثيرة قد حالت دون تركيز المقال أو عـلى الاقل دون توضيحه » .

ويقول النقد :

« الواقع ان في انتهاج الاستاذ العطار هذه السلبية نوعاً من «الاجحاف» لان دفاع المدعين بوجوب المام الشباب بأمور الجنس لا ينصب في الحقيقة إلا على البحث العلمي المتعلق بهذه الامور ، وأقول هـــذا لا دفاعاً عن الكتب والصحف المخلة بالآداب ، بل حرصاً على قيمة « البحث العلمي» الهادف الذي تتضمنه بعض الكتب المفيدة التي لا يعتمد كتابها على ما يثير الكوامن الغريزية من قصص خيالية ماجنة ، بل نرى بأنهم اقتصروا على التحليل النفساني وعلى « البحث العلمي » الذي يمنح الشباب الراشد ثقافة جنسية قد تقيه من الوقوع في « العثرات » وترشده فعلاً الى ما وصل اليه العلم النفساني من تحليل يبرهن على ما لمثل هذه الثقافة من فائدة في اجتياز « عقد الشباب النفسانية » .

ويقول النقد : « رأينا الاستاذ العطار يطلق سهماً طائشاً قد تصنيب المضللين وقد تصيب « الباحثين » عن الغاية الثقافية والعلمية معاً » .

وبعد كلام كثير حواه النقد في هـــدم ما كتبت وتسويغ مـا منعته باسم « البحث العلمي » قال بعنوان « الخلاصة » .

« نود ان نطمئن الأستاذ العطار بأن كتاب المملكـــة والحمد لله لم ينتهجوا بعد سبيل هذا الأدب المطعون في ادبه .. وان (النشر) والصحافة في المملكة لا تزال (كذا) بخير وعافية والحمدلله ، وإن الشرور التي

اوجس منها الاستاذ العطار خيفة ليست إلا دليلاً صريحاً على مدى غيرته وان كانت هذه الشرور لم تستفحل بعد بالشكل الذي يخشاه كل حريص على سمعة المملكة والأماكن المقدسة التي تضمها ارضها » .

ويختم النقد كلامه الكثير المضطرب في مادته ولغته الركيكة بقوله :

« واذ نقدم للاستاذ العطار اصدق تعابير ودنا واحترامنا نود ايضاً ان نلفت نظر سيادته إلى نقطة حساسة جداً وهي ان الصحف السعودية توزع في خارج المملكة وتوزعها الممثليات على جاليات اسلامية وعربية يهمها ايضاً ان ترى أو تقرأ مقالات هدافة لها في ميدان الصحافة غرض توجيهي يصور وعي الكتاب السعوديين وإلمامهم بشؤون السياسة والاجتماع والأمور المختلفة ويعكس الروح التي يكتب بها كتابنا مقالاتهم الانتقادية والتوجيهية ، لنقول مع شيء من الأسف بأن حملة الأستاذ العطار على « الأدب المكشوف » لم تتضمن جانباً كبيراً من هذه العناصر ، والسبب في هذا هو ان المقال المشار اليه قد كتب — كما يبدو جلياً — على عجل لأننا نعرف ان الأستاذ العطار هو خير من يخوض مثل هذه المواضيع ويعرف كيف يؤديها حقها من الاشباع والتفصيل » .

نشرت جريدة « المدينة » هذا النقد ، وكتبت ردي وبعثته ولكنها لم تنشره ، واتصلت بمديرها العام ووعد ، ثم بدأ المطال من الجريدة وقبرت المقال الذي يكشف عن حقائق لا تريد الجريدة ان تتكشف ، بل تعمل على القضاء عليها فقضت على ردي ، وظنت ان ختم الكلمة بألقاب التكريم وصفاته سيحملني على السكوت ، ولكني رددت ، وهي وحدها تملك أداة النشر فمنعت النور عن مقالي أو ردي .

ورأى القارىء ان نقد المدينة المنسوب إلى كاتب يسمى « عبد الحميد السعداوي » ليس إلا حقداً ورغبة في القضاء على دعوات الخير والاصلاح والفضيلة ، وحسبي ان الكاتب يذكر ان صحفنا تصل الى جاليات اسلامية وعربية ، وهذا واقع ، وما اكثر من يشاركونني فيما ذهبت اليه ، وما

أكثر من يألمون ويستنكرون بعض ما ينشر في صحفنا من ادب الوثنية والمجون واخبارهما .

واما زعمه ان كتاب المملكة لم ينتهجوا سبيل هذا الادب فمردود عليه لان فيما ينشر في صحفنا منه كثير، ومنه ما يبعث على الاشمئزاز والمقت .

ويأبى الله إلا ان يقع نقد جريدة المدينة فيما يقضي على حملتها المدبرة فهو يقول ما نصه : « هذه الشرور لم تستفحل بعد بالشكل الذي يخشاه كل حريص على سمعة المملكة والاماكن المقدسة » .

ونحن نسأل : أتنتظر الجريدة او كاتب النقد حتى تستفحل الشرور؟ إن استفحالها يمنع تداركها ويتعذر معه القضاء عليها ، وما دام هنـــاك « شر » فالواجب يقضي علينا ان نحاربه ونقضي عليه ، أما ان نتركه حتى يستفحل فتلك غفلة يجب ألا تكون فينا .

اما ادعاء « البحث العلمي » في تسويغ نشر ادب الجنس بحجـــة «البحث العلمي» فادعاء يراد منه شيوع الفسق والفجور وتيسيرهما بوساطة الكتب المختلفة .

فالكاتب الانجليزي المشهور « د . ه . لورنس » من أكبر كتـاب الجنس الجادين ، ومع هذا فما كتبه في «الجنس» إثارة للغرائز وتحريك للشهوات إلى حد الهياج والبطش .

يقول الاستاذ محمد قطب في كتابه « معركة التقاليـد » ص ٣١ : تخصص أدباء من أمثال : « د . ه . لورنس » في الكتابة عن الجنس ، وتلذيذ القارىء ، وشغل انتباهه بدقائقه ، واستغلال البراعة الفائقـــة في الدعوة لقضية الجسد ، وتصوير الحيوان الداخل في كيان الانسان عـلى انه هو الانسان الحق ، هو وحـــده وكل ما عداه أباطيل . هذا في الادب « الجاد » أما الادب « الجنسي » البحت ، الادب الذي كان كل همه وصف لحظة الفراش بالتفصيل والاعادة والتفصيل والاعادة فقد انتشر في أرجاء العالم كله بشكل عنيف لا مثيل له من قبـــل في الكثرة

والانتشار ، وساعد على ذلك نمو الطباعة وامكاناتها المتزايدة » .

ان ما يكتبه د. ه. لورنس « بحث علمي » وهو كاتب جاد، ومع هذا لم تطهر كتبه من « تلذيذ القارىء وشغل انتباهه بدقائقه ، واستغلال البراعة الفنية الفائقة في الدعوة لقضية الجسد » فكيف بغيره من كتاب « أدب الجنس » المحض ؟!

وتخصصت جريدة « المدينة » في نشر أخبار الفن والطرب والفنانين والفنانات والمطربين والمطربات ، حتى انتهت الى باب بعنوان « فنون » وقد سبق للاستاذ محمد قطب قول في كتابه العظيم « معركة التقاليد » كلمة تناسب المقام ما دمنا مع « فنون » أحد ابواب جريدة المدينة .

يقول محمد قطب في صفحة ٣٢ :

« تخصصت فنون « لدراسة » الجسد ، لا على الطريقة اليونانية القديمة التي كانت مع تحللها ووثنيتها تبحث عن الجمال في « الجسم » وانما على طريقة « فرويد » الطريقة التي تعرض الجنس في الجسد ، وتكشفه للعيون عريان ، لانه الحقيقة في الانسان » الخ .

واهتمام جريدة المدينة بأخبار هيام يونس ولقائها بمن تريد و « تركيز » الضوء عليها وعلى شعرها الماجن الخليع المسرف في الجنس كما يركز في المسرح الضوء على الراقصة حتى يستمتع المشاهدون ويتلذذوا بما يثيرهم ويشعل نار شهواتهم وغرائزهم ، ونشر كلمات الوثنيين مثل « جئنا نسجد في محرابك » والهبوط بالكلمات الدينية من ذراها العالية إلى درك الرذيلة ، واهتمامها بنزهة يونس وتبشير القراء بطلاقها الذي أنهكها واجهدها إذ ذكرت جريدة المدينة ان الزواج دام أربع سنين منها ثلاث في الخلاف ، وسنة في الانفصال حتى تم الطلاق بعد ان كلفها اثني عشر ألف ليرة لبنانية .

هذا الاهتمام يجلي اتجاهها ويظهر النوع الذي يثير هذا الاهتمام، وتتلاقف اخبار هيام يونس تلقفاً ، ففي العدد الذي نشرت به قصيدتها وما كان

في لقائها بأحمد رامي قـالت الجريدة تحت عنوان « رأيي الخاص » ما نصه : « أول تعاون فني بين سمير الوادي وهيام يونس جاء بعد طول انتظار » .

ولو وقف الأمر على هذا اللون وإلى هذا الحد لاستبشعنا ، ولكن جريدة المدينة المنورة تضيف إلى ما ذكرت أشياء كثيرة تتصل بالعقيدة والشريعة والتقاليد .

ففي باب « دنياهن » وهو باب المرأة نشرت جريدة المدينة في العدد ٢٩٤ الصادر في يوم الجمعة المبارك (نعم ، يوم الجمعة المبارك) ١٨ شوال ١٣٨٤ (١٩ فبراير – شباط – ١٩٦٥ م) مقالاً بعنوان « الزي والمرأة المسلمة » جاء فيه :

« البعض منكن يفضلن البقاء أو الإبقاء على القديم لا لصلاحيته ولكن لأنه عرف سار عليه الناس في حين أرى بعضكن من اللواتي سافرن إلى بعض الدول الشقيقة وشاهدن التطور وأردن ان يتمثلن بشقيقاتهن في هذه الميادين تحت اسم التطور ونهضة المرأة » .

وتقول الكاتبة : « والآن تعالي معي أيتها الأخت العزيزة لنتفهم ما أباحه الاسلام فنتبعه وما حرمه فنبتعد عنه . إن الوجه (ما لم يكن فيه فتنة أو مصبوغاً) وكذلك الكفان قد حلل الله كشفهم (كذا) دون سواهم (كذا) وحرم ما عدا ذلك » .

وهذا خطأ ، فالذين يتعسفون ويستنبطون جواز كشف الوجه والكفين إنما يريدون دفع المرأة الى الطريق واستدراجها حتى يفضي بها الأمر الى ما أفضى بالبلدان التي سفرت فيها المرأة .

لا عليك يا آنسة أو يا سيدة أو لا عليكما أن تكشفا وجهيكما وأكفكما ، فالإسلام أباح ذلك كما نشرت جريدة المدينة .

وينكشف الوجه والكفان ، وهذا ما حدث في مصر – مثلاً – أول ما حدث ، ثم بدأ الثوب يقصر ، وما تحته يزداد قصراً – حتى صار

– هذا – قطيعة كورق التوت ثم شف عما تحته ، أما الثوب فقد قصر حتى بدت الركبة والساق وبعض الفخذ وتبع الوجه في الكشف الجيد والنحر والصدر ، وتبع الكفين ما فوقهما حتى انتهى إلى تعرية جانب من الكتف .

أهذا ما يراد أو تريده الجريدة .

ولو اقتصر الأمر على هذا لما ملكنا أنفسنا من استبشاعه ولكن تجاوز إلى أكثر من ذلك،فقد نشرت في أحد أعداد سنة ١٣٨٤ (١٩٦٤ – ١٩٦٥ م) رسماً تحته كلام موجزه : ان أحد أباطرة اليابان خلع من عرشه ونفي ، فتقرب الى صنمه بابتهالات كتبها بدمه فأعيد إلى العرش ولبث فيها عشرين سنة .

وفي هذا اعتراف بقدرة صنم وألوهيته من جريدة تحمل اسم مهاجر رسول الله حاطم الأصنام ومبيد الأوثان،والداعي الى إفراد الله عز وجل وحده دون شريك له في الدعاء والعبادة .

وأما جريدة « عكاظ » – على سبيل المثال – فتشارك زميلاتها في حمل رايات مذاهب الهدم المختلفة ، فتنشر مديح كتاب وقفوا أنفسهم لهدم الاسلام وسب صحابته وتشكيك الناس في رسالة المصطفى صلى الله عليه وسلم .

ومن ذلك مقال بعنوان « أضواء على السنة المحمدية » نشرته بالعدد ٤٠ الصادر في ٢٧ رجب ١٣٨٤ (١ ديسمبر – كانون الأول – ١٩٦٤م) نقتطف منه بعض ما جاء فيه :

« الطبعة الجديدة لكتاب الأستاذ العالم الشيخ محمود أبو رية « أضواء على السنة المحمدية » تمتاز بالزيادة في الايضاح والتنقيح اللذين أدخلهما عليه صاحبه – وهو يقع في ٣٧٦ صفحة من الحجم الكبير ،ويعد مرجعاً وافياً لتبيان ما طرأ على أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم عند تدوينها – في القرن الثاني للهجرة – من اشكال وحشو ومن تبديل في

في اللفظ وفي القصد أيضاً مما أدخل عليها الكثير من الأقوال البعيدة عن الواقع » .

ويقول كاتب المقال المنشور بجريدة عكاظ : « وعن هـذا حدثنا المؤلف الفاضل نفسه » و « من اجل ذلك خاض الأستاذ ابو رية هـذا المجال الذي تهيب منه الكثيرون » و « استطرد يأتي بالأمثلة العديدة التي اختلفت فيها صيغ بعض الأحاديث واضطرب بذلك مدلولها، كما تغايرت على ألسنة الحفاظ والرواة وفيهم من كان له قصد التشويه للمعاني الاسلامية السامية والتشنيع على المسلمين » و « الذين تقولوا عليـه هم الدساسون والاسرائيليون ومن كانوا بمسوح الإسلام يخادعون فحق على المسلم المفكر ان يستنبه الى مغالطاتهم وافتراءاتهم وينقي ما نقلوه » .

ويقول كاتب المقـال المنشور بعكاظ : « لا نجد من قول إلا أن نحيل القارىء طالب المعرفة الى كتاب يستحق أن يقرأ ويدرس ، لأنـه يزيل الكثير من الشكوك وينير الطريق أمام دارسي الحديث . وما أحوجنا اليوم الى مثل هذا التفكير الاسلامي الذي يكشف حجب الظلام ويفتش عن الحقائق ويبصر الناس الى المعارف الصحيحة دونما تحريف أو تجديف. وحقيقة رأيناها على أضواء هذا الكتاب المشرف لجيلنا » .

هذا بعض ما ذكره كاتب المقال من ثناء كريم أضفناه على كتاب « أضواء على السنة المحمدية » وعلى مؤلفه ، وأي تمجيد لكتاب أعظم من ان يوصف بأنه « الكتاب المشرف لجيلنا » ؟.

وماذا في الكتاب حتى يستحق كل هـذا الاسراف او السخاء وفي الثناء والاكبار والتمجيد ؟.

ان كتاب « اضواء على السنة المحمدية » ليس كما ذكر كاتب مقال عكاظ ، فهو كتاب ألف على نمط ذوي الهوى من المستشرقين ، وبه خروج على الحق ، وادعاء بما هو باطل ، وما انا بسبب نقده فقد حكم عليه أهل العلم في الحديث بالحق وانا معهم ، وهو كتاب ليس كما وصف

ذلك الكاتب ولا مؤلفه من الفضلاء .

والأزهر قد حكم عليه بالاعدام باعتراف المؤلف في مقدمته، وذكر هذا « المؤلف الفاضل » على رأي كاتب مقال عكاظ بلادنا أسوأ ذكر ، لقد ذكر الحجاز ذكراً شائناً فقال في صفحة ٢١ من المقدمة تحت عنوان « انتقال الحملة من الحجاز » .

« وما لبثت الحملة علينا ان تحول ميدانها الى بلاد الحجاز التي هي في هذا العصر مباءة الجمود ومصدر الحشوية، فصدر عن شيوخها كتابان كبيران في نقد كتابي » .

و « لكن خاب ظنهم وحبط عملهم ، فما كان الحق القاهر ليدحض بالشتم والبذاء .. ولم يكن لهـذه الكتب من قيمة الا انها افصحت عن مبلغ جهل اصحابها وجمودهم ، ولو انك اطلعت عليها لما وجدتها الا قرارة شتائم وسفاهات ، ومعشش فحش وترهات ، مما لا يصدر مثله الا من غوغاء العامة ، وما يعافه الا أرذال السوقة .. وقد سبقني الشاعر الملهم الى وصفهم فقال :

تعاوت علي ذئاب الحجاز بنو بهثة وبنو جعفر »

ويقول أبو رية : « ثم انتشرت عدوى سبنا وشتمنا من ذئاب الحجاز الى ثعالب الشام ، فظهر كتاب ضخم ألفه احد شيوخ الدين في سوريا».

ويقول أبو رية : « هو المدعو مصطفى السباعي ولا ندري من اين جاءته هذه « الدكترة » التي ينتحلهـا في زماننا كل من هب ودب ، ممن يريد ان ينفخ في جلده ، لكي يخفي من هزاله ، ويبدو للناس انه سمين في جسمه ، ويستعلن لهم انه عريق في العلم أصيل مكين، وهو في الحقيقة دعي هجين » .

إن أبا رية لا يشتم ولا يسب ! وهذا الذي يقوله في مصطفى السباعي ليس الا نقداً علمياً وضوءاً مثل اضوائه على السنة المحمدية ! انه ليس

سباً ما دام صادراً من ابي رية ، فاذا قال مصطفى السباعي وعلماء الحجاز كلمة الحق منزهة من الهوى قال أبو رية : ذئاب الحجاز وثعالب الشام .

إن الأسلوب الذي اتخذه مع مصطفى السباعي اتخذه مع ابي هريرة رضي الله عنه ، وقذف ابو رية شر قذف ابا هريرة صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم واتهمه زوراً وبهتاناً ، وهذا عنده « بحث علمي » و « نقد نزيه » و « اضواء على السنة المحمدية » فإذا رد مصطفى السباعي وعلماء الحجاز على اباطيل ابي رية واكاذيبه ودافعوا عن ابي هريرة فهم ذئاب الحجاز وثعالب الشام ، وما يكتبونه أو كتبوه « قرارة قمائم إلخ » .

ومن المؤسف ان ينشر مديح كتاب ابي رية وأبي رية نفسه في جريدة تصدر من بلاد محمد صلى الله عليه وسلم وابي هريرة رضي الله عنه والكتاب ومؤلفه يطعنان فيهما ، إن في كتاب ابي رية طعناً للرسول صلى الله عليه وسلم .

وخداع القراء وحثهم على قراءة كتاب كهذا بعد إضفاء الثناء عليه باسم الدين ، وتضليلهم انما هو عمل كريه ، بل مقيت ، بل حرام ، ومن يصدق ان أبا رية هذا أشد غيرة على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأحاديثه من صاحبه البر التقي الصالح الزاهد أبي هريرة رضي الله عنه وأسكنه الجنة ؟.

ان المستشرقين الذين يريدون هدم الاسلام كله رأوا ان ابا هريرة اكثر الصحابة رواية للحديث فطعنوه حتى « يلغوا » آلاف الأحاديث التي رواها ، وظنوا ان المسلمين سامعون مطيعون له ، وكأن علماء الحديث ونقاد الرجال والسند والمتن كانوا جهلة غافلين فجاء ابو رية وقبله المستشرقون الغيُر على الحديث اكثر من صاحب صاحب الحديث ليلقوا « أضواء على السنة المحمدية » .

ان ابا هريرة الصحابي الأجل روى ٥٣٧٤ حديثاً عن رسول الله ، واتفق البخاري ومسلم في صحيحيهما على ٣٢٥ حديثاً ، وفيما رواه ابو هريرة الاسلام عقيدة وشريعة .

ومديح كتاب ابي رية من قبل كاتب ونشره من قبل جريدة في الحجاز تأييد لأباطيل ابي رية الذي ذكر الحجاز ومن فيه ابشع ذكر .

ومن الغريب ايضاً ان تنبري جريدة عكاظ لمديح رجل يعتبر من أكبر منكري وجود الله وشاتمي الرسل ومتهميهم في الأرض .

ان خروشوف شيوعي صميم ، ويفخر بشيوعيته ، وهو من شركاء ستالين في اجلاء سكان القرم المسلمين وقتل مئات الألوف منهم ، وقتل ملايين من المسلمين في الأقطار التي تحتلها الشيوعية .

وخروشوف يفخر بعدائه للديانات وبخاصة الاسلام ، وقد تجنى عليه ، وتطاول على مقام الله الذي يؤمن بوجوده المغفلون كما زعم ، وثاني اثنين في العالم ايدا قيام اسرائيـــل ، وأحد من غذى ثورة زنجبار على العرب والمسلمين ، وأول من أسس فروعاً للحزب الشيوعي في العالم العربي والعالم الاسلامي ، وهدد أمن المسلمين والعرب في بلدانهم بالماركسية اللعينة .

ان خروشوف هذا يجد من جريدة عكاظ المديح السخي والتمجيد العظيم فتنشر في افتتاحيتها بعددها الثاني الصادر في ١٢ جمادي الثانية ١٣٨٤ (١٨ أكتوبر ١٩٦٤) وتذكره بعد عزله من قبل قومه بخير كثير ، ومما جاء في هذه الافتتاحية :

« لقد كان خروشوف شخصية سياسية عالمية من طراز ممتاز ولا شك » .

« ان خروشوف عمل على تطبيق سياسة التعايش السلمي » .

« وغير ذلك مما لا ينساه التاريخ الحديث للرجل ، ونحن كعرب لا ننسى ان خروشوف أيد – إبان حكمه – بعض القضايا العربية تأييداً حازماً وأهمها قضية تحويل مجرى نهر الأردن وقضية وجوب اعادة اللاجئين الى بلادهم الحبيبة » .

وأحب ان تفهم الجريدة ان خروشوف لم يؤيد اي قضية من قضايا العرب تأييداً حازماً ولا غير حازم ، اما موقفه من التحويل ووجوب اعادة اللاجئين فوقف فاقد الأثر .

ان خروشوف يؤيد اسرائيل عملاً ، ويقف نادراً من العرب كلاماً ، ولتعلم هباء موقفه او تأييده الحازم حسب ما نشرت الجريدة المذكورة يجب ان تعلم نتيجة الموقف وما ربح منه العرب ؟.

ان مئات الملايين رأوا وجوب عودة اللاجئين فلم يعودوا ، فروسيا عندما تقف هذا الموقف مدركة ان اللاجئين لن يعودوا بمجرد موقفها ، فلتربت على كتف العرب قليلاً .

ان العرب لم يكسبوا شيئاً من موقف خروشوف ، ولكنه كسب هو ومذهبه وبلده كثيراً ، حتى ان جريدة اسلامية تصدر من ثغر بلد الله وبلد رسوله صلى الله عليه وسلم تهتف باسمه وتمدحه وتمجده وترثيه وتؤبنه وتذكره بالخير الكثير .

ويظهر ان جريدة عكاظ تسعى لإزالة عداوة الاسلام للشيوعية التي يعتنقها قادة الكرملين فتنشر تحقيقاً صحفياً من واشنطن هو دعاية سافرة لهؤلاء القادة ، وتقول الجريدة : « يتبين من مجموع اقوال الحكام الجدد وتصريحاتهم ان النهج الذي سيتبعونه في حقل الانتاج الصناعي والزراعي سيتوخى النتائج العملية لا المواقف العقائدية ، وخلاصة القول ان سياسة العهد الجديد هي البحبوحة في الداخل والسلام والهدوء في الخارج » .

هذا ما تقوله جريدة عكاظ في العدد ٤٣ الصادر في غرة شعبان ١٣٨٤ (٥ ديسمبر – كانون الأول – ١٩٦٤ م) وهي مسئولة عنه لأنه كلامها ، وليس خبراً من الاخبار بل هو تحقيق صحفي غير منسوب ، وفي رأس الصفحة عنوان هو « اخبار الدنيا » ويعدها احد محرريها ، وما نشرته تحقيق صحفي مطول .

وأي قارىء لا يشك ان هذا التحقيق « دعاية » سافرة للشيوعية في

عهد قادتها الجدد ، وخداع وتضليل للقارىء العربي خاصة والمسلم عامة حتى يخف عداؤه للشيوعية وأهليها وقادتها ، فالجريدة تبشر القراء ان نهج الحكام الجدد سيتوخى النتائج العملية لا المواقف العقائدية ، وبذلك فصلت بين المذهب عقيدة والمذهب سياسة وعملاً ، جاهلة ان الشيوعية وحدة لا تتجزأ .

ويدل على قصر نظر الجريدة وعدم صدقها وبعد اقوالها عن الصحة ان سنة تقريباً مرت على « بشارتها » فما كانت بحبوحة داخل روسيا ولا سلام وهدوء خارجها ، بل النقيض هو الذي كان .

ان الدعاية للشيوعية والشيوعيين جريمة منكرة في شرعة الاسلام ، ومدح المسلم لشيوعي كفرٌ بشع ، لأن الجريدة تعلم – بداهة – ان الشيوعية اشد الكفر والأمه وأبشعه !.

* * *

والمسلمون يعلمون ان كلمة « رفقاً بالقوارير » حديث لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو حديث مشهور ، ولكن جريدة عكاظ التي تمجد أبا رية وتمدح كتابه وترفعه الى ارقى الذرى لا تخرج عن طريقها هذا فتهزأ بهذا الحديث هزءاً لأنها نشرت مقالاً لكاتب من الكتاب بعنوان « القارورة أم الانسان » في العدد ٩٢ الصادر في ٦ شوال ١٣٨٤ (٧ فبراير – شباط – ١٩٦٥ م) جاء فيه ما ننقل بعضه نصاً :

« انا لا أرى في المرأة قارورة كالتي توهمها الاستاذ جمال » .

و « أفتراها قارورة تلك التي تتجرع الألم برضا الخ » .

و « بيرل بك مؤلفة « الأرض الطيبة » هل كانت قارورة حقاً » .

و « فالنتينا تيرشكوفا تلك التي ركبت صاروخاً وانطلقت به بين النجوم وخارج الأرض ... هل كانت قارورة حقاً ؟ ثم هل هي قارورة حقاً تلك التي تطوف على أسرة المرضى تأسوهم الخ » .

و « اية منفعة او مصلحة للمجتمع العربي والمجتمع الاسلامي ان نمسخ هذه الانسانية الغامرة التي أودع الله تعالى فيها شيئاً من ارادته قارورة توضع وراء حجاب ثم يسدل من فوق الحجاب حجاب ثم يمنع عنها الضوء والهواء حرصاً عليها من التكسر والتهشم ؟ » .

أليس كل هذا نفياً صريحاً وشديداً لكلام محمد عليه صلوات الله وسلامه ؟ إن محمداً عليه الصلاة والسلام يسمي المرأة « قارورة » ومقال جريدة عكاظ يرد على الرسول الأعظم هذه التسمية ويفندها ، ويسخر بكلمة خير الخلق سخرية بالغة قذرة ، متحدياً شعور كل مسلم ، في وقاحة بالغة وأسلوب مقيت ، جاهلاً معناها .

والأجوبة على كل « هل » : نعم بالفم الملآن .

كل من ذكرهن قوارير ولو ركبت واحدة الصاروخ وخرجت عن الأرض .

ان الرسول صلى الله عليه وسلم ادرك قبل علوم العصر الحاضر ان المرأة مع شدة احتمالها الآلام « قارورة » في اللطف والرقة والشف والحسن ، واذا انكر هـذا فليرجع الى قوم فالنتينا نفسها فانه يجد ان التجربة الشيوعية بالنسبة لمساواة المرأة انتهت بعد خمس وعشرين سنة الى ان المرأة لا تصلح لكل اعمال الرجل ، لأنها « قارورة » ولم تذكر قارورة بل ذكرت بدلها « الجنس اللطيف » .

ثم خرج كاتب مقال عكاظ الى موضوع آخر وهو الحجاب ساخراً به ، مع ان الحجـاب الاسلامي تكريم للمرأة ، انه « شارة » تكريم وليس سجناً ، مثله مثل الرداء الجامعي .

هذه أمثلة ، وأنا لا أحصي بل أشير ليعلم القارىء ان قوى الشر التي ذكرتها فيما سبق من القول وضعت « مخططاتها » وأخذت تنفذها في بلادنا على يد افراد منا في مهارة ودقة .

وليس من المصادفات ان تكون صحفنا منابر لمثل ما ذكرت ، بل

وراء ذلك ايد تنسج ، وأيد تحرك على المسرح من ثريد لهم ان يتحركوا ، وأيد تملي وأخرى تكتب .

وليس هذا كل ما تنشر ، بل هناك كثير مما لا يرضاه الاسلام يُنْشر وتؤيده الصحف وتردده ليرسخ في الأذهان ويتعوده الناس كما تعودوا في غير بلادنا المنكر والحرام والموبقات .

والغريب في الأمر ان جريدة مكة المكرمة ـ حرسها الله ـ التي تسمى « الندوة » المعروفة باتجاهها الحسن ، وموقفها الثابت العظيم ضد مذاهب الهدم والتخريب والكفر والبغي لم تسلم من الانزلاق فيما لا تؤمن به ولا تقبله ، فنشرت الندوة ما لا يتفق مع الاسلام او مع اخلاق بلادنا وتقاليدها الكريمة .

وهذا يؤكد لي ان فيها وكراً او يداً تدس ، وها هي ذي أمثلة .

نشرت الندوة في العدد ١٠٠٧ الصادر في ١٣٨٥/٥/٩ هـ (٥ سبتمبر ـ ايلول ـ ١٩٦٥) كلمة بصفحتها الأخيرة جاء فيها :

« ولكن ـ ولعن الله لكن هذه حيثما جاءت أو وردت ـ » .

ان من يقول : « لعن الله لكن هذه حيثما جاءت او وردت » انما هو مستخف بالاسلام والقرآن ، فقد جاءت « لكن » في القرآن الكريم في غير موضع ، ومن ذلك قول الله تعالى : (لكن هو الله ربي) و (لكن الراسخون في العلم يقولون آمنا بالله) و (ولكن انظر الى الجبل) .

أيرى ان الله يلعن « لكن » هذه التي وردت في كلامه العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ؟ .

ان « لكن » جاءت في القرآن كثيراً ، ووردت في حديث الرسول صلى الله عليه وسلم .

وفي عدد قريب الصدور من « الندوة » جاء فيها ما يؤذي المسلم ، فقد جعلت جزءاً من آية كريمة عنواناً لخبر ، وختمته بذكرها من أولها

دون اتمامها .

وهذا العدد يحمل رقم ٢٠٥٥ وصدر في يوم الاحد ٧ رجب (الذي يلقب بالخير) ١٣٨٥ هـ (٣١ اكتوبر - تشرين الاول - ١٩٦٥ م) وفي الصفحة الثامنة من خبر تحت عنوان : (فان لم تعلموا آباءهم فإخوانكم في الدين ومواليكم) وطول العنوان على خمسة اعمدة من الجريدة في روسم (كليشيه) بارز .

أما الخبر فها هو ذا نصه :

« لندن — ذكرت احصائيات صدرت مؤخراً ان عدد الاطفال اللقطاء في بريطانيا يبلغ الآن بين ١٤ و ١٦ الف .. وقد عقدت «جمعية اللقطاء» وهي اول جمعية تشكل في بريطانيا من نوعها اجتماعاً في يوم الاربعاء الماضي لمناقشة شؤونهم !!

« وهذه المشكلة التي لا زالت تشغل الباحثين الاجتماعيين لوضع الحلول المناسبة لها من ناحية تحقيق النسب أو وصله بحبال كريمة للحفاظ على مشاعر — ثمرة خطيئة — ليس لها جناية ولكنها معرضة لتحمل وزر الآخرين ..

هذه المشكلة المعقدة قد حلها الإسلام ، وفي آية قرآنية حددت زوايا المشكلة وقد جاء في سورة الاحزاب قوله تعالى (أدعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله فان لم تعلموا آباءهم فإخوانكم في الدين ومواليكم) » .

والآية الكريمة لا وجه لها هنا ، وأسباب نزولها معروفة ، والاستشهاد بها في هذا الخبر فى غير موضعه لاختلاف الدين على الاقل ، والآيـة لا تبيح النسبة إلى غير الأب الحقيقي ، وإن في الاستشهاد بها في هذا السياق مخالفة لأسباب النزول وللمعنى .

وتحت هذا الخبر صورة فتاة مستلقية كتبت تحتها هذه الجملة نصها :

« اسمها ديبل ريتشي » .. وبالرغم من التفاحة التي في يدها إلا أنها أصرت على شرب عصير التفاح .. وبهذه الطريقة » .

أما الصورة ففيها صاحبة الاسم مستلقية على ظهرها في وضع شاذ ، وبيدها تفاحة ، وعلى ارتفاع قليل برميل تخرج منه أنبوبة صغيرة تنحني إلى أسفل ، ينسكب منها سائل يسيل إلى فمها ، وتسمى الجريدة هذا السائل « عصير تفاح » .

والبرميل ليس لعصير التفاح بل هو برميل خمر ، لأن العصير لا يوضع في برميل كهذا .

وإذا سلمنا جدلاً انه عصير تفاح غير محرم فما القصد من نشر تلك الصورة الشاذة ؟ وما الفائدة منها ؟ أتحبيب الشذوذ ؟.

إن أعداء الإسلام أحكموا خططهم ومخططاتهم احكاماً لهدمه ، وبلغ من إحكامها استغلال أي قول أو فعل مهما صغر شأنه في سبيل ما خططوا له وقصدوا اليه .

وعلى سبيل المثال نأخذ خبراً صغيراً نشر بعدد « الندوة » نفسه مع صورة من بُنِيَ الخبر عليها ، خبر صغير مدسوس بين أخبار الجريدة العربية التي تصدر في بلد مسلم وهو :

« جونسون سيتي — وصلت الى جونسون سيتي امس ابنة الرئيس الامريكي « لوسي » — ١٨ عاماً — يرافقها خطيبها باتريك نوجنت لقضاء عطلة نهاية الاسبوع في ضيعة أبيها وتفيد الأنباء غير الرسمية ان هـــذه الرحلة للوسي ونوجنت تهدف الى الحصول على اذن جونسون بزواجهما . وقد تم التعارف بين لوسي وباتريك — ٢٣ عاماً — عندما تقابلا في أوائل هذا الصيف . في الصورة لوسي مع خطيبها » .

ان هذا الخبر الصغير يفتح أعين المراهقات من بنات المسلمين عـــلى الحق الطبيعي للمرأة ما دامت قد بلغت وأدركت ، وهذا الحق الطبيعي ان تفعل ما تريد دون أن يكون لأحد عليها سلطان إلا إرادة نفسها ورغباتها .

السفور — أولاً — ضرورة ، فـــلا معنى للحجاب الذي بقي من

عصور الانحطاط والجمود والتأخر والرجعية ، والمرأة التي يصونها الحجاب العسوف من الانحدار ليست نبيلة ، لأن قوة خارجة عنها تجبرها على بقاء العفة ، كالمسجونة في حجرة مغلقة لا قيمة لعفتها ، والعفة المحسوبة فضيلة حقاً هي في المرأة السافرة التي يزدحم عليها الرجال وتحمي نفسها منهم .

وماذا في السفور ؟ ان من حق المرأة في القرن العشرين ان تسفر .

فاذا انحدرت جاء من يدعي ان من حقها ان تتصرف في نفسها كما تريد ، ان من حقها ان تهب مـــا تريد لمن تشاء ، والقرن العشرون لا يستطيع ان يقبل الحجر على الحرية بل يحارب في سبيل تمتع المرأة بحريتها .

وإن الزواج شركة العمر ، فيجب على الشريكين ان يعرف كل منهما الآخر معرفة دقيقة لا يبقى معها كهف يسوده الظلام ، بل يجب ان يعرف بعضهما بعضاً بحيث لا يبقى شيء مستوراً .

بل بلغ الامر إلى ان المناداة بأن الاتصال الجنسي قبل الزواج ضرورة، إذ يجوز ان هذا الاتصال يكشف عن « تخالف » بين الشريكين فيبقيان بعيدين عن العقد الملزم وينقذان نفسيهما من رباط يزيد شره على خيره .

وممن نادى بهذا الرأي الفيلسوف الانجليزي برتراند رسل ، ومن قبل ندائه ومن بعده كانت التجربة قائمة وما زالت .

وإذا أبيح لابنة رئيس اكبر دولة متمدنة عربدت صواريخها وأقمارها بين خدور النجوم والكواكب فلماذا لا يباح لغيرها .

ثم ان الحقوق الإنسانية أو الحق الطبيعي للانسان ليس مقيداً بدين أو بلد أو لغة أو جنس ، بل يملك هذا الحق الانسان بصرف النظر عن هذه الفوارق غير الطبيعية .

ومن الحق الطبيعي ان تختار المرأة رجلها ، وتعطيه من ذات نفسها ما تريد ان تعطيه ، تصاحبه وترافقه وتراقصه وترحل معه .

وهذا الحق الطبيعي يعطي « البكر » حق ولايتها نفسها، ومن المجاملة استئذان الوالد الذي لا يملك الا ان يأذن ، لأنه يعرف ان عزيمة ابنته نافذة ، ولا سلطة له عليها .

إنها حرة .

ونشر مثل هذا الخبر الذي نشرته جريدة عربية مسلمة في اقدس بلد في الوجود ونقلناه عنها بنصه الحرفي يحدث أثراً ، فالحصاة – على صغرها ودقتها – تؤثر في المحيط اذا سقطت عليه .

واليد التي تمتد إلى الكأس الأولى تتعودها ، والعادة قهارة ظلوم ، وإلف المنكر يفقد صاحبه الضمير والوازع ، ويصم اذنيه عن سماع كلمة الحق ، ولا تنفذ منهما الا القوة ، فاذا وهنت قوة الوازع النفسي أو ضعف تأثير الكلمة لم تبق الا قوة السلطة ، فاذا وهنت مع وهن الوازع وأثر الكلمة سوغ المرء لنفسه المنكر وأتاه في غير حياء وخجل .

وعندئذ تسود الحيوانية في علاقة الرجل بالمرأة وعلاقتها به .

فأعداء الإسلام لا يتركون مثل هذا الخبر الصغير ، بل يبحثون له عن مكان بالصحيفة فاذا لم يجدوه أوجدوه وبذلوا كثيراً ، لأنهم يدركون ان القطرة التي تنزل على الصخر تجرحه اذا توالى سقوطها عليه ، والذي يسير الف ميل يبدأ بخطوة واحدة .

ويجب الا نستهين بما صغر ، فالنار من مستصغر الشرر كما يقولون، ومن الحمق ان نترك الشرر على الديباج .

ووسائل الإعلام من صحافة وإذاعة وتلفزة وغيرهن قوى فعالة ، فيجب أن نستخدمها ونضعها في أيد أمينة وإلا فتكت بنا شر فتك .

والتساهل يفضي إلى ما لا خير فيه ، والحرية من غير قوامين يحفظونها تمكن المنحرفين من السيطرة .

ولقد جمعني مجلس بأحد رجال ثورة في بلد عربي وقلت لـه : يجب ان تعلموا ان العهد الذي انقلبتم عليه وازلتموه كان مؤمناً بالحرية

فضمنها للناس وأنتم منهم ، وفي ظلها وضمانها أوجدتم « التنظيم السري» وكفلت لكم هـذه الحرية ان تدافعوا عن انفسكم كما كفلت لكم أمن أنفسكم وأموالكم وأغراضكم .

فأجابني مقاطعاً : حقاً ما تقول ، فهذه الحرية مكنتنا من الثورة ، فنحن اعرف بمزاياها واضرارها ، ولهـذا قيدناها حتى لا يثور علينا ثائرون ويطيحوا بنا .

وأنا لا أدعو إلى « إعدام » الحرية ، بل اجاهد من اجلها لأنها هبة الله للانسان ، ولكني اطلب ان تكون الحرية تحت قوامة الإسلام الذي يصونها من الزلل ، والحرية التي تملي لصاحبها ان يعبث بحريات الآخرين هي حرية حيوان وليست بحرية انسان .

ومن ذلك : تلك الصورة التي نشرتها جريدة « الندوة » للوسي وخطيبها لتدفع هذه الاخلاق والافعال في مجتمعنا وإشاعة مثل هذا النوع من الصلات بين أفراد امتنا،أو هذا مباح في شريعتنا ؟ أمباح نشر صور غانيات مثل شاربة الخمر – تلك – ولوسي هذه ؟ شرعنا لا يرضى ، ووزارة الاعلام نشرت في الصحف تمنعها من نشر صور النساء ، ومع هذا تجاهلت منع الوزارة .

ان الغرب نفسه يشكو من مثل هذه الامور ، ونأتي نحن المسلمين فنترك ما يجب ان نعمل من اجل الخير ونأخذ بالشر .

وتأتي جريدة تصدر باسم مكة المكرمة حرسها الله وتنشر صورتين احداهما غاية في المنكر ، وهي صورة شاربة الخمر في وضع شاذ !.

ورداً للفضل الى صاحبه اذكر ان الرجل الصالح المسلم المؤمن الشيخ صالح قزاز نبهني الى هاتين الصورتين ، وكتب – جزاه الله كل خير عن غيرته على الدين والاخلاق – رسالة كريمة وجهها الى مؤسسة مكة التي تصدر جريدة الندوة يحثها على التزام الحق وتجنب ما لا يتفق مع

ديننا العظيم : دين الخلق والكرامة والمروءة والانسانية ، فشكرت المؤسسة واهتمت .

اذا كانت جريدة « الندوة » الغراء تسلك هذا السبيل فما يفعل غيرها من الصحف ؟.

ويظهر ان « الندوة » مهتمة كل الاهتمام بابنة الرئيس وخطيبها ، وتتبع اخبارهما ، والحرص على تزويد القراء بها ، فنشرت في العدد ٢٠٧٢ الصادر في يوم السبت ٢٧ رجب ١٣٨٥ ه (٢٠ نوفمبر - تشرين الثاني - ١٩٦٥ م) هذا الخبر :

« واشنطن — قال اصدقاء البيت الابيض الامريكي ان الرئيس الاميركي جونسون نصح ابنته لوسي — ١٨ سنة — بتأخير عقد قرانها الى بات نوجنت وذلك خلال جلسة عائلية في البيت الابيض منذ اسبوعين.

« ويقول هؤلاء الأصدقاء ان جونسون يشعر ان لوسي لا زالت صغيرة في السن ، كما ان نوجنت مطالب الآن بالخدمة العسكرية لمدة ستة شهور .

« ويرغب جونسون في ان يرى ابنته متخرجة من كلية التمريض قبل ان تعقد قرانها .

« ويذكر ان ابنة الرئيس الاميركي الكبرى مخطوبة الى ضابط في البحرية الامريكية هو الملازم برنارد روزنباخ » .

ان نشر هذا الخبر رد عنيف على الشيخ صالح قزاز المعروف في بلادنا بالورع والفضل وعفة اليد واللسان والقلب والاخلاق الكريمة العالية.

ان هذا الرجل « الصالح » حقاً نصح للمؤسسة التي تصدر جريدة الندوة ، واكبرت المؤسسة غيرة الشيخ صالح قزاز ووعدته خيراً ، وسمعت من كثير من اعضائها ثناء عليه ، هو له اهل وبه جدير .

وتأتي الجريدة بعد نصح الرجل الصالح فتنشر ما نصح لهم بالتنزه عنه مما يفهم منه الاصرار على ايذائه وايذاء امثاله الصالحين والتشبث

الشديد بما هم عليه ، والاستكبار على نصحه .

وان ذكر السن وهي « ١٨ » والاشارة الى ان « تعقد قرانها » فيها مغاز كثيرة ، منها : إفهام بناتنا ان لهن الحرية في الاختيار ، وها هي ذي « آنسة » في الثامنة عشرة من عمرها وابنة رئيس جمهورية تختار – بنفسها – من تريد ان تتزوجه .

ومنها : ان من حقها ان « تعقد قرانها » وان ولي أمرها لا يملك الا النصح وليس غير .

ومنها : ان من حق المرأة مرافقة خطيبها والقيام معه برحلة .

ومنها : انه لا غبار على « البكر » ان تصطحب خطيبها الى مقر اهلها ، وعلى اهلها ان يرضوا . الخ .

ان حضارة الغرب التي لا نرضى بها تبيح مثل هذه الاعمال ، ولكن للاسلام سبيله القويم الذي يغاير سبيل الغربيين ، فهما على غير وفاق في الزواج وما يسبقه من خطبة وما يقوم عليه من عشرة .

ان الخلاف كبير وكثير .

والجريدة اذ نشرت ما نشرت لم تعلق عليه .

ولم يستطع الشيخ صالح قزاز – جزاه الله كل خير – الا ان يعيد النصح ويكرر الرجاء .

ونعود الى « برميل عصير التفاح » ونوافق الجريدة على انه كما زعمت ، ونسأل : لماذا تنشر صورة لا يدرك اهل بلادنا ان ما في البرميل « عصير تفاح » ؟ لماذا تنشر صورة يعتقد الناس عندنا انه برميل خمر .

واذا دفع الشذوذ احداً الى ان يتناول عصير التفاح بالصورة التي نشرت الجريدة فليس من الادب نشر هذا الشذوذ .

وسمعت من بعض محرري الجريدة ان الصورة لطفلة عمرها ست سنوات .

ولكن ، في الغرب من يشرب الخمور في سن اصغر من تلك السن.

واذا كانت الصورة لطفلة في السادسة فلماذا تنشرها ؟ الا تعرف ان الطفل في كل مكان مولع بالتقليد ؟ ولا يصح ان ندفع اطفالنا لتقليد الشذوذ الذي لا يليق .

وعلى اي حال ، ان ما نشرته ليس حسناً ، والدليل نهوض الرجل الفاضل الشيخ صالح قزاز بالاستنكار والنصح والتوجيه ، واو لم يكن فيما نشرته اعوجاج ما تكلف الرجـــل الفاضل بكتابة رسالته الاولى ثم مراجعته للمؤسسة مرة اخرى، وكل هذا نشر في غياب المسئول عن التحرير .

وجريدة « البلاد » لم تخل من الاستخفاف بالدين الإسلامي ، ففيها ما يخالفه كل المخالفة ، وما انا بمتهم رئيس تحريرها ، ولكني اتهم الجريدة نفسها وأدينها ، واعتقد ان بها من يدس ذلك .

في العدد ٢٠٧٢ الصادر في يوم الجمعة المبارك ٣ شعبان ١٣٨٥ هـ (٢٦ نوفمبر - تشرين الثاني - ٩١٦٥ م) بصفحتها الاولى خبر تحت عنوان بارز ضخم وعنوان آخر اصغر منه وهما :

« جوزيف موبوتو ينصب نفسه »

« رئيساً لجمهورية الكنغو »

ويجب على جرائدنا ان تهتم بأخبار العالم وتزود بها قراءها ، ولكن يجب الا نغضب الدين لنرضي فريقاً من اعدائه .

ان لقب « المرحوم » يجب الا يعطى غير المسلم على خلاف بين العلماء ، ومن أجازوا حملوه محمل الدعاء ، والافضل تركه ، فـلا نقول : « المرحوم والمغفور له » ونقول : فلان رحمه الله وغفر له ، لنعطي الدعاء صيغته .

هذا في المسلم ، اما غيره فلا يجوز لنا في شرعنا ان ندعو له بالرحمة والمغفرة ، فاذا دعا له مسلم كان آثماً ، واذا كان الموصوف شيوعياً او ذا ميول شيوعية كان حراماً .

فجريدة « البلاد » تنشر خبراً بذينك العنوانين تختمه بقولها : « المرحوم باتريس لوممبا » .

مَنْ باتريس لوممبا هذا الذي تصفه الجريدة بأنه المرحوم ؟ أهو معترف بالقرآن وبرسالة محمد عليه الصلاة والسلام وبالاسلام ؟ من غير شك ان لوممبا شيوعي كافر وثني لا يؤمن بالقرآن وبرسولنا وبديننا ، فكيف نصفه بما لا يجوز إطلاقه على المسلم ؟.

وفي الصفحة الأخيرة من العدد نفسه كلمة في رثاء الشيخ عبد الله السليمان الذي يستحق منا ان نذكره بخير ، وندعو الله له ان يرحمه ويغفر له ويسكنه الجنة ويضاعف له حسناته ويتجاوز عن سيئاته لأنه كان كريماً ميالاً للخير يفعله حريصاً على اداء الفرائض .

وجاء في الكلمة التي نشرتها « البلاد » ما ننقل نصه :

« تحية حارة عطرة مقرونه بالاكبار وفائق التقدير تهدى الى النفس المطمئنة التي رجعت الى ربها راضية مرضية ودخلت في عباده الأتقياء ، وتبوأت مكانها العالى في جنته السخية ، جنة الخلد مع المقربين عند مليك مقتدر .

« قري عيناً ايتها النفس الذكية بجوار الحور العين وانعمي بما حباك الله من الدرجات العالية ، ومن حسن مآب جزاء ما قدمت من خير في هذه الدنيا .

وختاماً لا يسعني الا ان ابارك لك أيها الراحل النبيل بروضة الفردوس بين الصديقين والشهداء والصالحين وحسن اولئك رفيقاً » .

وفي كتاب الله عز وجل : (يا ايتها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك راضية مرضية * فادخلي في عبادي وادخلي جنتي) .

وهذا يقال للنفس المؤمنة الواثقة بربها عند خروج روح المؤمن المسلم او يوم القيامة ، ولا علم لأحد بهذا إلا ما بشر الرسول صلى الله عليه وسلم به ، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : نزلت وأبو بكر

جالس فقال : يا رسول الله ، ما أحسن هذا ؟ فقال : « أما إنه سيقال لك هذا » .

ومن أين للكاتب ان « النفس المطمئنة رجعت الى ربها راضية مرضية » ؟ ومن أنبأه انها نفس مطمئنة ، أذكر الله عز وجل ذلك في كتابه ام ورد عن الرسول صلى الله عليه وسلم ؟.

ان شيئاً من هذا لم يقع ، فكيف يكذب الكاتب ويجترىء على الغيب ويتكهن به ؟ إن لنا أن ندعو الله للفقيد بأن يجعله صاحب نفس مطمئنة ، اما ان ندعي له ذلك فهو الباطل .

ومَنْ أعلم الكاتب ان هذه النفس بجوار الحور العين ، وان الله حباها من الدرجات العالية ومن « حسن مآب » ؟ ومَنْ أعلمه ان « الراحل النبيل بروضة الفردوس بين الصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً » ؟.

في الكامل لابن الأثير ٢ : ١٥٠ : « لما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من خيبر انصرف الى وادي القرى ، فحاصر أهله ليالي فافتتحه عنوة ، وفي حصاره قتل مدعم مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي أهداه له رفاعة بن زيد الجذامي فقال المسلمون : هنيئاً له الجنة ! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كلا ، والذي نفس محمد بيده ان شملته لتشتمل عليه ناراً » وكان قد غلها من فيء المسلمين يوم خيبر ، فسمعه رجل فأتاه فقال : يا رسول الله ، أصبت شراكين لنعلين كنت أخذتهما ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يقدُّ لك مثلهما من النار » .

و « مدعم » صحابي ، وحسبه انه مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأبلى في الجهاد بلاء حسناً حتى قتل ، وشهد له الصحابة في كلمتهم : هنيئاً له الجنة ، فرد عليهم الرسول الصادق المصدوق ، وأنبأهم بقوله : « كلا ، والذي نفس محمد بيده ان شملته لتشتمل

عليه ناراً » .

واذا كان الصحابة المجاهدون يرون جهاد مسلم هو مولى رسول الله ويرون بلاءه بلاء حسناً حتى يقتل في سبيل الله فيهنئونه ويتباشرون بأن له الجنه جزاء جهـــاده فإذا الرسول الأعظم الذي لا ينطق عن الهوى يخبرهم انه على غير ما ذهبوا اليه ، فكيف يجرؤ كاتب على ان يقرر ان الفقيد — يرحمه الله رحمة واسعة — صاحب النفس المطمئنة التي رجعت الى ربها راضية مرضية — أولاً — وبجوار الحور العين — ثانياً — وحباه الله من الدرجات العالية وحسن مآب — ثالثاً — وفي روضة الفردوس — رابعاً — وبين الصديقين والشهداء والصالحين .

أيملك مسلم على وجه الارض ان يتنبأ بهذا كله ؟ كلا .

وفي العدد نفسه مقال طويل سخيف مقيت بعنوان « الى صاحب الرسالة السرية » يدعي كاتبه ان رسالة وردته فهو يتفضل بحل مشكلة.

والمشكلة : ان صاحب الرسالة السرية يحب « فتاة » تبين للكاتب الرقيع ان «والد الفتاة المخطوبة تقمص نفس وحش في صورة انسان» .

ويقول الكاتب لصاحب الرسالة : « اخل بنفسك ساعة من الليل ، واكتب للفتاة رسالة خاصة لا لهو فيها ولا هزل ، ولا تهويل ، ولا إغراء ، ولا تهديد . أخبرها بحبك السامي الصادق . وفاتحها انك تريدها زوجة صالحة تتبادل وإياها الحياة . واسألها رأيها بصراحة تامة عن موقفها من هذه الرغبة المؤكدة » .

ويقول : « وهنا ستجد أنها تصارحك بالحقيقة بدون مواربة . فاذا تأكدت من حبها لك فقد كسبت أقوى جبهة في هذه الحرب . كسبت فتاة أحلامك ، وضمنت انهـــا هي السلاح الذي سيهزم ارادة ابيها من الداخل ، انها ستتغلب عليه بأساليبها الخاصة التي تعرف هي دون غيرها مدى تأثيرها عليه ، وستضم قوتهـــا الى قوتك .. وعندما يتفق قلبان متجاوبان فإنهـــا يصنعان المستحيل » .

هذا بعض ما جاء في مقال الكاتب الرقيع الذي يرد به على صاحب الرسالة السرية كما زعم ، وهو مثل ما تنشره صحف الدعارة والمجون، ويشجع الكاتب ذلك الشاب على مراسلة حبيبه ، بل يأمره ، وهذا ، ما لا يعرفه مجتمعنا المسلم المؤمن الذي لا وجود فيه لرسائل العشق والغرام يتبادلها العشاق .

إن صلة أجنبي بفتاة على هذا الأسلوب سبيل الفاسقين وليس طريق الشرفاء المؤمنين ، فلمجتمعنا اساليبه الإسلامية النظيفة في الخطبة تأبى ان يكون بينها ذلك الأسلوب الشائن البغيض .

ان نشر مثل هذه « السفالات » في الصحف يوجد جوا من الحرية والتسامح البغيضين ، ثم تتنقل الخطى الى اللقاء فاللمس فالتقبيل ثم ما وراء ذلك مما يحدث عادة بين مراهقين : ذكراً وأنثى .

ان المصلحين في البلدان الماجنة المنحلة يحاربون مثل ما يدعو اليه ذلك الكاتب الخبيث الماجن الذي يعمل لهدم قواعد مجتمعنا الأخلاقية المبنية على الإسلام .

ان الإسلام يحارب ما يدعو اليه ، يحارب رسائل يتبادلها شاب وشابة أجنبيان ، لأن وراء تبادل رسائل الحب والغرام ما يهدم الأخلاق ويجرح العفة اذا سلمت من التمزيق .

ان ما يقع بين أعيننا في بلدان شقيقة قريبة منا يكفي لأن نحارب مثل هذه الدعوات والأفكار الهدامة ليبقى بناء الأسرة في مجتمعنا كما هو في متانته ونظافته وسلامته .

من منا يرضى بأن تتلقى اخته او ابنته رسالة غرام من شاب يعلن لها فيها حبه وغرامه وولعه بها ؟.

ان المسلم الشريف يحرم مثل هذا العمل الشنيع الممقوت ويحاربه ، فإذا وجد من ابنته او اخته تجاوباً مع حبيبها كان له معها شأن خطير اذا كان غيوراً على دينه وشرفه وكرامته .

ان ذلك الشاب صاحب الرسالة السرية إمـــا ان يكون شاباً مسلماً شريفاً وإما ان يكون ساقطاً مرذولاً .

فإذا كان شريفاً مرضي الخلق سلك طريق الخطة الشرعية المشروعة، فإن ارتضى ولي أمر المخطوبة دين خاطبها وأمانته رضي والا منع .

اما الاتصال بالشابة من وراء أبيها وأهلها وأخذ مواثيق منهـــا على مبادلتها حبيبها الحب والغرام ، والاخلاص له فيها ، وتلقي الجواب منها فذلك — في شرع الإسلام والشرف والكرامة والمروءة — جريمة .

ولكي يدرك الإنسان حقيقة عمل من الأعمال لينظر أثره في نفسه ، فإن رضي به أجراه وإلا منعه ، على شرط ان يكون هذا الانسان شريفاً .

وفي مثل ما نحن بصدده ليسأل القارىء نفسه وليفترض ان ذلك كان عليه فما جوابه وموقفه ؟.

أفي مجتمعنا السعودي المسلم رجل شريف يرضى ان تكون ابنته على صلة حب وغرام بأجنبي عنهـــا ؟ أيرضى ان تتلقى ابنته رسالة عشق وغرام من شاب تتسلل اليها في الظلام ؟ أيرضى ان تكتب له جواباً على رسالته ؟.

انني أعرف مجتمعنا حق المعرفة ، ولهذا أجدني مطمئناً الى مقته ما دعا اليه ذلك الكاتب الخبيث ومحاربته اياه .

لو ان أباً ضبط رسالة من ابنته الى اجنبي عنها لأنكر عليها وعاقبها؟ فاذا كانت رسالة حب وغرام ووعود لاشتد عقابه لها ، ولو انه ضبط رسالة من ابنه الى أجنبية لما تركه من عقـــابه الشديد ، ولا شذوذ في مجتمعنا في هذا السبيل لأن كل افراده غُيُرٌ كرام .

كل أب يغضب على ابنته اذا كانت على صلة بأجنبي ويعاقبها أشد العقاب حرصاً على سمعته وسمعتها ، وحماية لها من الوقوع في الزلل .

أما وان ينشر مثل ما نشره الكاتب في جريدة « البلاد » فذلك هو

المنكر المفظّع الذي يعلن مجتمعنا الحرب عليه ، ويجب علينا — حكومةً وشعباً — ان نستنكره ونستبشعه ونعاقب عليه اشد العقوبة لأن التساهل في هذه الأمور يفضي الى الفها حتّى تصبح كما اصبحت لدى غيرنا من المجتمعات المنهارة خلقياً .

ان محمداً عليه صلوات الله وسلامه الذي يمدحه الله بقوله : (وانك لعلى خلق عظيم) يقول في حديث شريف اتفق عليه البخاري ومسلم :

« ان الحلال بين ، وان الحرام بين ، وبينهما أمـور مشتبهات لا يعلمهن كثير من الناس ، فمن اتقى الشبهات استبرأ لدينه وعرضه ، ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام كالراعي يرعى حول الحمى يوشك ان يرتع فيه ، ألا وإن لكل ملك حمى ، ألا وإن في حمى الله محارمه ، ألا وإن في الجسد مضغة اذا اصلحت صلح الجسد كله ، واذا افسدت فسد الجسد كله ، ألا وهي القلب » .

ويقول صلى الله عليه وسلم : « البر حسن الخلق ، والإثم ما حاك في نفسك وكرهت ان يطلع عليه الناس » .

وانا اسأل : اتستطيع الفتاة ان تطلع الناس على رسالة غرام تكتبها لحبيبها في مجتمعنا المسلم الفاضل ؟!.

إنها تكره ان يطلع عليها الناس ، وما دام الأمر كذلك فهو إثم ، بل هي تبذل كل جهدها لإخفائها لأنها منكر من القول والفعل وزور .

حمى الله وطننا وامتنا ومجتمعنا وادبنا من مثل هذه الموبقات ورحمنا بفضلة وكرمه .

تلخيص وتكملة

الواقع ان النشاط الفكري والأدبي في بلادنا متأثر بالآداب الوثنية ، وباتجاهات معادية ، وبكل ما يحيي آداب غيرنا ، ويصادق أعداء ديننا ورسولنا ويبجلهم تبجيلا .

فلدينا من الكتاب الضالين المضلين من هو مستعد ان يتنكر للإسلام في سبيل تمجيد أعدائه .

والصحف في بلادنا تحيي آداب غيرنا وتدعو لها حتى تحل محل أدبنا ، والمساحة التي سمحت بها الصحف ليشغلها الاسلام ضيقة وكأنها خليج صغير بجانب بحر عظيم .

وانا لست خصماً للآداب العالمية ، ولعلي من اكثر القراء في العالم العربي تفرغاً وقراءة لها ، وما لي عمل غير الدراسة والقراءة والتحصيل والكتابة .

انا لا أخاصم الآداب العالمية ، بل أقرؤها واتأثر بها في الحدود التي لا تخرج بي عن ديني وضميري ، ولا تؤثر فيّ وثنياتها وما فيها من ضلالات وفساد واباطيل اخاصمها وانكرها واذودها عن وطني بقدر طاقتي .

واخاصم من يريد ان يخفي أدبنا ويظهر آداب غيرنا مهما بلغت من الرفعة والنظافة ، واخاصم ما ينشر في صحفنا من دعاوة لأدباء يتجنون على رسول الإسلام ورسالته وآدابه وعلومه .

مثلاً ، فولتير الأديب الفرنسي ، ألف كتاباً عنوانـه « محمد او المتعصب » ملأه سخرية وبذاءة وشتماً لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، بل قال عن « الله » ما نصه : « ان الله لم يكن قوياً في علم الجغرافيا [1] » .

ومعروف ان فولتير كان عدواً مبيناً لرسولنا الكريم ، ومعروف انه شتمه وتطاول على مقامه الكريم .

فإذا جاء مسلم وادعى ان فولتير ألف كتاباً في « محمد » وهو مدح له وتمجيد فلن يكون مسلماً ، بل هو ابشع من فولتير واقذر ، واشد منه كفراً ولؤماً ، لأن من يسمي شتم الناس مدحاً فقد اقذع في الشتم والبذاء .

وخرج من بيننا من يصف نفسه بـأنه « ابتداعي » و « مجدد » وحامل « الأفكار التقدمية » وآية ذلك ان يمجد الوثنية والوثنيين ومن ينكر وجود الله او يتطاول عليه عز وجل ويؤمن بـأصنام اليونان واوثانهم ، حتى يدفعه الإخلاص الى ان يسمي نفسه اسم إلآه يوناني يعترف اليونان في اساطيرهم ان هذا الإلآه مولود من سفاح وزنـا ، وهو « أبولون » .

هذا « الابتداعي » المجدد يعلن على منابر الصحف ان فولتير مدح الرسول صلى الله عله وسلم ، ويسمي بذاءة فولتير وسبه وسخريته به عليه صلوات الله وسلامه مدحاً .

---

[1] هذا نص كلمه فولتير مترجما الى العربية بقلم الدكتور توفيق الطويل في كتابه « قصة النزاع بين الدين والفلسفة » ص ١٨١ وانظر ما كتبه عن فولتير .

ولم يكشف بهذا بل اعتقد ان التجديد تمجيد آلهة اليونان ، فسمي نفسه « أبولون » وأبولون : إلَه يوناني مولود من زنا كما تقــول الأساطير اليونانية .

وهام هذا الابتداعي المجدد بآلهة اليونان وبالأولمب ، وازدحم شعره ونثره القذران بأسماء تلك الآلهة [1] ، وعلى سبيل المثال ننقل ابياتاً له من قصيدة سخيفــة له جعل عنوانها « الساحر العظيم او يد الفن تحطم الاصنام » نشر اكثرها في جريدة « البلاد السعودية » ثم اعاد نشرها في كتيب طبعه سنة ١٣٧٢ هـ (١٩٥٣ م) .

يقول هذا الأبولون :

عاش في عــالم الألمب بروح تطلب الدهر عالم الأبرار
ليت شعري أكان يبغي « أبولو ن » صفياً ؟ يا للفتى المختار ! !
حيث « هيرا » تنيله التاج أو « فيـ نوس » تغشاه بالجمال العاري
أو « منيرفا » تبيحه فتنة الحكـ ـمة مجلوة بغــير ستار
هو – لا ريب – طالب فتنة الخلـ ـد مقراً يفيض بالأنوار

ونحب ان نشير الى هـــذه الكلمات التي استعملها ونشرح معانيها ، ليكون القارىء الذي لا يعرفها على علم بها .

فالأولمب [2] : « جبل في تساليا باليونان تعيش على قمته الآلهة ، وفوق أعلى ذؤاباته قصر « زوس » الذي هو « جوبيتر » عند الرومان ، وفي اعتقادهم : انه حاكم العالم ورئيس سائر الآلهة والبشر ، ومن ابنائه « أبولون » .

---

١ راجع من هذا الكتاب فصل « الوثنية والإلحاد » .

٢ نقلنا هذه التعريفات من كتاب « معجم الأعلام في الأساطير اليونانية الرومانية » تأليف امين سلامة ، ومن كتاب « غرائب النظم والعادات والتقاليد للدكتور علي عبد الواحد وافي ومن كتاب « الحجاب » للاستاذ ابي الأعلى المودردي .

و « أبولون » هذا « احد آلهة الإغريق الكبار ، وهو ابن زيوس من الزنا ، ورب الشمس والشعر والموسيقى » .

و « هيرا » شقيقة « زوس » وزوجته ، وكانت ملكة الآلهة وتجلس مع زوجها على العرش ويبجلها جميع آلهة الأولمب ، وانتشرت عبادة هيرا فعمت جميع بلاد الإغريق » .

و « فينوس » : « ربة رومانية ، وهي افروديت عند الاغريق ، وهي ربة الحسن والاخصاب ، ربة الجمال التي تمنح البشر جمال الجسد ، وربة الحب » .

و « منيرفا » : « احدى ربات الرومان العظميات ، كانت تعبد فوق تل الكابيتول مع جوبيتر وجونو ، وهي اثينا عند الاغريق ، وتعتبر في ايطاليا ربة الحكمة ونصيرة الفنون » .

هذا بعض ما جاء في شعر الابتداعي المجدد ، وهو يدل على وثنيته وكفره ، لأنه يعترف بها ويصفها بصفاتها التي اضفاها عليها عبادها الضالون المشركون .

ومن تلك القصيدة الوثنية هذه الأبيات .

قالها الخلد ثم مد ذراعيه فأعلاه نحو عرش الخلود
وهنا ثار ثائر المعشر الفا نين من كل كارز بنشيد

* * *

نفسوا نعمة الخلود على الخا لد من شق مهيع التجديد
وتعالى اللجاج نحو « أبولو ن » فأصمى بسهمه المعدود
ملقيا من أولمبه حجة الفن الى العالم اللجوج العنيد
قال : ما مسلك الخلود متاح للخليين من رضاة الجمود

* * *

من رحاب القلوب من صادقي النقمة من ذائقي قرى « كوبيد »

و « كوبيد » إلَه الحب عند الرومان كما جاء في « معجم الاعلام في الأساطير اليونانية والرومانية » لأمين سلامة .

فانثنى الجمع عن خطاب « أبولو ن » وكل يمــد طرفا حسيرا

* * *

ورمى الفيلسوف سهم « أبولو ن » بعيداً فقام حفل الصراخ

* * *

هكذا الشاعر العظيم وإن شا ء فأدنى خطاه فوق المقادر

* * *

خالدا من ربى الأولمب قويا خلدته بصدقهـــا آثـــاره

* * *

قال — والأعياد تنصت ، والعالم زار بشأنهم او مشيح — :

« قد منحت الجبار ديمومة الخلد » لها في الدنا عبير يفوح

هذه امثلة من وثنية « الابتداعي » المجدد الذي لم يفهم من الابتداعية والتجديد الا الانتقال من التوحيد الى الوثنية والشرك ، فذكر آلهة اليونان والرومان اجمل ذكر ، معترفاً بألوهيتها الباطلة » .

ومن تمام هذه الوثنية انه يزعم ان الجبار ممنوح ديمومة الخلد ، وطبعاً ، لا يقصد الجبار الذي هو احد اسماء الله الحسنى ، بل يقصد « الابتداعي » نفسه ، والا لو اراد به « الله » عز وجل لكان اكفر الكافرين .

ومسألة « الخلد » يجهلها ، ولا يعرف رأي الاسلام فيها ، وبدعوى الخلد والخلود والخلد ينكر القرآن الكريم الذي يقول : (وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد أفإن مت فهم الخالدون) [1] .

وما نود ان نعيد ما ذكرناه عنه في الفصل الذي سبق بهذا الكتاب ، ولكن المقام صالح لأن نذكر هذه الآيات :

قال الله تعالى : (وقيضنا لهم قرناء فزينوا لهم ما بين ايديهم وما خلفهم وحق عليهم القول في أمم قد خلت من قبلهم من الجن والإنس

---

١ سورة الأنبياء ، الآية ٣٤ .

إنهم كانوا خاسرين * وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون * فلنذيقن الذين كفروا عذاباً شديداً ولنجزينهم أسوأ الذي كانوا يعملون * ذلك جزاء أعداء الله النار لهم فيها دار الخلد جزاء بما كانوا بآياتنا يجحدون)[1] .

ولكن هذا « المجدد الابتداعي حامل الآراء التقدمية » يدعي الخلد وأنه الجبار الذي نال ديمومة الخلد غير عابىء بما ذكر الله في خير كتبه ، فإذا لم يكن الخلد من نصيب أفضل الخلق طراً فكيف يدعيه من لا قيمة له ؟.

إن الله عز وجل يذكر في محكم آياته أنه لم يجعل الخلد لأحد لا من قبل ولا من بعد ، فيأتي هذا « الأبولون » ويدعي نقيض ما ذكر الله، فيدعي أن صوتاً اعتلى منبر الخطابة ، وهو « صوت من صميم الحياة ضخم فصيح فائق الوقع » وقال :

قد منحت الجبار ديمومة الخلد لها في الدنا عبير يفوح .

* * *

في صحفنا وفي الآثار الأدبية والفكرية ببلادنا ما يدل على أن الغرب اثر فيها أسوأ الأثر ، فهي — والعياذ بالله — مرآة بيئات ومجتمعات أخرى ، أما نصيب مجتمعنا منها فضئيل بالنسبة إلى تلك المجتمعات الأجنبية.

فالأمثال والحكم والقصص أجنبية عنا ، والروح التي تعالج بها قضايا السياسة روح لا تمثل مجتمعنا العربي المسلم ، وفي كثير من الآراء التي تبديها صحفنا في تلك القضايا آراء صادرة من غيرنا من دول عربية وشيوعية وتبنيناها وادعينا أنها آراؤنا .

أقرأ في صحفنا حكماً وأمثالاً « مستوردة » من الشرق والغرب ، وأنا لا أخاصم في نقل الثقافات ، فذلك ضرورة لا غنى عنها في هذا

---

١ سورة فصلت ، الآيات ٢٥ — ٢٨ .

العصر ، وفي غيره ، ولكن الذي لا أرضى به أن نغفل الحكم والأمثال العربية والاسلامية إغفالاً شديداً ، بحيث نغير معالم مجتمعنا العربي الاسلامي ونصبغه صبغة غربية نفتقد معها طبيعتنا وسماتنا الخاصة التي تميزنا عن غيرنا.

إن رقعة حكمنا وأمثالنا في صحفنا صغيرة جد صغيرة ، ولم تسمح بهذه الرقعة الصغيرة إلا خداعاً وتضليلاً حتى تكون لديها الحجة بأنها تعنى بها.

وبعض كتابنا مسرفون في تقليد اليساريين واستعمال كلماتهم وعباراتهم ومصطلحاتهم تنفيذاً لمخططات الهدم ، وهم يعلمون سحر الكلمة وقوتها ونفاذها وما تصنعه المداومة والإدمان في ترديد تلك الكلمات ، ويدركون أن من يعاشر كلمات معينة يتأثر بها في اتجاهه وعقليته وخلقه وضميره الديني .

فاستعمال الكلمات الوثنية وترويجها وترديدها ومداومة تداولها تؤثر تأثيراً شديداً في تكوين الذوق والخلق والاتجاه ، وتجعل الناشئة يألفونها وينفعلون بها ، وعندئذ يخف شعورهم الديني حتى لا يهمهم أمر العقيدة لأنهم متأثرون بغيرها من العقائد الوثنية .

والشيوعيون والاشتراكيون يرددون دائماً كلمات أصبحت شعارهم مثل « الرجعية » يتهمون بها كل خصومهم ، ومثل « التقدمية » يصفون بها أنفسهم .

وهنا من يرددها بروح أولئك الهدامين واتجاههم ، حتى صارت « الرجعية » علماً على كل ذي دين وخلق مهما بلغ علمه ، و «التقدمية» شعاراً لكل من تمرد على الدين والخلق مهما كان جاهلاً وسافلاً ، بل كلما ازدادت سفالته وكفره ازدادت تقدميته .

* * *

من المؤسف اتجاه وسائل الإعلام في العالم العربي من صحافة وإذاعة وتلفزة اتجاهاً يسارياً أو غربياً أو هما معاً ، وأكثر دور النشر والصحف مملوكة لمن بعدوا عن الإسلام وعاشوا في مذاهب تعاديه .

وهذه المذاهب هي التي ساعدتهم على أن يملكوا، فضوا ينفذون ما تريد .

ولكن المؤسف حقاً أن يشذ من مجتمعنا أفراد يدعون لما تدعو اليه مذاهب الهدم والتخريب ، وإذا كان فيهم من اتجه هذا الاتجاه عن غفلة وجهل فإن فيهم من يدرك ما يعمل .

***

تمجيد أعداء الإسلام وصوغ مديحهم والدعاوة لهم مشهودة في صحفنا، كما أن في صحفنا صحفاً تدعو لمذاهب الهدم أو الغرب، وتختلق الموضوع اختلاقاً يمكنها من تصوير أعداء الإسلام صورة جميلة رائعة تمحو عن أذهاننا ما علق بها من كراهيتهم .

فصحيفة « عكاظ » تزعم أن حكام روسيا الجدد – بعد فصل خروشوف – معنيون برفع المستوى في الداخل والسلام في الخارج ، مع أن هذا كذب محض ، ومع أن الجريدة بشرت قراءها هذه البشرى منذ سنة كان ما عملوه نقيض ما بشرت به .

ففي أندنوسيا أراد الشيوعيون أن يقوموا بانقلاب يمكنهم من الحكم والسيطرة حتى يقضوا على الإسلام ، وقام الشيوعيون في السودان بحركة أرادوا منها زعزعة قواعد الإسلام .

واشتد نشاط الشيوعيين في العالم العربي والإسلامي ، وانتصروا في ميادين الثقافة والفكر والأدب حيث استطاعوا أن يجعلوا لعملائهم أسماء لامعة ينخدع بها الجيل العربي .

فالدكتور محمد مندور انتهى الى القمة بدعاوات سادته، وليس يخاف أمره، فقد كان رئيس تحرير مجلة «الشرق» الشيوعية التي تصدر في القاهرة.

ولويس عوض المعروف أمره صار مثل مندور وصحفنا أخذت تمجدهما وتحتج بأقوالها وتدعو لها .

وفي جريدة « عكاظ »[1] مقال مصور عن « الفيلبين » جاء فيه :

---

[1] العدد ٣٢٩ الصادر في يوم الخميس ٢٥ رجب ١٣٨٥ هـ (١٨ نوفبر – تشرين الثاني – ١٩٦٥ م) .

« أما الامريكان فـ ٤٨ عاماً فقط .. ويحتفظ الفيلبيون بذكريات حلوة (عسل) للامريكان ويعدونهم أشرف الفاتحين .. لأنهم ما جاءوا إلا لتنظيم شؤون الفيلبيين وتعويدهم الحكم الديمقراطي » .

هذه الجملة في وسط مقال طويل عريض تفعل ما لا تفعله كتب الدعاية ، وتؤثر في القارىء حتى ينسى جهود أمريكا في قيام اسرائيل، وقضية اللاجئين ، وقضية فلسطين .

نحن لا نعادي أمريكا ، بل نصادقها للصلات الحسنة بينها وبيننا ، ولكن المصادقة لا تحبس كلمة الحق في أفواهنا ، وإذا كان من أبنائها المخلصين من ينقدونها ويأخذون عليها بعض أعمالها فإن على غير أبنائها البارين بوطنهم (امريكا) أن يكونوا — على الأقل — مثل هؤلاء .

أصحيح ان احتلال الأمريكيين للفيلبين واستعمارهم إياها لم يكونا إلا « لتنظيم شؤون الفيلبين وتعويدهم الحكم الديمقراطي » ؟.

ليجب كل قارىء بما يمليه عليه ضميره .

* * *

إذا كان الشرق الشيوعي أنكر الدين إنكاراً فإن الغرب لم ينكره بل التمس في غيره ما يصبو إليه من أمن وطمأنينة ولذة ومتعة ، فسخر الفنون والأدب والموسيقى لشغل الفراغ الذي تركه البعد عن الدين ، فإن حال الاسلام غير ذلك، ويجب أن تكون حال المسلمين غير حال الغربيين .

إننا لا نخاصم الفنون ، ولكن لا نجعلها بديل الدين ، وإن اسرافنا في عشقها إلى حد نسيان الدين بل كراهيته هو ما نخاصمه .

ونحن نعرف أن للباطل منطقه حينما يسوغ ما يريد تسويغه ، فيزعم أن السينما من وسائل الإصلاح والتهذيب مثلاً .

وأنا اسأل : أهؤلاء الممثلون الذين نعرف أخلاقهم من أخبارهم وصورهم واعترافاتهم يصلحون للقيام بتلك المهمة الجليلة ؟.

أيصلح الممثل (فلان) الذي يشرب الخمر علانية ليهذب ويصلح ؟!

والممثلون جميعاً – إلا النادر – مثل هذا الفلان .

وأسأل : أي إصلاح وتهذيب في رقص الراقصات اللائي يهززن البطون ويثرن الشهوات والغرائز ؟.

أي إصلاح وتهذيب في الغنـــاء الماجن الخليع ، والرقص الداعر ، وكشف ما غلظ من العورة ؟ وأي فن في هذا ؟.

إن من يقوم برسالة الإصلاح والتهذيب يجب أن يكـــون هو نفسه مهذباً صالحاً في المفهوم الإسلامي .

نعم ، في المفهوم الإسلامي،لأن الإسلام لا يغفل النواحي الشخصية!.

إن من غير المسلمين وممن يدعون الإسلام في هذه الأيام لا يؤاخذون الحكام الفجرة بحجة أن تعاطيهم الخمر والمرأة وغيرهما من ضروب الفسق خاص بهم ، ولا دخل للحكم في « الأشياء الشخصية » .

إن الإسلام يعزل الحاكم الذي يشرب الخمر علانية أو يشهد اثنان ذوا عدل من المسلمين عليه بذلك ، بل يعاقبه بحد السكر ، ثمانين جلدة .

بمثل تلك الأباطيل يسوغون المنكر،ويطلبون الينا أن نجيز لهم ضلالاتهم وأباطيلهم .

باسم الفن يمزقون الفضيلة والعفة،وينشرون الدعارة والمجون والفسق .

وأصبحنا – والحمد لله الذي لا يحمد على مكروه سواه – نعنى بالفن، وننشر كل يوم أخبار الفن والفنانين ، والمطربين والمطربات ، والممثلين والممثلات،بل تهتم صحف تحمل أسماء كريمة بأخبار مطربات،بطلاقهن ، حتى انها تلوث بالوحل كلمات مقدسة مثل كلمـــة « السجود » فتنشر جريدة « المدينة المنورة » أن هيام يونس قالت للشاعـــر أحمد رامي : « جئنا نسجد في محرابك » .

أهو محراب مسجد كما يعرف الاسلام ؟ لا ، طبعاً ، فمثل هيـــام لا تهتم بالمسجـــد الاسلامي ، ولكنها تريد محراب الفن ، والرقص فن جميل ولا شك ، والغناء فن جميل ولا شك ، فهي تسجد في هـــذا

المحراب الذي لم تخطئه في حياتها .

وسيفضي طريق الفن الذي نسلكه إلى مثل ما أفضى اليه الفن في البلدان العربية، وليس ببعيد عنا ما أحدثه الفن من تمزق في الأعراض ، وتلويث في الأعراق ، وفساد في الأخلاق ، و « بوظان » في المجتمع ، بل انتهى إلى الأبرياء والبريئات في المدارس والكليات فأفسد البراءة ودنس الطهر.

* * *

بدعة « الفولكلور » أخذناها ودعونا اليها ، ونادينا بأن الفولكلور ضرورة، لأنه تراث الشعب، وإذا أجاز غيرنا باطلاً فليس علينا أن نجيزه .

إن في المأثورات الشعبية ما بُعِثَ الاسلام لمحاربته والقضاء عليه كالأساطير والخرافات والوثنيات والشركيات وما اليها ، فكيف يُطلَب في مجتمعنا إحياء ما قضى عليه الاسلام ؟.

قالوا : الفولكلور، فقال نفر منا : الفولكلور ، وطبلوا له وزمروا وجعلوه آية التحرر والتقدم والحضارة والمدنية .

وأنا أحارب هذه البدعة وأطلب إلى الدولة أن تحاربها كما طلبوا هم اليها الاهتمام الكبير بها .

ودعوة « العامية » يراد بها تحطيم القرآن والحديث والأدب العربي، وما من أحد من الدعاة الأول مثل سبيتا وفولرس ودوفرين وولكوكس وماسينيون ولندبرج إلا وهو مستعمر صليبي مبشر حقود وقف نفسه لحرب الاسلام وحطم القرآن، وما من أحد ممن خلفوا اولئك الدعاة من أمثال مارون غصن وأنيس فريحة وسلامة موسى ولويس عوض إلا وهو صليبي أو وثني عبدٌ للاستعمار شديد الحقد على الاسلام .

فاذا نهض من بلادنا : بلاد الفصحى والقرآن والاسلام ومحمد عليه الصلاة والسلام مَن يدعون إلى العامية ويحتجون بكلام لويس عوض فهم مثلهم عقيدة وروحاً ومبدأ وضميراً .

والذين يحملون راية دعوة هدم الفصحى بالدعوة إلى العامية أو إلغاء

الإعراب إنما هم خصوم القرآن وأعداء الإسلام كائناً مَنْ كان، وكائناً ما كان جنسه ودينه ولغته ووطنه .

* * *

زعم سلامة موسى وأمثاله من أعداء الاسلام الحاقدين ان الأدب العربي غير صالح،فنهض في وطننا من يحمل راية سلامة موسى ويجاهر بجحود الأدب العربي ويستخف به وينكره ، وفي ذلك إنكار لبلاغة القرآن وللقرآن نفسه لأنه النموذج الذي لا مثيل له في العربية وفي آدابها، وآدابها تأييد للقرآن أو تبيان لبعض جوانب معجزاته وإظهار لعظمة بيانه .

وما قصد هؤلاء الدعاة أو المنكرون للأدب العربي إنكاره هو نفسه، بل جعلوا إنكارهم إياه تمهيداً لإنكار القرآن نفسه .

بل صرح بعض الصليبيين بذلك كالدكتور القسيس فندر في كتابه « ميزان الحق » وما هو في حقيقته إلا خزانة الباطل والكذب والبهتان .

* * *

قام أعداء الإسلام بمحاصرة « القرآن » من جميع جوانبه ، ونظموا طرق الهجوم عليه ، وشيدوا قلاعاً ضخمة كبيرة لإرسال قذائفهم عليه، وجردوا حملات التشهير به ، فزعم زاعم منهم ان ما في القرآن من قصص لا يراد منها الواقع التاريخي ، بل هي من قبيل القصص الفني الخيالي الذي يراد منه الصدق الفني وحده والصدق الشعوري وحده ، مثل أساطير طروادة وخرافات إيسوب .

وزعم زاعمون ان ما في القرآن من تشريع إنما هو بال قد انقضى عهده ، فما كان صالحاً في زمن الجمال لا يصلح لزمن الصواريخ .
بل انتهى الزعم بزاعمين إلى أن في القرآن غلطات في النحو ، وقدموا — ما زعموا براهين — تلك الغلطات وأوجه الخطأ فيها ، فإذا الغلط في عقولهم وأذواقهم ، فهم جهلة بلغة العرب وقواعدها جهلاً مطبقاً ،

يضاف اليه الحقد .

إلى غير ذلك من الأباطيل والأكاذيب والترهات .

* * *

نادى منادون : حطموا عمود الشعر العربي ، وجاءوا بشعر – كما يسمون – لا يتقيد بقوانين العرب في الشعر ، وأنا لا أمنع الشعر الحديث ولا تسميته « الشعر الحديث » ومن الجائز تداوله ، وما ثم ما يمنعه ، وفي بعضه محتوى جيد ورشاقة وفن .

أنا لا أحجر على الإنسان ان يعبر عن خواطره بالأسلوب الذي يريده فهو حر ان يعبر بما يسميه « الشعر الحر » .

ولكن الذي أحاربه ما يدعون اليه من تحطيم عمود الشعر العربي وان نستبدل به هذا « الشعر الحديث » .

والدعاة الحاقدون على الاسلام يريدون إلغـــاء الأدب العربي وإلغاء القرآن وإلغاء الشعر العربي وإلغاء الحرف العربي ، ومتى تم لهم ذلك فلا يبقى للاسلام والعروبة ما يدل عليهما .

* * *

إذا كان الأدب للحياة من أعظم هتاف ما بعد الثورة المصرية ،فالقصد منه تبطّن مذاهب اجتماعية خاصة كالشيوعية والاشتراكية ، القصد هو التنكر للاسلام ووصف من يدعو اليه بالرجعية والسلفية مهما كان تبريزه في عالم الفكر والثقافة والأدب والعلم .

إن مذهب الأدب للادب أو مذهب الأدب للحياة لا يقتضينا ما يريدون.

الأدب للادب صالح أتم الصلاح لأن يكون الأدب للحياة، فما زعموا انه « برج عاجي » وان ما ينطلق منــــه مما يعرف بالأدب للادب انما ذلك ليس شعبياً ، بل الأدب للحياة هو الأدب الحق لأنه أدب الشعب.

وهؤلاء الذين يزعمون هذه الزعمات ليسوا ذوي قيمة في عالم الآداب والفنون ، وإن كانوا مستشارين في صحف كبـيرة أو مشرفين عـــلى

الصفحات الأدبية ، ومكنتهم الحياة من السيطـــرة على وسائل النشر ، وأبرز بعضهم بعضاً ، وتقارضوا المديح والاطراء ، وعرفهم الناس .

أليس « البرج العاجي » من المجتمع ؟ إن كان منه فمحوه وإزالة معالمه نقص للمجتمع .

وأدب البرج العاجي الذي يقولون فيه : إنه الأدب للادب ، أليس من انتاج أفراد من الشعب ؟.

إن خلو مجتمع من أدباء البرج العاجي نقص فيه .

وبلغ الهزل أقصى مداه وكذلك السخف والباطل عندمـــا زعموا ان الأسلوب الرفيع غير صالح للشعب لأنه لا يفهمه ، ووجب أن يستبدل به أسلوب الشعب .

إن الأسلوب الرفيع ارستقراطية ، وأسلوب الشعب ديمقراطية،والعصر عصر الشعوب والديمقراطيات ، لا عصر الرفعة والعلية والأرستقراطيات، ويجب ألا تكون ارستقراطية ولا كل ما انبثق منها ، ولهذا وجب زوال الأسلوب الرفيع .

أصبح الكمال نقيصة ، والرفعة عاراً وشناراً،وصارت النقيصة كمالاً، والضعة سمواً .

وأدب الشعب أكبر سبة للشعب ، لأنه جعـــل الشعب مجموعاً من الصعاليك وذوي الضعة والهوان والخسة .

إن تجريد الشعب من الأدباء الأعليـــاء وحصره مثل « قـدم » المرأة الصينية في قالب حديدي يفرضان عليه أن يكون في السفح دائماً .

وإذا جردنا الشعب من الأدباء الأعليـــاء (الأرستقراطين) فما قيمة الشعب نفسه ؟.

ثم أليس الأعليـــاء من الشعب ؟ إنهم مفخرته ، ولكن إنكار من ينكرونهم ويتهمونهم ويحاربونهم إنما مصدره ضعتهم ، وخستهم ، ومـا داموا لا يستطيعون الصعود إلى قمم الأعلياء فليهبطوا بهم إلى حيث السفوح

التي يعيشون فيها، بل لا يطمئنون إليهم عندما يهبطون لأن النفيس نفيس حيثما كان ، ولا بد أن تظهر نفاستهم وامتيازهم .

ومن هنا كانت دعوتهم الى القضاء على هؤلاء الممتارين .

والسبب الاصيل عداء الاسلام وخصومة القرآن ، فالقرآن ذو بيان ليس في الارض ارفع منه ، وذو اسلوب لا يرقى اليه اسلوب ، وهو معجزة في اسلوبه وبيانه .

فاذا هزأوا برفعة البيان ورقي الاسلوب وحاربوا اصحابهما فانما يحاربون او يقصدون من هذه المحاربة النفاذ الى القرآن .

* * *

إذا دعا مسلم الى الإسلام ولغة القرآن اتهموه بالرجعية والتأخر ، وسموا جهاد انصار الفصحى وانصارها « صراع ديكة » فاذا ما دعا قسس ورهبان الى اتخاذ المسيحية ديناً والإنجيل كتاباً هرعوا مستجيبين لهم ووصفوهم بالتحرر والتقدم .

* * *

ادب السرير راج رواجاً ، وكاتبوه من النساء والرجال منحلون ، فهم يعكسون انحلالهم وفسادهم فيما يكتبون ، وفي بلادنا من يقدسون ادب السرير ، حتى ان كاتباً سعودياً وصف احد الماجنين السفلة الذين يكتبون ادب السرير والجنس بأنه مجاهد .

وهذا يقصد منه ضرب الإسلام لأنه يدعو الى العفة والشرف والنبل والخير والفضيلة ، والمنحلون لا يطيقون ديناً يدعو الى هذه المعاني فهم يحاربونه بترويج ما يهدمه وكتابة ما ينقصه .

* * *

السينما والاذاعة والتلفزيون ادوات اصلاح وتهذيب .

هذا ما يدّعون ، والواقع انها لا تخلو من دعوة الى بعض الخير

في الافلام الثقافية ، ولكنها قائمة على ترويج الرذيلة ، واذاعة الفحش، واشاعة الشر .

وقد استخدمها دعاة الباطل في تحقيق آرابهم ، فهم قد رأوا العامة لا يقرأون الا قليلاً ، فاستخدموا تلك الادوات ليوصلوا اليهم ما يبتغون، وقـد انتصر المفسدون اذ وفقوا لتقويض المثل التي كان العامة يعيشون عليها ، ودفعوهم في جميع بلدان العربية الى ما لا خير فيه ، وملأوا قلوبهم حقداً وبغضاء وكراهية لكل اصحاب الامتياز ، سواء أكان امتيازاً في الخلق والمعاني والروح ام في المادة .

كتب الاستاذ احمد حسن الزيات ذات مرة في جريدة « الجمهورية » القاهرية كلمة جاء فيها ما معناه : انه كان راكباً سيارة عامة في الدرجة الاولى ، وزاحم عامل ملوث الثياب بالزيت والوسخ الركاب حتى انتهى الى الدرجة الاولى ، وتأذى الناس منه ، لأنه لوث ملابسهم ، فعاتبوه ومنهم الزيات ، فصاح فيهم : بقينا جمهورية وحرية ، وما فيش حد أحسن من حد !.

هكذا فهم العامل الجمهورية والحرية .

وهذامفهوم الحرية عنده،والفضل للصحف والسينما والاذاعة والتلفزيون التي يقال : انها ادوات التثقيف والاصلاح !.

واستخدمت فيما استخدمت له ترويج العامية وبخاصة السينما ثم التلفزيون ثم الاذاعة التي لا تخلو برامجها من اللغة العامية .

* * *

وسائل النشر والاعلام كلها تستخدم لهدم الإسلام وافساد الاخلاق ، وما انتشرت الفواحش والمنكرات والإلحاد الا عن طريقها ، فاذا كان بيت المسلم حصناً ، فـان الراديو يدك اشد الحصون مناعة ويصل الى الحرائر ، وكذلك التلفزيون ، بل هو أشد وافظع !.

وما اكثر شكاوي المصلحين في كل بلدان العربية منها ، فهما ينشران الفاحشة ويحببان الرذيلة ويخدعان الشاب والشابة باسم الحرية والحق الطبيعي وبنظرية فرويد وغيره ليندفعا الى الرذيلة ويزهيان بممارستها .

وكل هذا وغيره مما مر ذكره ومما لم أذكره لا يقصد منه الا هدم الإسلام ، وان من أعظم اسباب هدمه افساد الاخلاق ، فهم يعرفون ان الاخلاق هي الجانب العملي لعقيدة الاسلام ، وارتباط العقيدة بالخلق وثيق ، فمتى ضعفت العقيدة ساءت الاخلاق حتماً ، واذا افسدت الاخلاق فسدت العقيدة .

* * *

تتخذ الامم العربية اربع لغات عالمية ، وهن : الانكليزية والفرنسية والاسبانية والالمانية ، وتبذل جهود حسنة لتكون اللغة العربية بين هذه اللغات .

فأي اللغتين يجب ان نختار ؟ الفصحى ، أم العامية ؟.

واذا اخترنا العامية فأي من هده العاميات نختار ؟.

هنا تتسع هوة الخلف بين العرب ، لأن كل دولة تريد إن تكون لغة بلادها هي المختارة ، بل لعل بين الممثلين من يريد ان يجعل لغة بلده أو قريته هي اللغة العالمية .

وهكذا يضاف الى النقائض والمخالفات التي تغرق فيها الدول العربية سلسلة جديدة من المخالفات تتصارع على المسرح العالمي .

ودعوة العامية تقضي على الجهود في سبيل اتخاذ العربية بين اللغات الاربع العالمية .

واذا نجح ما يسعى اليه المخلصون العرب والمسلمين فان العربية الفصحى هي التي تجمع شمل المتفرقين ، وهي وحدها التي تصلح ان تكون بين اللغات العالمية ، ولن يكون غيرها اللغة المختارة لأن مندوبي الـدول العربية لن يفهموا سواها .

فاذا فرضنا ان العامية المختارة هي عامية الجزائر فان كل مندوبي

العرب لن يفهموها ، وتكون لهم بمثابة لغة اجنبية عنهم .

وما دامت الحال كذلك فلا مفر من الفصحى التي يفهمها كل المندوبين العرب فهماً صحيحاً .

* * *

وخاتمة المطاف ان مذاهب الهدم والتخريب وقوى الشر انتصرت في غزوها للإسلام والمسلمين ، وتحرر بلدانهم زادها بعداً عن الاسلام ، فما أخفقت فيه مذاهب الهدم وقوى الشر نجحت فيه قوى الحرية والاستقلال ، لأن الذين بيدهم مصائر شعوب الأمة العربية والأمم الاسلامية ومقاليد حكمها هم من الجهلة بالاسلام وخصومه .

انهم ضربوا الاسلام وزووه في المسجد ، واخيراً طاردوه في المسجد نفسه واحالوا منبره المقدس منبراً لدعوات الشر والهدم والتخريب .

وأخيراً انتهوا الى ما انتهى اليه الشيوعيون الذين ينكرون وجود الله ويجحدون رسله وكتبه ويكفرون باليوم الآخر .

وفي بلادنا المقدسة ، وفي صحيفة من صحفنا التي تحمل اسم أقدس بلد في الوجود بعد مكة المكرمة حرسها الله ، في صحيفة تسمي نفسها « المدينة المنورة » كلمة من كلمات الشيوعيين .

في جريدة « المدينة المنورة » وفي الصفحة المخصصة للإسلام ، نعم ، في جريدة « المدينة المنورة » وفي الصفحة التي خصصتها للإسلام ، وفي عدد يوم الجمعة المبارك ، ينشر محررها كلمة الافتتاح بقلمه ، يزيف على الناس ويعمي على القراء بأسلوب فيه براعة الهدامين وحذقهم ومنطقهم .

اتخذ الكاتب الدين وسيلة لهدم الدين كله ، ولإلغاء فكرة وجود الله كما يقرره القرآن ، وإلغاء تنزيهه التنزيه الكريم المطلق ، واعتباره الله عز وجل وتعالى كأي شيء ذي قيمة .

في جريدة « المدينة المنورة » العدد ١٣٦٦ الصادر في يوم الجمعة

المبارك ٢ جمادى الاولى ١٣٨٣ ﻫ (٢ ستمبر ١٩٦٣ م) كلمة محرر صفحة الإسلام بهذه الجريدة جاء فيها ما نصه :

« ... هو الذي وحـــد جميع المسلمين في جميع أطراف الأرض بسبب التقائهم في الله أي في القيمة الروحية العليا » .

و « فالله هو القيمة العليا التي تلتقي عندها سائر القيم الروحية في الإسلام » .

و « إن جمود القيم هو شر ما تبتلى به الأمم ، لأن هذا الجمود يجمد حركتها ويمنعها من الرقي والتقدم ، والجمود والتقدم بحسب مـــا عرفناه قيمتان إحداهما باطلة فاسدة والاخرى سامية صالحة » .

والكاتب يعترف ان القيم تجمد لأنه قال « جمود القيم » بل زعم ان الجمود نفسه قيمة ، ولكنها باطلة فاسدة .

وما دام « الله قيمة » فالقيمة خاضعة للجمود ، هذه هي النتيجة ، وأشد من هذا زعمه « ان الله قيمة » وإطلاق هذا الوصف لله باطل وشرك وعبث بتنزيه الله أسمائه وصفاته .

والقيمة : الثمن الذي يعادل المتاع او العوض المقابل ، هذا معناها المادي ، واذا خرجنا بالقيمة من المعنى الحسي الى المدلول المعنوي فان المجاز لا يقضي على الحقيقة .

فالقيمة الروحية للصلاة – مثلاً : طاعة الله ورسوله والإيمان بهـما والتوجه الى الله وحده بالعبادة وصرفها له وحده دون غيره ، والثقة فيه وفي انه اهل العبادة لا شريك له فيها ، والرجاء في غفرانه ورضوانه ، وتعويد النفس أداء الواجب في وقته المحدد ، والاندماج في الجماعة تجديداً للتعارف والحب الخ .

هذا هو العوض الروحي المقابل للصلاة ، وهو الثمن الذي يعادلها ، فما القيمة الروحية لله عز وجل ؟ ما العوض المقابل له ؟ ومـــا الثمن الذي يعادل الله عز وجل ؟!.

والشيوعيون والماديون يفترضون وجود الله – مجرد افتراض – حتى ينتهوا منه الى الإنكار والنفي والتعطيل ، وآية ذلك انهم زعموا في جميع معجماتهم اللغوية – ومنها معجم دودين الألماني طبعة ألمانية الشرقية الشيوعية – « ان الإلحاد : إنكار وجود الله على اسس علمية [1] » وأرادوا بهذا التعريف ان إنكار وجود الله ثابت علمياً ، وان الله غير موجود حقيقة كما تثبته الأسس العلمية في رأي الماديين والشيوعيين قاتلهم الله .

وعندما ذكروا ان الله – المفترض وجوده لدى المؤمنين المغفلين – قيمة ، أرادوا ان « يثمنوه » بحسب مذهبهم الهدام الملحد ، والقيمة التي جعلوها له هي انتفاء وجوده .

ووصفوه بأنه « قيمة » حتى يهبطوا به – سبحانه وتعالى – من علياء عرشه كأن الله متصف بما زعموا من الكفر والباطل ، وكأنه خاضع لهم ، وكأن مجرد وصفه بأنه « قيمة » يجعل انكاره قائماً على أسس علمية .

ومحرر صفحة الإسلام بجريدة « المدينة المنورة » الذي يدعي « ان الله قيمة » ويصف القيمة بأنها « عليا » يحسب انه دس السم في العسل لا يشعر به ذائقه الا وهو في سكرة الموت ، ويظن لجهله انه أجاز الباطل والكفر والإلحاد باتخاذه الدين وسيلة له حتى يُعَمّي على المؤمنين مقصده الهدام ، ويموه حقيقة ما يرمي اليه .

وعلى أي تفسير وتأويل لا يجوز في ديننا ان نزعم ان الله قيمة ، لأنه لا شيء يقابل الله عز وجل في احدى كفتي الميزان الذي يخترعه الانسان لوزن الأقوال والأعمال سواء كانت مادية ام روحية ام دينية .

ان هذه الجملة الكافرة تجريد لله من اسمائه وصفاته وكفر بوحدانيته ،

---

١ آراء في اللغة ، للمؤلف ، صفحة ١٨٤ – ١٨٥ .

واعتباره – تعالى الله علواً كبيراً – مثل اي مادة مقوّمة بقيمة .

اما وقد وصل الى بلادنا المقدسة مثل هذا الكفر فإن معناه اقتحام الكفر البشع اللئيم أسوارنا القوية الشامخة ، ويجب ان نصحو ونستعد ونقاوم ونحارب بكل ما نستطيع ، ونطهر ارض بلادنا وجوها الطاهرين من مثل ما اشرت اليه .

لم يبق في العالم بلد غير بلدي يدين كل اهله بالاسلام ، ويقيد نفسه بشريعة الله الحق ، والعالم يعرف هذا ، فاذا وُجد بها ما ذكرته فقد فَقَد سمته البارزة الأولى والأخيرة ، واذا وُجد بها كل ذلك فهو وغيره من بلاد الكفر على حد سواء اذا وجد بهـا ولم نقض عليه ، ولكن سنقضي عليه بمشيئة الله ، ونطهر بلادنا من كل ما لا يتفق مع الاسلام دين الله الذي ارتضاه لنا .

* * *

(ان الذين كفروا ينفقون اموالهم ليصدوا عن سبيل الله فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون * والذين كفروا الى جهنم يحشرون) .

* * *

(وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله) .

* * *

(انهم اتخذوا الشياطين اولياء من دون الله ويحسبون انهم مهتدون) .

* * *

(قل هل ننبئكم بالأخسرين اعمالاً * الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون انهم يحسنون صنعاً * اولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقـائه فحبطت اعمالهم فلا نقيم لهم يوم القيامة وزناً * ذلك جزاؤهم جهنم بما كفروا واتخذوا آياتي ورسلي هزواً) .

الخاتمة

باسمك اللهم اقدم كتابي هذا اليك قرضاً اقرضه اياك رجاء المثوبة لي عندك ، وقيامي بواجبي نحو دولتي المسلمة ، وأداء لحق بلادي وأمتي ، وجهاداً في سبيل الله ، واعلاناً لكلمة الحق في وجه الباطل ، غير مبال بما يصيبني من اجل الله . فإلا يكن بي غضب منه فلا ابالي .

وإن لمذاهب الهدم والتخريب لأساليب كثيرة تتخذها لحرب القرآن ، وهدم الاسلام ، وتخريب العقيدة ، وتقويض الشريعة ، والغاء اللغة العربية ، ونشر الالحاد والوثنية ، وافساد الاخلاق .

وها هي ذي آثارها في بلدان قريبة نشهد ما يجري على صعيدها ، وما صنعت بشعوبها ، وتجولت آمنة مطمئنة في ربوعها ، ففتكت بالاسلام ، وزوت القرآن ، وقضت على الشريعة ، وأثخنت لغة القرآن وآدابها وعلومها جراحاً ، وزلزلت المسلمين زلزالاً .

وليس الخطر ببعيد عن بلادنا ، فقد تسللت اليها مبادىء قد ولدتها تلك المذاهب ، وأفادت من الحرية التي تنعم بها ، فأخذت اصواتها تعلو ، ومقابحها تستأسد .

وهذا في الكتاب تنبيه للدولة المسلمة – حكومة وشعباً – حتى تقضي على الشر الوليد الذي ترعرع وأخذ يقوى ، قبل ان يشتد ويزداد أيداً

وجنداً ، فلا يسعها ان تغلبه — حينئذ — الا بما عظم من التضحيات ، وضخم من الجهود .

ونحن ان لم نأخذ الأهبة ، ونفاجىء الخصم بالضربة ، ونقف في وجه مذاهب الهـــدم والتخريب يقظين ، انتشرت على ارضنا المقدسة — لا قدر الله — وطوتها كما طوت غيرها من البلدان .

وان اسرعنا بحصارها ، ولقيناها في كل ميدان بالقرآن والسنان ، انقذنا ديننا ووطننا وامتنا ونظام حكمنا .

واذا كان في الشرارة قوة التدمير كامنة ، فان غرفة من ماء كفيلة بموتها ، والا كان شرها مستطيراً .

وهأنذا قد نبهت ، والله يشهد انني بلغت ، وما ثم من خسارة في اليقظة والاستعداد والحيطة والحذر ، بل في تركها الخطر كل الخطر وليحفظ الله ديننا وبلادنا وأمتنا ويوفقنا جميعاً لما يحب ويرضى

١٣٨٥/٩/١٦ هـ
٧ /١/١٩٦١ م

احمد عبد الغفور عطار

الفهرست